

عبد العزيز التقيمشي

برصاء

ياجارة المقابر .. طربت

رواية

اعتذار

إلى كل من أصيب بدأ "البرص" ، انتم أحبائي ٠٠ اعتذر لكم عن كتابتي لرواية ((برصاء يا جارة المقابر ٠٠ طربت))، اعتذاراً صادقاً، ويعلم الله أنني لم أقصد الاستهزاء بهذا البلاء ، ولا الاستثمار الأدبي في طرحه ، ولكنها صرخة تنادي من يقرأ حياً ٠٠ عسى ان تدب الحياة في عقل من أنادي .

محبكم



عبدا لعزیز

aziz1379@hotmail.com

وابتدا المشوار ٠٠



وعثناء السفر الأبدية هاهنا ، والمطية قلاب ، والركاب أعراب . سيارة قلاب تسير بسرعة جنونية ، فوق أرض حجرية ، سائقها زكرتي ، في فمه سيجارة لا تنطفئ ، يسمى الرجة ، بدل من أن ينقل التراب والبطحاء والحجر ، من قرية حرمل ٠٠ إلى العاصمة ، والمساهمة في التنمية الطينية ، وهو عمله الأصلي ، ينقل بدلا عن ذلك الأدميين ، مقابل مبلغ من المال ، يتم ذلك بمباركة مالك القلاب ، وعدم معارضة الأنظمة إن وجدت ٠٠ ولم الاعتراض ، طالما أن سائقي سيارات الأجرة الصغيرة لا يستطيعون الوصول إلى القرية بسياراتهم ، بحجة أن الطريق إلى القرية وعرة وغير معبدة .

صندوق القلاب الحديدي هذا معبأ بالكامل بالركاب ، جميعهم رجال ، باستثناء فتاتين شقيقتين ، يتيمتي الأب والأم ، تلتحفان بعباءتيهما الدافئتين .

الكبرى اسمها يُمنى ، سماها والدها بهذا الاسم تخليداً لذكرى مكان ميلادها ، فقد ولدتها أمها في حوض البرسيم ، الذي يقع يمين الجادة ، جادة تتوسط المزرعة ٠٠ وتؤدي إلى البئر التي يسقى منها الزرع ، المزرعة التي كان والدها يعمل وقافاً عليها بالأجر (يزرعها بالنسبة) ، قبل أن يموت وتعطى لوقاف آخر ، ولأنها ولدت يمين الجادة المؤدية إلى البئر ٠٠ سماها يُمنى ، ابتليت يُمنى بمرض البرص ٠٠ وتُعيّر به ، حتى أن كثيراً من سكان القرية لا يعرفون اسمها الحقيقي وينادونها بالبرصاء .

أما الفتاة الصغرى فتدعى يُسرى ، ولدتها أمها في حوض البرسيم الشمالي ، حوض يقع يسار الجادة وليس يمينها ، ما دعا والدها لتسميتها بيُسرى ، تكنى يُسرى منذ طفولتها بالسببة (الغبية) ، وهي كذلك ، سمينة ، أنجاها الله من البرص .

تنتسبان الفتاتان لعائلة آل مقصعة القمل ، وهي عائلة شهد لها بالفروسية ، فأحد أجدادها شوهد وهو يحمل قربتين فوق ظهر الأسد ويقوده كما يقاد الحمار ، تأديباً له ، هذا ما قاله التاريخ والتاريخ لدى الرعاع من الثوابت ٠٠ جميع الرعاع .

مستوى جمال الفتاتين متوسط باستثناء جاذبية يُمنى (مملوحة) ٠٠ وقوام يُسرى السمين (ريانة العود) ، والقوام السمين هو الأهم في نظر متذوقي النساء في تلك الحقبة من الزمن ، الذكاء لا يهم ٠٠ الجاذبية وخفة الدم إن حصلت منها وبها ٠٠ أما النظافة الجسدية فغير مبال بها البتة .

يرافقهما ابن عمهما ، يدعى صَرَار (بفتح الصاد) آل مقصعة القمل، رجل في متوسط العمر ، لم يرزق بأبناء ، العقم منه أو من زوجته ذلك علمه عند الله ، رجل بخيل ، زوج أختها الثالثة ، صيته ، والمتوفاة قبل شهر من الآن ، كانت رحمها الله تعيره دوماً أبو زنوبة ، كونه يلبس حذاء نوع زنوبة ، وهو نوع رخيص الثمن ، أما النعال المحبوكة من الجلد المسماة الزبيرية ، فقيمتها تجعل من المستحيل عليه اقتناءها .

لم يعد صَرَار يحتمل الصرف عليهما بعد الآن ، ومن كانت تجبره على ذلك قد ماتت ، فالبخل الذي جبل عليه وجعله يلبس زنوبة ، لن يجعله ينتظر نصيبهما في الزواج من أن يأتي في حينه ، بل عليه الذهاب إلى العاصمة للبحث لهما عن زوجين ، يقدمان مهرهما له على طبق من نحاس ، عل هذا المهر، أن يسدد بعض ما صرف عليهما من فتات العيش في السابق ٠٠ فهو ابن عمهما الوحيد ويحق له شرعاً أن يكون الولي في أي عقد لقرانهما ، ما دام والدهما قد توفي وليس لهما إخوان ذكور.

الشمس حارقة والهواء الحار يلفح وجوه الركاب ليمنع تصبب العرق ، يا لصبرهاتين الصبيتين ٠٠ حشرتنا في زاوية الصندوق الحديدي ٠٠ تحت أشعة النظر الشبقي المتواصل من جميع رفاق الرحلة الشهما ، والمطبات الحجرية ترفعهما إلى الأعلى ثم تسقطهما صندوقاً ، ولولا أنهما متمسكتان بحافة الصندوق لسقطتا من عل ٠٠٠

- آه ٠٠ آه الحمد لله .

البنيتان يحمدان الله بعد أن اشتبك الخط الصجراوي بالخط المسفلت ، تنفس الجميع الصعداء ذهب المطبات .

من بين رفاق الشهامة رجل ثلاثيني، ينتظر انتهاء المطبات ليفتح قناة اتصال مع صَرَار، يدعى معيط أبوخنز، عينه على أقدام الصبيتين ٠٠ ماذا يستفيد أبوخنز من التحديق بشباشب قديمة ٠٠ بها أقدام غير نظيفة ؟ أم تراه ينظر إلى مكان ويشعر بمكان آخر .

أخرج من جيبه باكيت دخان ٠٠ نوع أبوبس ، سحب منه سيجارة ، ثم قدمها إلى صَرَار آل مقصعة القمل وهو يبتسم قائلاً:

- تفضل يا عم ٠٠ دخن ٠٠ المسافه طويلة .

يا لهذا المجازف ، ألا يخاف أن يكون صرّار هذا من محاربي التدخين القدامى ؟ ، أم تراه لمح فيه الزكرته ٠٠ من شاربه الكثيف وعوارضه المحسنة .

بسرعة عجيبة وكأنه يخطفها من يده أخذها صرّار وأشعلها بنفسه ، سحب نفس عميق ثم قال بصوت خافت ، وهو يدنو من إذن معيط أبوخنز :

- أنا معي بنتان ٠٠ يتيمتان ومتوجه بهن إلى العاصمة ، لرفيقي منذ سنين / زعيط بن فنو ، قهوجي الشيخ زحزيح خوي الكبارية ، عسى الله أن يرزقهما بابني حلال ٠٠ عن طريقه ، إن عرفت أحد له رغبة في الزواج بأيهما !! فأبلغني.

لافتة دعائية ناطقة للترويج ، ومن رغب فليتقدم ، والبضاعة ليست مسلوية الإرادة ، لا تنتظر إتمام الموافقة من الولي لتنفذ ٠٠ صح لسانك.

نحن قوم أحرص العالمين على نساءنا ، لا نأخذ موافقة عقد نكاحهن منهن ، ففي أغلب الأحيان يُغم عليهن ، بل نأخذها منا نحن الرجال ٠٠ الأشاوس الغيورين ، ألسنا كفلاءهن وأولياءهن وعزوتهن والغيورين عليهن ؟ لماذا لا نصر على أن نوقع على عقد نكاحهن بأنفسنا ؟ ، ليس كما يفعل أهل النيل ، فان كان لديهم أدلتهم كما يزعمون ، فنحن أيضا لدينا أدلتنا .

لافتة أثار ما بداخل معيط أبوخنز ، ما دعاه أن يدنو من صرّار وهو يبتسم قائلاً :

- يا أخي إذا لم يجد رفيقك القهوجي زعيط بن فنو لهما عريساً فأنا معيط أبوخنز ، أبحث لهما عن عريس من تحت الأرض ، لا تهتم ٠٠ ما دام موضوعك عند زعيط ومعيط فاعتبرهن متزوجات .

فجأة أطبق السائق الرجة بقدمه على دواسة الفرامل ، ما دعا ركاب الصندوق وبلا إرادة أن يتدحرجوا من الخلف إلى الأمام ٠٠ بخوف وانزعاج ٠٠ إلا من تدحرج باتجاه الفتاتين فلم يكن لا خائفاً ولا منزعجاً ، بل على العكس تماماً ، وهو في ذلك غير مُلام ، فقد هزه الشوق إلى السواد فتدحرج إليه.

ما الذي حدث ؟؟ ما الذي دعا السائق إلى التوقف المفاجئ ؟؟.

السائق الرجة لمح ضباً هارباً يقطع طريق الإسفلت من الشرق باتجاه الغرب ، فأوقف السيارة فجأة ٠٠ ليس تحاشياً لدهس الضب ٠٠ تمشياً مع توجهات منظمات حقوق الرفق بالحيوان العالمية ، بل للاستدارة وللحاق به إلى حيث يسكن ، من المؤكد أن هذا الضب يعيش في مستوطنة

تعج بأنواع الضبان ، جحور كثيرة سيجدونها ، هنا أو هناك ، فالموقع يبدو مضبة ، ما يعني مكان صيد وافر ٠٠٠ ضمنوا الجماعة إداماً لغدائهم .

خرج عن الطريق العام ٠٠ الى اليمين ، صار يمشي بسرعة أقل ، تعالت الأصوات :

- وقف ٠٠ وقف ٠٠ هذا جحر ضب ٠٠٠ وهناك ٠٠ وهناك جحر ثاني.

قفز الجميع من صندوق القلاب بعد أن توقف في وسط المضبة ، بقيت الفتاتين وحيدتين فوق الصندوق الحديدي الساخن ، وحرارة الشمس تلهب العباءتين ، فاللون الأسود جذاب للحرارة كما هو جذاب للناظرين من المسافرين على الصندوق ، لم يجدي نفعاً قطعة كرتون اطوالها ٣٠سم ❖ ٣٠سم ، تصدق بها السائق عليهما لتقيهم حرارة الشمس .

انتهى مقناص الضبان الممتع ، سقى الله زمان الأمويين والعباسين والقنص الراقي ٠٠ حمام وحباري ٠٠ غزلان وجواري ، صيد وافر ، بين أشجار الدوح ، أما صيد ركاب القلاب هؤلاء ، في هذه الصحراء القاحلة ، والتي نبات الصبار بجلالة صبره هرب من العيش فيها ، فهو سبعة ضبان ، بينهم ضب عجوز يبدو أنه جد ، وضبيب صغير يبدو أنه الحفيد ، وعلى البيعه جربوع تم اصطياده بالصدفة ، يلهث من التعب ، يبدو أن مطاردته كانت مضنية ، فالطرادين كثر ، يا لغبائه ، عندما سمع دبك نعالهم فوق جحره ، هرب من الباب السري الذي عادة ما يكون جاهزاً للخروج ، فالجربوع يضع له منطقه ، والمنطقة هي باب سري آخر غير الباب الذي يعتمده للدخول والخروج وقت الأمان ، عكس الضب الذي لا يصنع سوى باب واحد لجحره ، الجحر الذي إن دخله فهيئات أن يستطيع أحد الدخول عليه أو هدمه على رأسه ، أسلوبان هندسيان مختلفان لبناء المسكن ، الأول يضع الهروب نصب عينيه ، والآخر يعتمد الصمود ، ترى أيهما أحكم ؟ ، من اتبع مدرسة عمرو بن العاص أم من اتبع مدرسة معاوية بن أبي سفيان ؟ ، فكلنا نتذكر مناظرة معاوية و عمرو بن العاص ٠٠ على من هو أحكم من الآخر ، عندما قال عمرو: أنا أحكم منك يا معاوية لا أدخل بلداً إلا وقد أمنت لي مخرجاً عند الضرورة ، لكن رد الداهية معاوية كان أدهى ، عندما قال : يا عمرو أنا لا أدخل البلد وأنا أفكر في الخروج منها أصلاً ، نخلص إلى القول أن الجربوع اتبع نظرية عمرو ابن العاص بينما الضب عمل بنظرية معاوية ، وهنا يبرز سؤال مهم ، لو عاش معاوية في عصرنا وعلم بالإمكانات العسكرية المدمرة من قنابل

تخترق الصخر وطائرات ب٥٢ التي تهدم المدن ٠٠ هل تراه يصر على طريقته ، الإجابة ٠٠ لا ورب الكعبة .

أوقدت النار ، الصيادون فرحون مستبشرون بما صادوا ، أركبوا القدر مسرورين ، والبنتان ما زالتا فوق ظهر الصندوق الحديدي ، تصطليان بصالي شمس الظهر ٠٠ معززين مكرمتين ٠٠ نعم وهل هناك أعز من أن تبقيا في الأعلى والرجال على الأرض تحت أقدامهما ، في ظلال سيارة القلاب ٩.

تكفل بعمل شواء عكر الضبان شاب يافع ، داكن اللون ، يقال له دحمان الدفش، طوال وقت الرحلة يستنشق الهواء دون مناسبة ، يمسح أنفه بشماغه بين وقت وآخر ، لديه زكام مزمن ، لذلك يكنى "أبو نشقه" ، اشتكت منه الأخت الصغرى يُسرى لأختها البرصاء ، لتحرشه بها أثناء الصعود إلى سطح القلاب .

اختار دحمان الدفش أكبر عكرتي ضب واعتنى بشوائهما وأوصى بهما إلى البنيتين ، تبرع معيط أبوخنز بكل شهامة بتوصيل العكرتين الناضجتين إليهما ، فهو الجار جلوساً لهما على سطح القلاب أثناء الرحلة ، تبعه صرّار كالأبله ، قدماها للفتاتين ، كل صببية أعطاهما معيط أبوخنز عكرة ضب ٠٠ قبلتا الهدية بكل ممنونية ٠٠ فالجوع قتال والعكرة ألد ما في الضب . انتهت حفلة الصيد والطبخ والشواء ، واصلت رحلة القلاب مسيرها إلى أن وصلت إلى بطحاء العاصمة .

الوقت بعد المغرب بساعة ، تأخر مقبول إلى حد ما ، أنزل الركاب ، تفرقوا جميعاً مشياً على الأقدام ، اتجه صرّار آل مقصعة القمل ومعه الفتاتان إلى حي ثليم غرب البطحاء ، بعد أن ودع معيط أبوخنز و دحمان الدفش دون بقية الركاب ، فقد صار بينهم روابط روحية ، عكرة ضب مع دحمان الدفش وسيجارة مع معيط أبوخنز وهذا أهم من روابط العيش والملح ، تبادل معهما الكروت التعريفية الشفوية ، من خلال توصيف منزليهما اللذين يعيشان فيهما ، الواضحين تماماً لمن أراد أن يقصدهما .

المعلم الرئيس المجاور لمنزل معيط أبوخنز هو مقبرة العجلية ، والذي سهّل مهمة صرّار ٠٠ لمعرفة مكانه .

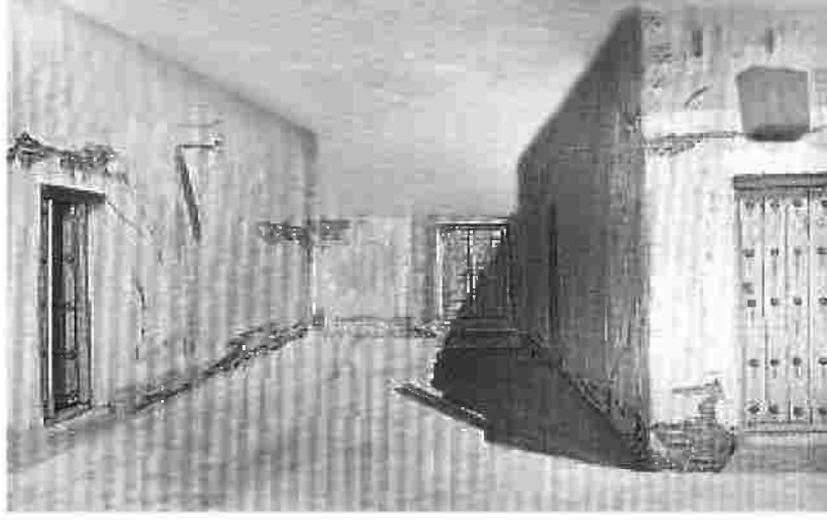
منزل دحمان الدفش مرتبط بمقبرة أخرى أيضا ، مع اختلاف المسمى ، فدحمان الدفش جار لمقبرة العود ، وعليه فالمنازل أوضح من سقط اللوى بين الدخول فحومل .

في عرف أموات القلوب النابضة هؤلاء ، السكنى بجوار المقابر أمر مقبول ، لا بل في بعض الأحيان أمر محبب ، كونه سكناً مجاوراً لأماكن مهجورة ، يمارس فيها ما خفي وعظم ، بلا حرمة لساكنيها ، يرون قبور أسلافهم صبح مساء ، ولا يحنّون ولا يلففون ، أو لنقل على الأقل يخلجون .

أخبراه كذلك عن طبيعة عمل كل منهما .

معيط أبوخنز يعمل مروّس (طبّال) ، ومع أكثر من فنان ، هواة ومحترفين ، في الأعراس والمناسبات الخاصة ، ولا ننسى الكشتات ، دخله غير ثابت ، والمردود ليس دائماً مبلغ مالي ٠٠ علب سجائر ٠٠ أكل ٠٠ شراب ٠٠ بشت ٠٠ جاكت مستعمل ، المهم أن لا يخرج خالي الوفاض . دحمان الدفش يعمل في تغسيل الأموات ، مقابل ما تجود به نفس أهل الميت بعد انتهاء عملية الغسل ، واللذين غالباً ما يكونون في حالة عاطفيه جياشة تجاه ميتهم ، وخاصة عند إبلاغهم عن كرامات مزعومة لميتهم تحدث عند غسله أو دفنه ، وقتها سيغدقون العطايا عليه .

مقبرة ثليم



مقبرة ثليم / جدارها الغربي مطل على شارع الوزير والجدار الشرقي ملاصق لمنازل حي ثليم ،
بينها يقع منزل القهوجي زعيط بن فنو .

منزل اشتراه له ، معزبه وولي نعمته (مديره) ، الشيخ زحزيح ٠٠ خوي الكبارية ، وزحزيح هو ابن
الزحزيح الأكبر والذي كان يعمل في تجارة الرقيق قبل تحرير العبيد ، تخصص نساء ، كان
الزحزيح الأكبر ٠٠ من كبار التجار في زمنه قبل أن يموت ، كان يستورد بضاعته من الفتيات
عن طريق النهب ، وأحيانا عن طريق الشراء المباشر من حلة العبيد ، عفوا ٠٠ عفوا ٠٠ نقصد حلة
الأحرار ، يتم استيراد هذه البضاعة الخارجية ، عن طريق دول الساحل الشرقي للجزيرة العربية
، وقد اعتبر زمن الزحزيح الأكبر في رأي الحقوقيات زمناً غابراً ، ولّى دون رجعة ، والفضل يعود
في ذلك إلى الله ثم إلى قرار الأمم المتحدة ، المتضمن عدم قبول أي دولة الانضمام إلى الأمم
المتحدة ما لم تتوقف عن التعامل بعنصرية في مجتمعاتها ، بعدها تغير الحال عقباً على رأس
وليس العكس .

أوصى الزحزيح الأكبر البائد ، ابنه الزحزيح الأصغر المعاصر ، خوي الكبارية ، أوصاه قبل
وفاته ، أن لا يترك مهنة آبائه وأجداده تندثر ، وأن يتم تغير آلية المهنة فقط لا أصلها ، بمعنى
تغير شكلي لا نوعي ، وأن يستمر فيها مع تغيير في التكتيك للالتفاف على القرار الأممي ،
وذلك بأن يستوردن من بيوت عوائل الجزيرة ، كعرائس يزوجهن لعلية القوم المميزين ،
اجتماعيا واقتصادياً ، يعقد قرانه عليهن بالوكالة ، مقابل مبلغ من المال (سمسرة الخطبة)

تدفع له قبل الدخول على العروس ، وإن صار هناك مماثلة من المتذوق ٠٠ عفواً ٠٠ نقصد المتزوج ، ماطل في دفع مبلغ السمسرة ، يقوم الزحزيع فوراً بتطبيق العروس قبل الدخول عليها من قبل الكبارية ، حسب الوكالة الممنوحة له .

وإن تمت العملية بيسر ومصداقية قضى العريس سعادته مع العروس ، حتى يرغب في التغيير ، عندها يطلب من الوكيل الزحزيع خوي الكبارية تطبيقها ، هنا ينفذ الوكيل دون نقاش ، يبلغها بالطلاق ، والشرع يجيز له ذلك ، (زواج مسيار المتقدمين قبل أن يكتشفه المتأخرون) ، وغالبية القوم ٠٠ معهم معهم ٠٠ عليهم عليهم ، ابن تيمية رحمه الله يقول : يجوز الزواج بنية الطلاق على أن لا يخبرها ، اسمع واقنع ' ولا تجادل ، أما قول الإمام مالك رحمه الله ٠٠ كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر فلا ينطبق على قبلك قول ابن تيمية بالمطلق .

يمكن تلخيص القول : أن مسمى عمل الزحزيع خوي الكبارية الرسمي ، مزوج كبارية .

عوداً على منزل القهوجي زعيط بن فنو ، فهذا المنزل يطل من جهته الشرقية على الشارع الرئيس ، ومن جهته الجنوبية سكة سد ، نهاية هذه السكة باب المقبرة المهجور ، لم يعد يفتح بعد أن امتلأت قبور المقبرة فيها بمدفونيتها ، رُبطت دفناً باب المقبرة بقضيب معدني لضمان عدم السماح للعابثين من الدخول ، وأن أصروا على الدخول ٠٠ فعليهم القفز من فوق السور الطيني ، غير المرتفع البنيان ، صارت حواف دفتي هذا الباب مغطاة بالسوايف الترابية ، وهذا طبيعي ، فعندما تهجرك الحركة ٠٠ جماداً كنت أم إنساناً ٠٠ تغزوك الذرة الغبارية لتسكن فوقك .

باب المقبرة هذا لا يبعد كثيراً عن باب بيت زعيط بن فنو النسائي ، فلبيت زعيط بن فنو بابان ، باب رجالي مطل على الشارع الرئيس ، وباب نساء مطل على سكة السد الموجود بها باب المقبرة .

طرق باب صديقه زعيط بن فنو ٠٠ قهوجي خوي الكبارية ، فَتَحَ له الباب .

- يا أهلاً بصرار آل مقصعة القمل ٠٠ وألف أهلاً بمن معه ٠٠ تفضل " تفضل .

أكثر زعيط بن فنو من الترحاب وعينه لم تنزل من على الفتاتين ، حتى وهما تلبسان عباءتيهما ، ومن قال أن العباءة تمنع الناظرين .

لم يُرحب بالعنصر النسائي مباشرة، ولم يقل لمن : ادخلن، فالحشمة تقتضي أن لا يخاطبن أو يهلاً بهن بلا وسيط، فإبليس حاضر والحرص مطلوب درءاً للمفسدة.

القهوجي زعيط بن فنو رجل ملسون ، له لحية مخنجرة (سكسوكة)، يصبغها أول النهار وآخره ، يتعطر بدهن العود الذي يحمله في جيبه ، عمره الآن تجاوز الأربعين عاماً، لكنه ما زال عشريني الهوى ، جبار ، لسانه ليس رطباً بذكر الله ، فبالرغم من أنه جار منذ سنين لمقبرة ثليم ، إلا أنه لم يُسلم على الموتى ولو لمرة واحدة ، خاصة إذا علمنا أنه يدخل ليلاً إلى المقبرة عندما يحل موسم جني نبات الكمأة (الفقع) والناس نيام، يبحث عنها بين القبور ، هذا قبر ينبش الكمأة من جانبه وهذه الكمأة ينبشها من أحشاء ذلك القبر وهكذا .

ابنه البكر والقعدة(آخر العنقود) بنفس الوقت يدعى خنيفس، طالب في الخامسة ابتدائي رغم أنه في الرابعة عشرة من عمره ، معقد من مادة التعبير . زوجته اسمها موزة ٠٠ تنتمي لنفس عائلته (بنت عمه) ، توقفت عن الإنجاب بسبب عارض صحي ، وهي تعتقد أن السبب ، عين حسدتها من أن تلد أبناء من نسل القهوجي زعيط بن فنو ، ربما أنه من الجنس الآري مع فارق اللون ونحن لا نعلم .

مضت الساعات الأولى من الضيافة وزعيط بن فنو يجلس عند زوجته موزة داخل البيت أكثر من جلوسه عند صرّار في مجلس الرجال ، ينهر ابنه خنيفس بأن يذهب ويلعب في الشارع ، مع أن الوقت ليلاً وأولاد الناس نيام، عينه على البننتين عند القيام والجلوس ، يتعير عليهن بمعاني صريحة ، بها من الوقاحة شيء كثير ، يخفف من دمه بنكات وطرائف غير محتشمة (لا حياء ولا ميز) ، كيف لنا أن ننشد الحياء من قهوجي ، يعمل تحت إمرة خوي الكبارية ، ويلبس سناً صنع من الذهب ، ويتعطر دوماً بدهن عود ، شرّه به ٠٠ بعد أن فسد.

زوجه موزة ، آمنة عليه من أن يتزوج إحدى هاتين الضيفتين ، فالفارق شاسع سناً ونسباً ، وعليه ٠٠ تراها غير مبالية بجلوسه معها ، ولا تغار من محاكاتها ، كيف تخاف وإحدى

هاتين الفتاتين برصاء ، والرجال يخافون من ذوات الأمراض الوراثية المعدية بالتنازل ، ويشمل الخوف بطبيعة الحال ، الارتباط بالأخت السليمة ، فلا ضمانة من الأجنة الوراثية .

أصبحوا وأصبح الملك لله ، تناول الجميع الإفطار ، شربوا القهوة والشاي ، غادر زعيط بن فنو وضيفه صرّار آل مقصعة القمل ٠٠ متوجهين إلى مقر عمل زعيط بن فنو ، إحدى قصور الفوطة الطينية .

دخلا القصر، بُهر صرّار من عدد الدلال والأباريق التي تصطف في الوجار، وجاراً صنع من الجبس الأبيض المزركش ، راح زعيط بن فنو يستعرض أمامه في غسيل الأباريق أمتنوعة حجماً ولوناً ، ودلال القهوة البغدادية الصنع ، والتي لا يقتتها سوى الأغنياء .

استعراض غسيل ٠٠ أعقبه استعراض تلميع ، كل ذلك استعداداً لملئها بالقهوة والشاي قبل أن يشرف الشيخ زحزيح خوي الكبارية المكان ، يا للزهو الذي عليه زعيط بن فنو ، ولم لا ؟ ، فعندما تعمل عند ذي هيبة اقتصادية نوعية ٠٠ صاحب علاقات عامة على أعلى المستوى ، فأنت مهيب ومحسود على هذه المهنة .

أقبل الصبي عاشق إلى القهوجي زعيط بن فنو ، يستعجله القهوة والشاي ، فالشيخ أخذ مكانه في المجلس وينتظر.

- توكلنا على الله يا صرّار ٠٠ وامش خلفي ٠٠ واحمل الفناجيل ٠٠ وإذا عرفتك على الشيخ ٠٠ قبل خشمه .

توجيهات زعيطية إلى صرّار ٠٠ كي يقربه زلفى من الشيخ زحزيح ، ربما ينال شرهة مجزية يتقاسمها معه ، أو يسعده الحظ ويوصي بتعيينه بمرتبة خوي ، خوي كباريه ، فتصبح الفتاتان في مقربة منه .

حصل اللقاء الميمون وجلس صرّار في طرف المجلس ، يبدو عليه الارتباك ، فهذه هي المرة الأولى في حياته ٠٠ التي يقابل فيها الشيخ زحزيح بلحمه وشحمه.

بدأ المنتدى المجلسي باستهبال بعض الجالسين على بعضهم البعض ، والهدف إضحاك الشيخ زحزيح ، تلا ذلك إلقاء بعض الكلمات المتعلقة بالمرأة ، وجرى خلاله استعراض بعض الأسماء الجاهزة للزواج .

لاحظ الشيخ زحزيح ٠٠ أن صرّار ساكت، كأن على رأسه الطير ، نظر إليه ، وبعنو ليس صادقاً ، وبمصاحبة رشفة من القهوة قال :

- تعرف تقول شعريا صرّار ؟ .
- والله يا شيخ ٠٠ ما أنا والشعر ولايف.
- هل أنت تاجر ؟ .
- وين أنا ٠٠ والتجارة وين.
- جاي عشان تعرس ؟ (للتزوج).
- العرس وجع ضررس يا شيخ ٠٠ وأخذنا نصيبنا منه ٠٠ وماتت وافتكينا .
- لعنبو شيطانك ٠٠ وش انت جاي للعاصمة تبي ؟ (لماذا أتيت إلى العاصمة) .
- جاي أتسبب في بنتين بكر ٠٠ يتيمتين ، عسى الله أن يرزقهن بابن الحلال .
- بنتين بكر ؟؟ دخله ٠٠ دخله يا زعيط بن فنو للمختصر نكمل السالفة ، سوالف خويك صرّار هذا زينة مرّة .

تم الانفراد بصرّار، وبعد المفاهمة معه ، تم توجيهه بالقبول بتزويج السمينة يسرى ، غير المصابة بدأ البرص إلى الشيخ زحزيح ، في زمن مكشات الربيع ، بين روضات الصمان ، والتأكيد على أن يكون الخبر سرياً ، مقابل مبلغ من المال ، يعطى له كاش ، وتم مكافأة زعيط بن فنو على سعيه بذلك ، بتزويجه من الأخت الأخرى البرصاء يُمنى ، وعلى حساب الشيخ الخاص ، كونه من عرف الشيخ الزحزيح بصرّار والبكريتين ، مكافأة ترقى لمستوى الهدية ، أليست (المرأة أحلى هدية خصّ الله بها الرجل) كما قال جويار .

زحزيح وزعيط ، أمر ومأمور، يتهاديان البكريتين ، آخذين بالاعتبار ، مفاهيم :
٠٠ الحرية في الاختيار

٠٠ والحفاظ على الكرامة.

٠٠ وقبل هذا وذلك ٠٠ هوى القلوب .

مفاهيم تطرح قبل عقد النكاح ، نعرفها نحن شلة العقد والحل ، ولكننا نحكم بوقف تنفيذها إلا على نطاق ضيق ، فنحن لا نريد أن نوسع على الأمة النسائية ٠٠ بتفعيل مثل هذه المفاهيم ، ومن لم يعجبه عدم تنفيذ هذا الحكم الصادر على هذه المفاهيم ، فالخطر عليه ،

دنيا ودين ٠٠ (رحم الله أبا تركي حين وبخ وقال : ها الحين الله يوسعها من عنده وأنت تضيقها من عندك).

اشترط الزحزيح أن يتم تأجيل زواج القهوجي زعيط من البرصاء إلى أن ينهي الشيخ موضوع زواجه من السبهة السمينة يُسرى ، فليس من الممكن والمعقول أن يصبح زعيط بن فنو عديلاً للشيخ زحزيح ، خوي الكبارية ، تاجر الرقيق الأوحده في المنطقة سابقاً ، والمشهود له بالزيجات المميزة حالياً.

بهذا حلت في المختصر معضلة تزويج الفتاتين اليتيمتين البكريتين ، وتم إزالة الأذى عن صرّار في الكد عليهن . صحيح أن هناك إشكالية اجتماعية ستطال صرّار ، كونه زوج القهوجي الأسمر ٠٠ أبو سن ذهب ٠٠ ولكن مبرره الوحيد أنها فتاة معيبة بالبرص ، تزف إلى قهوجي معيب بأمور اجتماعية ، وآل مقصعة القمل يتحملون المسؤولية هم أنفسهم ، الفتاة قاربت العشرين ولم يتقدم لها أحد ، بل على العكس من ذلك ، يسخر منها الرجال قبل النساء ، وبناء عليه وعقاباً لهم ستتزوج قهوجياً ذا لون داكن يلبس سن ذهب ، يجلب لهم بعض الحرج ، عليهم يشعرون بالندم من إحراج من لا ذنب لها فيما هي فيه .

لا ما فهمت لا ما دريت / لا ما عرفت أنك دريت ٠٠

يا لحرصنا على فتياتنا ونسائنا بين العالمين ، فنحن من يرأف بالمرأة ويصونها ويجعلها معززة مكرمة ، فتلك البرصاء يُمنى وشقيقتها السببة يُسرى ، قُدم لهما عكرتي ضب فوق صندوق القلاب لتسدا بهما رمق الجوع وهاهما تُزوجان بسرعة البرق لتتجيا من العوز.

جُهزت السببة يُسرى خير تجهيز ، بعد أن ذهبت بها موزة إلى الطيبة الشعبية المسماة هلة ، لتسقيها من عشبة عزرت ، وهي عشبة سامة تمنع الإنجاب لمدة ليست بالطويلة ، لكنها على المدى البعيد قد تكون ضارة ، أُبلغت الفتاة أن تأكلها قبل المساء ، فهي أحقر من أن تلد للشيخ زحزح ، وما الضير في أن تكون عشبة عزرت عشية ضارة على المدى البعيد ، وحتى لو كان لها آثار جانبية على الرحم ، فالرحم لمن ؟ وهذا هو السؤال .

أُخبرت العروس بعد ذلك بما لها وما عليها أثناء الزفة ، تحت عنوان ، السمع والطاعة لكل ما يقال لها روحيا وجسدياً ، فالمرأة المحترمة هي من لا تقول لوليها لا ، ولمن تتزوجه سمعاً وطاعة يا زوجي ٠٠ يا عزوتي ٠٠ يا بعلي ٠٠ يا من يؤكلني ٠٠ يا من يسترني ، وهذه هي عناوين الحماية والقيمة المطلقة للمتزوجة .

زفت العروس السمينة المدعوة يُسرى ، قبيل المغرب (وقت صفرة المغرب) ، إلى عريستها الزحزح ، في خيمة أطوالها ٤❖٤م ، قُصد أن يتزامن الزواج مع ليلة صقيعها يقص المسمار (برد شديد) كما يقال في الأمثال ، أسموها ليلة دفء ٠٠ حتى وإن هب الشمال عليها بالهبوب الشمالي ، وكلب الحراسة ينبح بين وقت وآخر ، وكأنه استشعر ذنباً ، يريد سرقة إحدى الأغنام .

البرصاء يُمنى كانت أكثر الفرحين لأختها السببة يُسرى، لما نالت هذا الشرف المهيب في هذه المصاهرة الأبهة ، والدليل على ذلك ، هذه النعمة التي تنعم بها ، غذاء وكساء وحشمة ، والتي لم تكن تحلم بها في يوم من الأيام.

يا للفرحة التي لم تتم ، ثلاثة أيام فقط بالتمام والكمال عاشتها يُسرى كعروس ، جاء بعدها الخبر اليقين ، خبر طلاقها ، ما أسهل قرار الطلاق لدى هؤلاء الزحازيح ، أسهل من شربة ماء ، خطبة ثم زواج ثم طلاق ، أنجزت بسرية تامة (لا من شاف ولا من درى) .
أه ٠٠ لو علم الكبارية بخيانتة لهم ٠٠ وعدم عرضه السمينه يُسرى عليهم ليتزوجوها ، لكن عقابه عسير ، لتبدأ ببصقه على الوجه ٠٠ وتنتهي بهجران يعود بعده ذليل ، وهذا على ما يبدو سبب تحديد الزحزح الصحراء مكان للزواج ، وتقليص أيام التمتع بالعروس ٠٠ إلى ثلاثة أيام فقط.

بخفي حنين عادة العروس بعد تطليقها ، وبرفقتها أختها البرصاء ، عادتا إلى بيت زعيط بن فنو ، محبطين ، ليس في حوزتهما ريال واحد ، فالمهران اللذان من الواجب شرعاً أن تعطيا إياه ، أعطي لوليها صرّار نقدا وعدا ، وبالعملة المحلية ، مهر من تم زواجها وطلقت ، ومهر من تنتظر اليوم الموعد ، استلمه الولي مسبقا قبل أن يقول: زوجتك ابنة عمي ٠٠ .

خبر الطلاق لم يكن مفاجئاً لصرّار آل مقصعة القمل ولا لزعيط بن فنو ولا لموزة زوجة زعيط بن فنو ، لعلم الجميع المسبق بنوعية زيجات الشيخ زحزح ، أما البنتان ٠٠ فقد نزل عليهما الخبر كالصاعقة .

صاعقة نزلت عليهما من أزواج بني يعرب النبلاء ٠٠ بين الخيام لا يرحمون ، فرسان شجعان ، يذودون عن شرف المرأة بالزواج منها ، أما الأزواج التقليديون ، الذين يسمون تجاوزاً بأبو نعيله ، فصاعتهم أدهى وأمر ، تعتمد في إستراتيجيتها على جعلها منتجة في الليل والنهار ٠٠ في البيوت والمزارع ٠٠ شاءت أم أبت ، ما يخصها من القرارات المصيرية في أيديهم ، كالحقيبة النووية ، لا يؤتمن عليها إلا الرئيس ، له أن يستمتع وينظر ويركل وعليها أن لا تبوح ببنت شفة ، إلا من رحم ربك ، أما شلة العقد والحل من الفاعلين والمتفرجين فيكتفون بالشهادة والتوثيق .

ناوي لك على نيه / بس انت اصبرشوية ٠٠

بعد سحابة الصيف العابرة بزواج السببة يُسرى ٠٠ ثم طلاقها ، بدء بتفعيل نية الزواج من البرصاء لتصبح واقع ، أصدر زعيط بن فنو أوامره الكريمة بأن تكون الجلسة لجميع من في بيته في بطن الحوي (وسط المنزل) ، جلسة جماعية ، كأسرة واحدة ، رجال ونساء ، يأكلون سوية ، ويشربون مع بعضهم البعض الشاي مع تقشيم الفصصص(عملية تقشير الفصصص) ، كل مقابل للأخر.

أن زواج السببة يُسرى وما تلاه من طلاق وما سيترتب عليه بعد ذلك ، أمر يتطلب اجتماعاً مفتوحاً للأعضاء الدائمين للخمة ، بجنسيهم ٠٠ الذكر والأنثى ، يتم التداول في شأنه بمنتهى الشفافية والجروح ٠٠ عفوا ٠٠ عفوا ٠٠ كنا نعني الوضوح ، صار الجميع يتناوبون بالتعليق والمداخلات في مندى وسط الحوي بردات فعل مختلفة .

” السببة يُسرى رغم غبائها إلا أنها تشعر بالخسارة الآنية على طلاقها ٠٠ وخنيفس يجلس أمامها ، يأكل الفصصص بلا تقشيم (أكل لب الفصصص مع قشرة) .

” البرصاء يُمنى تحترق من الداخل ، على هذا العز الذي تبخر ، كانت تأمل أن ينالها منه شيء ، حرقة زادها اشمئزاً منظر هذا الجالس أمامها ٠٠ يبتسم بمناسبة ودون مناسبة ، إنه المكنى بأبو خنيفس ٠٠ وأول حرف من اسمه زعيط بن فنو ، سهام عينية أرضية لا جوية .

” صرّار يقول في نفسه : المهر في الجيب ، والعريس الجديد آت لا محالة ، أياً كان نوعه أو جنسه ، سعادته لا توصف ، لم لا وموزة تسكب له بيالة الشاي ، الواحدة تلو الأخرى وهو لا يرتوي .

” موزة التي بدأ الزمان يظهر عليها استواءه ، والذي يذكرها زعيط بن فنو به بين وقت وآخر ، ليست مهتمة لما حدث ، تتبادل الحديث الكوميدي مع صرّار ٠٠ بغفلة من زعيط ، المهتم بالنظر إلى البرصاء في هذه الأثناء .

” زعيط بن فنو الأكثر سعادة ، فشرط تأجيل زواجه من البرصاء يُمنى قد زال ، وحن وقت طرح الموضوع بكل وقاحة على موزة المستوية ٠٠ عمراً ٠٠ وشكلاً ، يجلس مقابلاً للبرصاء ، يحرق بعينه ، يكرر التحديق لوجهها المشع بالبياض من تحت الشيلة .

فجأة وقف وكأنه قرر شيئاً وسينفذ :

- موزة ٠٠ تعالي - وجدري يخرق وجهك - للغرفة ٠٠ أبكلمك بموضوع (يدعي عليها بمرض الجدري).

عبارة رومانسية صدع بها زعيط بن فنو وهو يتوجه إلى غرفة نوم موزة ٠٠ التي تبعته بكل حماسة ، ثم أردف بعد أن استقرا داخل الغرفة وجلسا على حافة فراش النوم الذي لا يطوى أبدا ٠٠ قائلا :

- أمر علي الشيخ الزحزيع خوي الكبارية ٠٠ أن أتزوج البرصاء ، يريد الأجر ٠٠ الله يعظم أجره ، وهذا معزبي ، لا أستطيع أن أقول له : لا ، ولا تتسي أنني لم أرزق من الأولاد بعد خيفس ، الله يصلحه ، عسى الله أن يرزقني منها بعيال .
صدمت للحظات قبل أن تتمكن من الرد ، وضعت يديها على رأسها وهي تنظر إلى السقف ، وبصوت عالي قالت :

- ياويلي ويلاه يا زعيط بن فنو ، هذي تاليتها ، بعد العشرة الطويلة تتزوج علي ، ومن من ، من ها البرصاء ، أنت ما تخاف تتجب عيال برصان (مصابين بدأ البرص).
همت بالذهاب إلى وسط المنزل وهي تقول بصوت أعلى من السابق :

- والله إني لأطردهم الآن ، الغدارين ٠٠ قدمت لهم الحشمه والضيافة في بيتي ، وأخرتها يزوجونك علي .

وقف حائلا بينها وبين الباب وهو يصدح بالصوت عاليا .:

- وش ٠٠ يا موزة ٠٠ تطردينهم ؟

ارتبكت للحظة ٠٠ عادت ووضعت ذراعيها فوق بعضهما على الجدار وأسندت جبهتها فوقهما ووجهها إلى الجدار ، كالأطفال عندما يمثلون الاحتجاج بالبكاء ، ، تنهدت بعدها بحسرة ، استشهدت بالمثل الدال من وجهة نظرها :

- يا للحسرة ٠٠ صرت مثل من يشيل الخرج والخرج فيه حيه (الخرج هو ما يوضع فيه الحاجيات أثناء السفر قبل السيارات والطائرات) .

- شوي في يا موزة ٠٠ قلت لك أبي عيال ٠٠ حتى وان أتوا برصان ٠٠ فالبرصان أفضل من السودان ٠٠ والله ثم والله ٠٠ إذا تكلمت عليهم بكلمة وحدة ، تصبحين طالق بالثلاث ٠٠ الآن فارقيني إلى مطبخك يا الموزة الفاسدة .

خافت موزة بسرعة وسكتت إلا من تمتمات غير مسموعة:

- الموزة الفاسدة أزين من وجهك يا غسال الفناجيل .

قالتها وهي تغادر باتجاه المطبخ ، كاظمة غيظها.

في هذه الأثناء وبعد أن استشعر صرّار محور جدال موزة مع زوجها ، من خلال صوتهما المرتفع إلى حد ما ، رأى أن يخبر البرصاء بالخبر اليقين الآن ، والتي تعيش نوعاً من القلق من هذا الجو المكهرب والصوت المرتفع من داخل غرفة موزة ، ليبتها سمعت ما قيل حين ذكر اسمها ، لتكشفت لها الأمور ، لكنها وللأسف كانت في دورة المياه .

- شوفي وأنا ابن عمك ، ناداها بابن عمك للمرة الأولى ، حيث كان دوماً ينعثها بالبرصاء ، وهي تناديه بصرّار حاف .

- شوفي وأنا ابن عمك ، خطبك زعيط بن فنو لنفسه ، وأنا وافقت ، واليوم بعد العصر ٠٠ ستكون الملكة.

صعقت البرصاء ، نظرت بعد ذلك إلى أختها السببة يُسرى ٠٠ التي تغطي وجهها عن صرّار ومعه تغطي تفاعلها عندما تفتح فمها مقدار " واحد سم " عند الاستماع لأي موضوع يراه الآخرون مهم .

تلعثت ٠٠ لم تتعود على الجدل والرد في مثل هذه المواضيع ، مثلها مثل أمها وجدتها وجدّة جدتها ، لكن الزواج من هذا الزعيط بن فنو لا يحتمل ٠٠ فهي في مقتبل العمر وهو قد قارب الخمسين ، هي من عائلة عريقة النسب وهو أسمر اللون ويعمل قهوجياً ، أين أبناء عائلة آل مقصعة القمل ، كيف لبنت من آل مقصعة القمل أن تتزوج بزعيط بن فنو ، هل من نذير يبلغهم عن الشرف النسبي الذي سيُلطخ بزواجها من زعيط بن فنو ، ولكن لو وجد النذير ٠٠ هل سيستطيع جمعهم على فزعة لهذه البرصاء ، لا تظن ذلك ٠٠ فآل مقصعة القمل أضعفتهم بيوت الطين وفرقتهم الظروف الاقتصادية وجعلتهم يشمتون أول ما يشمتون ببناتهم.

- هل أنت مجنون يا صرّار ؟؟ تزوجني زعيط بن فنو ؟ والله لو لم يتبق من الرجال إلا هو

٠٠ لما تزوجته .

قالتها بصوت عال سمعته موزة وهي في المطبخ ٠٠ ما دعاها أن تأتي على عجل وهي بنصف غطوة وتعلق مباشرة:

- هي صادقة يا صرّار ٠٠ خف ربك.
 - يا موزة هذي برصاء ٠٠ ولن يتزوجها أحد ، دعيها تخدمك ، وتطبخ غداءك وعشاءك .
"عذر أقبح من فعل" ٠٠ فيه من الجلافة ٠٠ والجرح للكرامة شيء كثير.
- وهم على هذا الجدل ، أقبل عليهم زعيط بن فنو خارجاً من غرفة موزة بعد أن لبس الدقلة الكحلية ليبدو أنيقاً أمام البرصاء ، صاح بهم جميعاً :
- ولا كلمة ، قم يا صرّار نروح للمطوع (الشيخ الذي يعقد القران) يملكني عليها الآن
٠٠ ولا ترد العلم للنساء ، وأنت يا موزة انقلي أغراض ولدك خنيفس عن الغرفة الشرقية ، فهي صارت غرفة العروس يُمنى ، وسوف أشتري دوشق أبو نفرين وموعد الزواج هذا الأسبوع .
الدوشق هو اسم يطلق على فراش النوم ، وتم تحديد حجمه لنفرين تأكيداً لموزة إنه سيرقد مع العروس ، سوية عليه ، حتى الصباح ، وليس كما هو حاصل معها وفراشها المفرد ، ينام لوحده في غرفتها ٠٠ وتنام هي في الغرفة الشرقية مع خنيفس ، وإذا رغب بها ناداها دون تتسيق مسبق .
- تقبلت الضرة الأمر بصدر غير رحب ، البرصاء صارت تبكي ، السببة يُسرى أبقّت فمها مفتوحاً من هول المفاجأة حتى أغلق الباب بعنف من قبل العريس والوكيل بعد خروجهما.

يا من شاف العريس / يا من شافها ٠٠

أيقنت موزة أن الزواج حاصل لا محالة، ومنعه من قبلها من سابع المستحيالات، ولكنها لن تستسلم، لا بد من بعض المحاولات ٠٠ تشويش ٠٠ تأخير، المهم أن لا يتم بسلاسة، عل وعسى. التفتت إلى البرصاء بعد أن غادر العريس والولي لعقد القران، وبصوت خائف غير آبهة بوجود السببة يسرى وفمها المفتوح قالت :

- هل تتمنين الخلاص من زعيط بن فنو يا يُمنى؟.

- تكفين يا ام خيفس ٠٠ هذه أمنية العمر .

- كوني يا يُمنى خاتم باصبعي ، واسمعي كلامي ، سأذهب لأنظف غرفة حفار القبور بالمقبرة ، وأفرشها ، وقبل المغرب تهريين إليها ، وأكلك وشرابك مسؤوليتي ، وإذا غطوا في النوم ، سأعطيك إشارة بشيلتي(شال غطاء الوجه الأسود) مع السطح ، وسأترك حبل قفل الباب متدلياً من الخارج ، اسحبيه ٠٠ وادخلي ٠٠ ونامي ، وقبل أن يستيقظوا في الصباح ٠٠ ارجعي إلى المقبرة ، كلها أيام معدودة ٠٠ ويحلها الله من عنده .

حبل قفل الباب هو خيط قوي يربط من الداخل بمجرى قفل الباب ويمد من خلال ثقب في الباب إلى الخارج ، من أراد الدخول فما عليه سوى سحب الحبل ، والإذن هذا خاص بالأقارب والمعارف والجيران ٠٠ إما الأجنبي فعليه طرق الباب ، أسلوب يدل على الثقة وإعطاء صلاحية تحديد الزيارة للزائر وليس لأصحاب الدار ، أما حجرة حفار القبور فهي سكنى لمن كان يقوم بعمل حفر قبور الموتى في مقبرة ثليم قبل أن تمتلئ المقبرة عن بكرة أبيها ويتوقف الدفن فيها لتصبح حجرة مهجورة ، ومقيال للكلاب الضالة ، وكذلك مرتعاً للشباب والأحداث المنحرفين .

اصفر وجه يُمنى المبقع باللون الأبيض، شعرت بخوف شديد، قالت بصوت يستجدي :

- بس أخاف يتلبسني جنيا وأنا في المقبرة ، أو يطب علي ٠٠ أحد ها الدشير(المنحرفين سلوكياً) بالقايلة، أو تعضني الكلاب المنغلثة (المتوحشة) بالليل .

- اقرئي المعوذات ويهرب الجني ، أما إذا جاك أحد الدشير بالقايلة صوتي لنا وسنسمعك ، أما الكلاب ، فالحييب منها أمسحي على صوابره (أسفل الخدين)، أما الأقتشر منها فارجميه بحجر.

تَغيب يُمنى أو لنقل تهريبها حل مؤقت ٠٠ توصلت له موزة عسى أن تظهر غيرة زعيط بن فنو وشهامته عندما يعلم بهروبها عنه ، ويصبح في حرج كبير ، ولربما يصرف نظره عن الارتباط بهذه الجريمة التي رفضته نهائياً ، أين هربت ٠٠ هي لا تعرف احداً ٠٠ إلا يمكن أن تكون قد هربت إلى بيت معلوم ٠٠ تلقفها صاحب هذا البيت لغاية ، والشك واليقين لا يجتمعان بجوف رجل .

كل هذا الحديث يدور والأخت السبحة يُسرى تستمع بلا تفاعل ، مفتوحة الفم ، كأن المصيبة لا تعني شقيقتها الوحيدة ، ومع هذا تم تحذيرها من قبل موزة بأن لا تبلغ صرّار وزعيط بن فنو بمكان هروب يُمنى.

بحذر شديد تم تجهيز المكان وتأمين الماء ، أما الأكل فسيجهز في حينه .

زفت موزة ٠٠ البرصاء إلى المقبرة ، وأجلستها متكئة على بعض اللبن المهمل ، تم أزال القضيبي المعدني من على باب المقبرة واكتفي بتطريفه ، كي تتمكن البرصاء من الخروج من المقبرة والعودة عندما يهجعون وضعت لبنة من الطين خلفه ، لئلا يفتح الهواء دفته ، ويُعلم أن أحداً ما في داخل المقبرة ، تم تحديد العودة إلى المقبرة فجراً ، وتحديداً قبل أن يشق الصبح نوره وقبل أن يستيقظوا .

قرب من الخوف تأمن ٠٠ مثل طبقته موزة بحذافيره ، فلن يتوقع زعيط بن فنو ، أن البرصاء هربت خلف جدار بيته ، تسمع صوته وتأكل من زاده.
-درب ٠٠ درب ٠٠ يا ولد .

كلمة يرددها زعيط بن فنو وهو يفتح الدفة الثانية من الباب ليتسع ويدخل صاحب سيارة الوנית الحامل للدوشق أبو نقرين ٠٠ والمخدة أم نقرين ٠٠ والزولية الصوف ٠٠ وبعض الأدوات الشخصية للعروس بعد أن اشتراها عصر هذا اليوم ٠٠ عندما أنهى ملكته عند المطوع على البرصاء ، يردد ٠٠ درب ٠٠ درب وهو منشرح الصدر ويثني بعبارات صادقة على صاحب الوנית الذي نقل الحمولة من الديرة إلى أن أدخلها إلى الغرفة ، وختم بعبارة ٠٠ عافاك الله ٠٠٠ عافاك الله.

نبشت موزة شعرها وأسالت كحلتها على الخدود وكأنها قد بكت كثيراً ، وجلست في غرفتها ٠٠ تنتظر زعيط بن فنو أن يعطي صاحب الوנית كروته (مبلغ الأجرة) ، بعدها سوف يأتي بكل تأكيد ليسأل عن البرصاء.

دخل عليها ، لم يأبه بحالتها لاعتقاده أنه حزن على زواجه من غيرها ، سألها بقوة :

-وين يُمنى ؟

-يُمنى هجت ٠٠ يا خزياه ٠٠٠ يا خزياه يا زعيط بن فنو ، اقتضحنا يا أبو خنيفس .

وراحت تضرب بكفيها على رأسها وتُدخل أصابعها بين شعرها وتسحبه ، كأنها تريد تقطيعه.

-وين هجت ٠٠٩ عساك تهجين للخلاء مجنونة .

-والله ما أدري يا أبو خنيفس ٠٠ تلقاها عند العزاب أو عند الخبازين .

-دورتي (هل بحثتي عنها) بالسطح والغرف كلها؟؟

-يا رجل ٠٠ اختها يُسرى ٠٠ رأتها وهي تلبس عباؤها وتهرب ، أنا سامعة صوت الباب وهو

يقفل ، كنت بالحمام وانتم كرامه.

لم يقل إنا لله وإنا إليه راجعون ، بل انتخى وأزبد وأرعد وقال:

-أنا أبو خنيفس أبوه ، والله إني لأطلعها من تحت الأرض.

قالها ثم خرج إلى المصباح (بهو المنزل) ، ليجد صرّار يقف حائراً وقد سمع الجدل من الغرفة ،

فالصوت كان عالياً ، أمسك بيد صرّار الذي كان مستغرباً أكثر منه قلقاً ٠٠ وتوجه به إلى

الخارج وهو يردد :

-مشينا ندورها ، ملعونة الجدف (الجدف هو العصبة القبلية) .

وصاح لموزة :

- أحذرك ٠٠ لا يعلم أحد عن هروبها حتى نجدها.

قبل أن يصل إلى المجيب (المدخل) ٠٠ التفت إلى السبهة يُسرى وقال :

- يا ما ٠٠ تحت السواهي ٠٠ دواهي ، الظاهر أن كل البلى من تحت راسك يا الدربية

(السمينة) .

دفعته موزة من ظهره وهي تقول :

-يا رجال ما عليك منها ٠٠ هذي ما تعرف كوعها من بوعها

تقبلت السببة يُسرى الاستهزاء بها من موزة ، وعبرت عن ذلك بحك فروة رأسها بشدة وكأنها تقول لموزة لو قلت : **الناس في الناس والهيلة تحك الرأس** ٠٠ لأصبت المعنى ، أما صرّار فقد تقبل شتيمته من زعيط باللعن لجدف ابنة عمه ، وكأن الجدف ٠٠ لا يعني عائلة آل مقصعة القمل التي ينتمي هو لها .

تبعه مجروراً إلى الخارج ، يبحثان بشكل عشوائي عن الهاربة ، ليس لديهما معلومات سوا الاشتباه بمنزليين في الحارة ، الأول يسكنه عزاب ، والثاني يسكنه الزيود بجوار مخبزهم والتي نعتهم موزة بالخبازين .

بعد خروجهما دخلت موزة إلى خدرها ، راحت ترفع يديها إلى الأعلى ، تتمغط ، وكأنها تقول ، انتهى المشهد الأول من الخطة بنجاح أيها الرجل الغبي ، فهل يواكب النجاح بقية الخطة.

سارت ساعات الليل الأولى على البرصاء في المقبرة بطيئة ومخيفة ، خافت من الجلوس في ظلام غرفة حفار القبور ، خرجت تتنزه بين القبور ، تتوقف عن المسير بين وقت وآخر ، تنظر إلى النجوم بحسرة ، رأت كلبة يتبعها كلب ، وهما يقفزان جدار المقبرة إلى داخلها ، خافت ٠٠ قذفتها بحجر صغير وهي تردد :

- اطلعوا يا كلاب ٠٠ اطلعوا.

خاف الكلب والكلبة ٠٠ وعادا من حيث أتيا ، يبدو أنهما تفاجأ بوجود احد في المقبرة ، وقررا الذهاب إلى مكان آخر لا يوجد به أحياء.

الحمد لله ٠٠ مرت إشكالية الكلاب بسلام ، ولكن من يضمن أن لا تأتي كلاب مسعورة في المرات القادمة ؟.

ما زالت خائفة ، صارت تمشي بين القبور إلى أن أتت على قبر صغير ، جلست بجانبه وهي تفكر بصوت عالٍ:، ترى أيها المدفون الصغير في هذا القبر أنت بنت أم ولد ، إن كنت ولداً فأنت تعيس يوم أن لم تعش ٠٠ وإن كنت بنتاً فيا لسعادتك بالموت المبكر .

صار الشيطان يداعب أفكارها ، تريد أن تتسلى بلعبة تقتل بها هذا الوقت الموحش ، إلى أن تأتي الإشارة من موزة بالشيلة السوداء من فوق جدار حجا السطح ، تعلن لها لسماح بالدخول ، ابتدعت لعبة تلعبها ، ترمي حجراً على القبر البعيد عنها ، إن أصابته بالحجر فذلك يعني انه قبر

رجل ، راحت تطأه بأقدامها وإن لم تصبه بالحجر فذلك يعني أنه قبر امرأة فتقبله ، قررت التوقف فجأة وتذكرت أنهم أموات وأن الضرب في الميت حرام .

طال عليها الوقت والإشارة لم تأت ، صوت زعيط بن فنو المعتلي على جميع الأصوات يأتيها من السطح ، مكان النوم الصيفي ، يتوعدها ، يوجه انفعالاته لموزة ويلومها على عدم تسليط الرقابة عليها ، وإلى صرّار على تربيته السيئة ، وإلى السببة يُسرى٠٠ لعدم تبليغ موزة لحظة الهروب ، الرجل تأخر في النوم ، وعبس التمر يأتيها تباعا من سطح زعيط بن فنو ، يبدو أنه يقده (يأكل) من التمر الحشف بلا شعور (الحشف أوردى أنواع التمر٠٠ عادة يعطى بعد أن يصبح قديماً للحمير) ، ويرمي بالعبس إلى المقبرة بعصبية ، قدوع٠٠ يعني أن هناك قهوة تُرتشف ، الرجل لن ينام هذه الليلة ، يا لحال هذه الفتاة ، الوقت سيطول عليها والجوع بدأ ينال منها.

بعد مرور ساعة ونصف لمحت الشيلة وهي ترفرف كعلم فوقه نار ، ركضت إلى باب المقبرة وفتحته بهدوء إلى أن وصلت باب زعيط بن فنو ، جرت الحبل وهي خائفة من أن يصدر قفل الباب صوتاً عند فتحه .

الحمد لله انفتح الباب ، وجدت موزة وقد جهزت لها ما تبقى من العشاء على أرض المطبخ الأسمنتية ، راحت تأكل منه بنهم إلى أن شبعت ، الظلام دامس ، أحست بالأمان٠٠ بعد خوف المقبرة ، راحت في سبات عميق ، رغم أنها بلا فراش ، أيقظتها موزة وقت أذان الفجر :

-قومي وعودي إلى المقبرة٠٠ قبل أن يستيقظوا .

-انتظري لحظة٠٠ كي أصلي ، الصلاة لا تجوز في المقبرة .

-من قاله لك ، الناس دوما يصلون على الأموات بالمقبرة ، صل هناك .

أسرعت الخطى٠٠ صوب حجرة دافن الأموات وهي مكرهة وتردد :

-حسبي الله عليك يا صرّار أبو زنوبة .

استقرت في حجرة حفار القبور إلى أن بدأ يظهر شعاع الشمس ، قررت الظهور هي أيضا لتستمع بإشراق الصباح ، وأي إشراقة ، إشراق بين أموات ، استلقت على أحد القبور٠٠ راحت تُغمض عينيها ، تتذكر طفولتها في قريتهم ، يوم كانت تمرح بين البساتين كالفراشة وأختها السببة يُسرى٠٠ تتبعها كالبطة ، تذكرت عروستها الصغيرة التي كانت تصنعها بنفسها ، البركة واللعب بالماء ، راحت بسبات عميق لم يوقظها منه إلا صوت خفيف وهو يردد :

-البرصاء ٠٠ البرصاء ٠٠٠ لقيتها بيه٠٠ لقيتها بيه .

كأنه أرخميدس .. يوم خرج من الحمام وهو يصيح :: وجدتها ٠٠ وجدتها ، عندما توصل لقانون الطفو.

راح يجري باتجاه بيت والده قافزاً من حيث أتى ، هو وزملاؤه الأربعة الذين كانوا متغيبين عن المدرسة دون علم أهاليهم ، أتوا إلى المقبرة للتدخين . كعادتهم المستمرة منذ بداية العام الدراسي ، إذا تأمن لهم سجائر دخان.

ركض زملاء خنيفس خلفه وهم يرددون عبارته : لقينا البرصاء ٠٠ لقينا البرصاء ، وهم لا يعرفون من هي البرصاء ولا القصة من أصلها .

من يبشرني ٠٠ ويبشر بالبشارة ، هذه ردة فعل زعيط بن فنو الأولى ٠٠ على سماعه خبر ابنه خنيفس وهو يلعلع في المجيب (مدخل البيت) ، فرغم انه كان نائماً كعادته ساعة الصباح الأولى (وقت الصفرة) إلا أنه قفز من فراشه برشاقة تفوق رشاقة ابنه وشلته ، يوم قفزوا سور المقبرة العظيم ٠٠ عفوا .. القصير.

- هل أنت تقوله ٠٠ صادق ؟؟

-والله العظيم بيه ٠٠ شفها جالسة بالمقبرة .

توجه إلى المقبرة والصبية يتبعونه ، وجدوها جالسة ، أسقط في يدها وهي ترى زعيط بن فنو ، غطت وجهها بشيلتها ، فهي لم تعلم بعد ٠٠ بخبر الملكة ٠٠ وأن الرجل صار محرماً لها ، أمسكها من جديلتها وهي تمنع ، صار يجرها كما يجز القصاب عنزة من إذنها ليذكيها ، حتى أن ثوبها لم يعد يسترساقيها .

هنا ثارت حفيظة المراهق خنيفس وهو يرى عروس والده غير مستتررة ٠٠ والصبية يحدقون بسيقانها ، من المؤكد أنهم سيعيرونه بها في أقرب مضاربة ، أخذ يرمي قدميها بأحجار ليست كبيره وهو يردد :

- غطي سيقانك ياالبرصاء :

آلها زعيط بن فنو بجره لشعرها ٠٠ ولكن آلام أحجار خنيفس التي أدمت قدميها آلتها أكثر ، راحت تصرخ وهي تضع يدها لحماية قدميها موجهة كلامها إلى خنيفس :

- عسا هم والله يرجمونك بميدان الصفاة .

ثم التفتت إلى زعيط ابن فنو وهي تردد :

- اتركني يا أم الهكي، والله لو تذبحني ٠٠ ما أعرس عليك (أم الهكي كنية للسمر).
وين يتركها زعيط بن فنو ٠٠ أعمى ووجد شاته بعد ضياع، وبخ الصبية بأن يذهبوا بعيداً ،
الذين بدورهم فرحوا بأنه لم يأت على موضوع هروبهم من المدرسة ٠٠ ولم يحقق معهم ٠٠ لماذا هم
داخل المقبرة .

جسمها النحيل ٠٠ ساعد زعيط بن فنو أن يكمل مهمة سحبها إلى وسط البيت بكل سهولة ، ما
أن رآها صرّار حتى انقض عليها بالزنوبة ٠٠ يضربها على وجهها وهو يصرخ :
- أين نمت ليلة البارحة يا ملعونة الجدف .

يضربها وبؤرة عينيه باتجاه زعيط بن فنو ٠٠ ليرى استثناسه من تأديب صرّار، لعرض آل مقصعة
القمل .

تداخلت موزة بشهامة، وكأنها تريد كحالتها فأعمتها، هل هو عن قصد ؟ لا نعلم نيتها، قالت:.
- عيب عليك يا صرّار، ربما أنها لم تذهب إلى العزاب ولا إلى الزيود . هل أنت رأيتها بعينيك
التي سيأكلها الدود .

في هذه اللحظة أقسمت يُمنى بصلاة أمها وأبوها ٠٠ أنها باتت في المقبرة ، ولم تعتب على موزة
تشكيكها بمكان مبيتها ، لجهلها التام في كيد الضرات ، أو إنه مازال هناك لديها أمل
بموزة أن تستمر في جهود منع هذه الزيجة عاجلاً أم آجلاً ، ليس لديها خيار آخر .
هنا تدخل زعيط بن فنو ، بعد أن اطمأن لعرضه الجديد ٠٠ حينما أقسمت له ٠٠ بصلاة أمها
وأبيها ، رغم أن الحلف بغير الله حرام، إلا أن مثل هذه الإيمان، كانت دارجة في تلك الحقبة من
الزمن ، ولم يشن حملة تكفير لمن حلف بها ، أمسك بصرّار ٠٠ لمنعه من الاستمرار بضربها
بالزنوبة وهو يقول :

- خلاص يا صرّار، يُمنى بنت عاقلة ٠٠ ولن تعملها مرة ثانية ، ولو كررتها أنا من سيدبجها
، هذي زوجتي الآن ، خذها يا موزة وجهزها للزواج ، الوقت ضيق ٠٠ الزواج ليلة الجمعة
القادمة .

كل ذلك يحدث والسببه يُسرى منزوية في ركن المصباح ، تفرك يديها بعضها ببعض ، يا
للغرابة ٠٠ أخيراً أقفلت فمها وتفاعلت مع آلام أختها وأمسكت يدها ، تطبطب عليها لتخفف من

الامها ، الام جسدية ٠٠من آثار ضرب صرّار لها بالزنوبة ، والام نفسية ٠٠ عندما علمت بخبر ملكتها على زعيط بن فنو ، خبر نزل عليها كالصاعقة .
وقع الفأس بالرأس ، لا فائدة ، مشت وأختها إلى المطبخ ، وليس إلى غرفة موزة أو إلى المجلس ، فالملجأ الوحيد للنساء هو المطبخ.

أحلى الليالي تراها ليلة الجمعة ٠٠

أقل مساء الخميس وأقبلت ليلة الجمعة ، السابع من شهر محرم ، ثلاث زوالي فرشت في السكة السد ، المساند وضعت على جزء من جدار المقبرة وعلى جدار بيت جارتهم الجميلة المدعوة صباحا ، الإضاءة جيدة بوضع عقد فيه ثمان لمبات ، واحدة منها تشع باللون الأحمر والأخرى باللون الأخضر وهذه حركة من الكهربائي تدل على ذوقه واحترافيته ، لعل الطار ، الحاشي يُطبخ ، اقبلوا جماعة زعيط بن فنو يتمايلون على سامرية

الله أقوى يا نصيبي و أنا وش بيدي

كل ما عدلت واحد يميل الثاني

قيدوني ياالله أنك تفك ألقيدي

من يحل القيد ومن يرضي الزعلاني

جماعة آل مقصعة القمل لم يأت منهم احد ، فهل من المعقول أن يوافقوا صرّار على هذه الزيجة المخزية ، لذلك حرص صرّار على السرية التامة ٠٠ دعا بدلاً منهم ٠٠ أصدقاء الغفلة ، الطبال معيط أبوخنز ٠٠ ودحمان الدفش ، غاسل الأموات ، الذين جمعهم قلاب وضب ، وتقابلوا مرتين أو ثلاث في بيت دحمان الدفش ٠٠ وأكلوا كبسة أم دحمان غير المميّزة ، والتي تقصد أن يكون الفلفل الحار طاغياً على طعمها ، حتى لا يتمكن الأكل من تميز جودة الطبخ . دعاهما لحضور الزواج كي لا يقال ٠٠ صرّار ابن آل مقصعة القمل ليس لديه جماعة ، علماً أن المدعويين دحمان الدفش و ومعيط أبوخنز لا يمتان إلى آل مقصعة القمل بصلة، من بعيد أو قريب ، نسباً أو إقليمياً أو لوناً.

جلس الطبال معيط أبوخنز عن يمين صرّار، وغاسل الموتى دحمان الدفش عن يساره ، سأله معيط أبوخنز عن مصير الفتاة الأخرى ، فأجابه صرّار: أنها تزوجت ، لكنها طلقت بسرعة وإنها غير محظوظة ولم توفق ، إسفهل لهذه الإجابة ، كأنه كان يتمناها ، أخذ بالاقتراب من إذن صرّار ٠٠ وهمس له :

- ما دام أنها مطلقة ٠٠ أكيد مهرها سيكون رخيصاً وأستطيع تدبره ، هل تزوجني إياها ترى نفسي متعلقة بها منذ ذلك اليوم الذي رأيته فيها تركب القلاب ، وقتها كانت فتاة بكر ، وكنت لا أستطيع دفع مهرها .

- كم تدفع يا معيط أبوخنز الوقت الحاضر ، بعد أن صارت ثيب.

- ألفين ريال ، والله ما عندي غيرها .

- يكون خير ٠٠ يكون خير.

حب الاستطلاع لدى غاسل الأموات دحمان الدفش، دفعه أن يسأل صرّار ٠٠ وبصوت خافت بعد أن دنا من إذنه:

- وش عنده معيط أبوخنز يا صرّار ٠٠ يطق بإذنك (بمعنى يهمس في إذنك).

- بلا حياء ٠٠ يخطب مني ٠٠ بنت عمي يُسرى ، عنده ألفين ريال فقط ، ويتجرأ ويخطب ، هل هناك من يزوج خاطب ٠٠ لا يدفع سوى مبلغ ألفين ريال ؟ ثم استرسل في سرد ما جرى للبنت السمينة يُسرى ٠٠ وطلاقها من الشيخ زحزيح ، وإنه حريص على تزويجها من أي شخص يتقدم لها ، بغض النظر عن الفوارق الاجتماعية ٠٠ بشرط أن يكون مبلغ المهر معقول . قطرت سعبولة دحمان الدفش من بين شفثيه الكبيرتين(سالت لعابه) ثم بلع ريقه ونشق نشقتين وقال:

- إذا أعطيك خمسة آلاف ريال يا صرّار، هل تزوجني السمينة يُسرى؟.

وافق صرّار بلا تردد ، موافقة الحق بها ابتسامة عريضة ، فطعم كبسة أم دحمان الدفش المدججة بالبحر الحار(الفلفل) ، ما زالت عالقة في ذهنه ، إضافة إلى الخمسة آلاف ، طلب بعض الوقت لاستشارة زعيط بن فنو ، استشارة شكلية ، فهو زوج شقيقتها ولا بد من أخذ رأيه في الاعتبار ٠٠ حتى ولو من باب المجاملة ، وإن رفض رفضنا ، فهل لنا بعد زعيط ابن فنو قول .

هنا ٠٠ ارتاب معيط أبوخنز وهو يرى دحمان الدفش وصرّار يتحدثان بصوت خافت ، عاد وسأل صرّار عن ما يقول دحمان الدفش فهو لم يسمعه ، أجابه كذباً للتمويه : انه يسأل عن الماعز وأسعارها هذه الأيام.

لم يكن دحمان الدفش يعرف بحال الفتاتين ، وأن صرّار لا يمانع من تزويجهما لمن يدفع ٠٠ حتى وأن كان ذا مهنة لا تتقبلها الأسر المحافظة وذا نسب حبشي ٠٠ وإلا لتقدم مبكراً.

امتلاً مصباح بيت زعيط بن فنو بالنساء للمشاركة بحفل الزواج ، جميعهن سمر ٠٠ باستثناء
السببة يُسرى وشقيقتها العروس يُمنى البرصاء ، وامرأة جميلة لعوب ٠٠ يقال لها صباحا ،
تسكن بجوار منزل زعيط ٠٠ الجدار مقابل الجدار ، الثلاث فقط لون بشرتهن بيضاء أما بقية
المعازيم فحدث ولا حرج ٠٠ أنواع السمار .

هناك عجوز شمطاء ٠٠ تشارك بالغناء بصخب ٠٠ خبرة في الطق والأغاني (ديجيه) ، هي أم
دحمان ، لم تتم دعوتها شخصيا لحضور حفل الزفاف ، لكنها شرفته ، بناء على دعوة ابنها
دحمان له ، والذي لا يجرؤ على المشاركة والذهاب دون أمه ، كونه يعلم ٠٠ أن حضور
الأعراس هوايتها ، وستغضب عند تجاهل إسعادها وممارسة هوايتها المفضلة ، فهي ما أن تعلم
أن ابنها مدعو لحضور حفل زفاف ، حتى تراها وقد تجهزت بثوب الزري ، وكانت أول
الحاضرات ، تحرص دوما على توثيق العلاقة مع أصحاب الحفل ، لضمان دعوات أخر ٠٠
لأعراس مستقبلية ، وخير مثال على ذلك ٠٠ توطيدها لعلاقتها هذه الليلة مع موزة .

بكل جراءة صاحت أم دحمان بالطفاقه :

- طقن لنا أغنية :

والعروسة ياهلي وين ودوها

خبر المجبور عن بنت الأجواد

وارحموا بنت صغيرة ظلمتها

هنا قاطعتها الطفاقة قائلة :

- وشو ظلمه يا أختي ٠٠؟ حنا في حزن وإلا فرح .

ثم التفت لبقية المغنيات وقالت ٠٠ :

- شيلن معي يا بنات (رددو، بعدي) :

أقبلت يا حلاها شمس الاقبالي ٠٠ والعداري شموعن من حواليتها .

احتفى الطار وطبن العجز (القَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ) للميدان أولا ، إشتغل الزوك وطق الأصبع (الزوك
تحريك النصف الأسفل من الجسم فقط) ٠٠ تلا ذلك مشاركة الحسان ، نجمة الرقص بلا منازع
٠٠ الجارة الجميلة صباحا ، ما أحلاها وقد اقتحمت الميدان (البست) ، تلفح بشعرها كالفرس ،

الابتسامة لا تفارق محياها حتى وهي تتمايل مع الطار ، رشيقة ، دلوعة ، زوجها يمتهن التدليل على البشوت الرجالية(مُحرج) ، لا يرفض لها طلباً ، ومن يستطيع رفض طلب لصبحا . كانت موزة تتصنع الفرح ، توحى برضاها عن الزواج ، بحجة أن زعيط بن فنو أخذ موافقتها وقد عذرتة ، لأنها لم تعد تتجب .

يا لحنية موزة على العروس اليتيمة ، فهي شغلها الشاغل قبل الدخلة ، عرضت عليها عصر هذا اليوم ٠٠ أن تعطيها عشبة عززت السامة ، كي لا تتجب لزعيط بن فنو ، وقد تلقفتها يُمنى بصدر رحب وسفتها مع قليل من الماء ، لا بل طلبت منها كمية كبيرة لتأخذها على مر الأيام القادمة لتضمن عدم الإنجاب من زعيط بن فنو إلا أن يحلها الحلال ، غير مدركه لخطورتها على صحة الرحم ، فموزة لم تنقل لها تحذيرات الطبيبة الشعبية هلة من أن تناول العشبة لمدة طويلة يؤدي إلى مشاكل للرحم .

هذا المساء ٠٠ هو أمرُ مساء ٠٠ مر على يُمنى ، منذ عرفت معنى الحياة، حزينة ٠٠ تمنى الموت حالاً ، إحدى نوافذ غرفة العروس مطلة على سكة السد مباشرة ، مكان احتفال الرجال ، وأصوات الطيران ٠٠ تكاد تخرق أذنيها ، ما بال هؤلاء السمر لا يتغنون سوى بسامرية ، الله أقوى يانصبي وأنا وش بيدي ، ألا يحفظون قصيدة غيرها ، تتمنى لو أنها تستطيع تكسير هذه الطيران فوق رؤوسهم .

زُف الثور الهائج ، على الغزال الشارد ، بعد أكل لحم الحاشي مباشرة ، والدموع أربع أربع . هكذا العدل وإلا فلا ، هذه هي حقوق الصبايا قبل أن يصبحن نساء عند بني يعرب وبني أبرهة ، وحسب الأنظمة المتبعة ، لا مخالفة فيما تم ، وليس هناك خرق للمشاعر والعواطف ، إذاً جهزوا القهوة والقدوع ٠٠ صبيحة العرس ٠٠ لزعيط بن فنو وصرّار آل مقصعة القمل ٠٠ واسمعوا وعوا أيها الرجال : النساء لكم ولا تفرطوا بهن ٠٠ وأن هرين منكم ستجدونهن في مقابر آبائكم وأجدادكم مختبئات .

مرت الأيام الأولى بعد الزواج والحال على ما هو عليه ، تعاسة وبكاء ليُمنى ، سعادة وهيجان للثور زعيط بن فنو ، أما صرّار فيقضي وقته بين ديوانية الزحزيع وبين كبسات أم دحمان الدفش الوفيرة، ينتظر أن تحين الفرصة السانحة ليتكلم بها مع زعيط بن فنو ٠٠ عن خطيب

السببه يُسرى الجديد ٠٠ المدعو دحمان ٠٠ ولد أم دحمان، فزعيط بن فتو ٠٠ أصبح الآن
٠٠ صاحب الرأي الأول والأخير في تزويج السببه يُسرى ، فالمعنية أخت زوجته ، إضافة إلى
شخصيته المؤثرة على صرّار .

ما عاد أقوى الصبر ٠٠

موزة لا تعرف اليأس ، فمنظر زعيط بن فنو وهو يغتسل لا يحتمل ، اليوم هو اليوم الرابع بعد الزواج ، ذهب زعيط بن فنو وصَرَار ٠٠ إلى بيت الشيخ زحزيح ، فالإجازة المعطاة لزعيط بن فنو بغرض التمتع بالعروس انتهت .

دخلت موزة على يُمنى وهي على الفراش ، ترتدي شلحة النوم(قميص النوم) ٠٠ وتضرب بالديرم على شفتيها(روح الشفايف الخشبي) ، استفزها المنظر وصاحت بها :

-لم أعد أراك تبكين ٠٠ ما الحكاية ٠٠ هل حلت الوناسه بدل التعاسة.

-آه ٠٠ آه ٠٠ وين أنا والوناسة وين ، لا والله تعيسة يا أم خنيفس ، وش تبيني بس أسوي.

-تحركي ، سوي أي شيء ، قدمي شكوى على الاثتين عند القاضي ، يمكن إذا ادعيت

أنهم أجبروك على الزواج من زعيط بن فنو ، يطلقك القاضي منه .

-ما أعرف ٠٠ ما أدل.

-أنا أعرف ٠٠ أنا أدل ٠٠ بسرعة ٠٠ ارتدي ثيابك وعباءتك لنذهب إلى المحكمة ، بشرط أن

لا تقولين لزعيط بن فنو ٠٠ إنني أخذتك إلى المحكمة .

-أوعدك ٠٠ ما أقول .

صارت تلبس ملابسها بعجل وهي تخاطب نفسها بالأمل ٠٠ من أن تكون المحكمة وقاضيتها

٠٠ عوناً لها في الفرج ٠٠ من هذا الزعيط بن فنو .

مشتا الاثنتان من شارع الوزير إلى مقر المحكمة ، شرق سوق الزل بالديرة ٠٠ استفسرت موزة

كيف هي الإجراءات ، من الكتاب الذين يفتشون الأرض بجوار باب المحكمة ، كتاب

بالأجرة ، يمتنون كتابة المعاريض للأميين المتقدمين بشكاوى ، ومنهم الأمية البرصاء يُمنى.

أفادت بالمعلومات الكاملة عن ما سوف تسأل عنه، وكتّب لها المعروض المفصل والذي يوضح

القضية كاملة، كاتب يقال له السديراوي ، كتبه لها مقابل أجر مقطوع قيمته ثلاث ريالات ،

دفعتها عنها موزة .

قدمت المعروض للموظف المختص في المحكمة ، الذي بدوره أعطاها استدعائين ، واحد لصَرَار

والآخر لزعيط بن فنو ، فيهما ٠٠ طُلب حضورهما إلى المحكمة والمثول أمام القاضي ٠٠ السبت

القادم.

نحن أمام مشكلة خطيرة الآن ، من يخبر زعيط بن فنو بالشكوى ويعطيه الاستدعاء ؟ ، أما صرّار فمقدور عليه .

رفضت يُمنى رفضاً قاطعاً أن تبلغهما هي بنفسها ، الخوف من زعيط بن فنو يحتويها ، ترتعش فرائسها كلما رأت السيف المعلق في مجلسه ، الذي يحرص على أن يلبسه في مناسبات الكبارية.

وصلت موزة أخيراً إلى القناعة التامة بأنها هي من يجب أن تقدم لهما الاستدعائين ، وتتنقل لهما ما نقلته يُمنى عن القاضي وتحذيراته لهما ، إن هما أساء لُمنى أو اعتديا عليها بالضرب فسوف يُجلدان ويُسجنان ، تحذيرات اختلقتها موزة ، للتخفيف من ردة فعل زعيط بن فنو وصرّار ، عل يُمنى أن تسلم من العقوبة ، والمنع بالقوة من مواصلة الدعوى .

وصل زعيط بن فنو عائداً من العمل يتبعه صرّار ، قصد غرفة البرصاء يُمنى ، التي كانت في المطبخ تُشغل نفسها عن المواجهة ، عندما لم يجدها في الغرفة جلس في المصباح وهو يناديها :
- عَطِينَا القهوة يا بعدهم كلهم.

كالعادة أخفت موزة غيرتها من غزل العريس الهائج المكشوف للعروس الشارد ، أخرجت الإِستدعائين من الخبأ السري تحت صدر ثوبها وقدمتهما لزعيط بن فنو :
- ما هذا ؟

- هذا موعد من القاضي ، يُمنى ٠٠ تقدمت بشكوى ضدك أنت وصرّار ، تقول أنها أُجبرت على الزواج منك ٠٠ وترغب بالطلاق .

- استشاط غضباً وهو يقول:

- أنا ولد أبوي ولده .

صار يصيح بأعلى صوته :

- البرصاء مشتكية علي ٠٠ تبين الطلاق ؟ والله إنه يحرم عليك إلا إذا طلع أبوك من قبره .
قالها وهو يبحث عن أداة للضرب ، ثم وقف صرّار متصنعاً للغضب ٠٠ تقليداً لزعيط ، يبحث معه ويردد :

- عنك ٠٠ عنك ٠٠ يا أبو خنيفس ٠٠ أنا من يؤدبها .

أنها شهامة الرجال ٠٠ يتعاونون على الإثم والعدوان ، على كل من تقول لا أحبك ٠٠ لا أريدك زوج ٠٠ أريد أن أتزوج من آنس لقريه ولست أنت ، هل من قارئ بقرأ على زعيط وصرار الآية الكريمة (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ) النحل (٧٢) هنا تدخلت موزة بالوقوف حائلاً بين البرصاء وبينهما وهي تقول :

-أحذرك يا زعيط ٠٠ وأنت يا صرّار ٠٠ عن مدة اليد ، فالقاضي قال للبرصاء : إذا أحد مد يده عليك ، زعيط بن فنو أو صرّار آل مقصعة القمل ، تعالي إلى المحكمة وبلغينا ، نؤدبهم بالجلد والسجن.

أه ٠٠ الدعوى فيها جلد وسجن ، كلام أوقف الاثنين عند هذا الحد ، صار العقاب لفظي وليس جسدي ، نغمة السب بدأت تتحول إلى نغمة نقاش ، سرعان ما تحولت إلى استجداء ليمنى ٠٠ أن تتعوذ من الشيطان وتكف عن المطالبة بالطلاق ، مناداة ليمنى وليس بالبرصاء ، كل هذه التنازلات لم تشيها عن صمودها وتمسكها بموقفها الراسخ والمطالبة بالطلاق مهما كان الاستجداء ، وعلي ذلك لن تغادر المطبخ وتذهب إلى غرفة النوم كما يطالبها زعيط بن فنو إلا بعد أن بيت في القضية .

النتائج الأولية تشير إلى تخوفهما من أن المحكمة ربما تحكم لصالحها ، قررا الذهاب إلى احد المتعاملين مع العارفين بمعرفة الأحكام الشرعية ، ليوضح لهما الأمر ويستفسران عن ما ستؤول إليه الأمور في هذه القضية .

وهل هناك أنسب من دحمان الدفش غاسل الأموات ، ليفيدهم في هذا الأمر ، صحيح إنه لا يفقه في علوم الشريعة شيئاً ، لكنه يخالط من يلمون ببعض القضايا الشرعية الخاصة بالنساء فقط ، والتي يحرص غالبية الرجال من الرعيل الأول على معرفتها ومذاكرتها مع الآخرين أول بأول ، باختصار الرجل لديه علاقات عامة لا يستهان بها ، أتى جلها من بيئة العمل المقبرية ، بيئة تؤهله لتقديم المشورة الشافية ، تجلو الغمة بإذن الله عن الصديقين .

اقتراح ساقه صرّار ٠٠ لزعيط بن فنو .

انتظرا الصباح على أحر من الجمر ، قصدا دحمان الدفش في منزله جوار مقبرة العود ، لم يجدها في البيت ، كان في مهمة غسل أحد الموتى ، هذا ما أفادت به أم دحمان ، المرأة

الوحيدة التي تعيش معه ، استقبلتهما دونما تحفظ ، فالاجتماع الثلاثي ليس خلوة ، انتظراه حتى عاد ، دخل وريح صدر الموتى يفوح من ملابسه ، بعد التحايا أخبراه بالدعوى المقامة ضدتهما من البرصاء بحجة إجبارها على الزواج منه ، وهل من المعقول أن تكسب امرأة من العامة ، دعوى قضائية ترفعها ضد رجل ، إذا علمنا أن الناظر لهذه القضية رجل أيضا ، ومن قام بكتابة عريضتها من الأساس رجل أجير وليس متعاطفا معها .

ارتبك الحكيم القبري دحمان ٠٠ بعد أن أنهيا حديثهما ، فالسؤال غير مفهوم فما بالك بالجواب ، ترك العنان لناظريه كي يسبحا في أرجاء الغرفة ، حرجاً من الجهل ، ثم نطق:
-هذي أمور لا أفتي فيها .

هذه هي ثقافة رواد المقابر، عبث معرفي ، لا يفرقون بين الفتوى الشرعية ٠٠ والإمام ببعض الأحكام الشرعية المتداولة ٠٠ والاستشارة .

غضب زعيط وصاح فيه :

-إذا أنت لا تفتينا من سيفتينا إذا؟.

وقف دحمان دون مقدمات ٠٠ وكأنه تذكر شيئاً ما ، ثم قال :

-ما لها ٠٠ إلا المؤذن أبو هيا ، أعطوني ربع ساعة أذهب لأسأله ، هو جاري ويقضي بالمحاكم وقتاً طويلاً ، لا توجد قضية لم يشهد عليها.

خرج على عجل وظل الضيفان بانتظاره ، يتبادلان أعماق الحديث مع أم دحمان .

لم تكتمل الربع ساعة حتى أقبل عليهما مستبشرا ، وقال بصوت واضح وهو لم يجلس بعد :

-يقول المؤذن أبوهيا: أن القاضي سوف يسألها ، هل هو يصلي؟ ، هل هو يسكر؟ ، هل هو

مقتر عليك بالأكل والشراب ؟ ٠٠ وكل هذه ليست فيك يا زعيط ، ستجيب بلا ٠٠ بعدها تصبح ناشز ويحكم بإسقاط حقوق النفقة عليها لمدة سبع سنوات ، وإن لم تعد إلى زوجها بعد مضي السبع سنين أسقط حقوقها سبع سنين أخرى ٠٠ وإن أصرت سبع سنين ثالثة ، ثم بعد ذلك ينظر في أمر تطليقها.

إسفل زعيط بن فنو وصار يشرب من القهوة المعدة بشكل رديء من أم دحمان ، بشراة واضحة وهو يردد :

- يا سلام ٥٠ واحدة وعشرون سنة وهي في ذمتي ، بعدها يصبح عمرها أربعين سنة ٥٠ يعني تصبح عجوزاً ٥٠ عندها ابحت عن غيرها ، صحيح أم لا يا صرّار .
- ما تقول إلا الصحيح يا أبو خنيفس ، قالها صرّار وعينه لم تنزل عن أم دحمان ، مالكة البيت الفسيح ، الذي تسكنه هي وابنها الوحيد فقط .

- أم أربعين سنة عجوز يا صرّار ٥ .

سؤال وجهته أم دحمان الدفش بحده لصرّار آل مقصعة القمل ٥٠ وليس للقائل زعيط الذي لا تلقي له اهتماماً لسماره الداكن ، سؤال فيه احتجاج على عبارة (تصير عجوز) التي تقوه بها زعيط بن فنو بلا مراعاة لمشاعر أم دحمان ، التي يقارب عمرها الخامسة والأربعين عاماً ٥٠ قالتها بجراءة رغم أنها المرة الثالثة أو الرابعة التي تجلس فيها مع صرّار ودحمان الدفش .
أحس صرّار ٥٠ أن السؤال ملغم ٥٠ وعليه الانتباه ، فتوجيه السؤال له خصيصاً من قبل أم دحمان له مغزى .

- أم الأربعين عز الطلب يا أم دحمان ، عقل ٥٠ وطبخ زين ٥٠ ومعرفة بكل شي .

ابتسم دحمان الدفش على السؤال ورده ، وما تضمنته هذه الشفرات ، فالتقارب بين أمه وصرّار يريحه كثيراً ويعجل من الارتباط ، من السمينية يسرى .
انتهى لقاء العمل الاستشاري وتم أخذ الاستشارة من أبي هيا ، بما في ذلك حفظ ما يجب أن يقال أمام القاضي ، كانت ولله الحمد استشارة شافية ، وتصب في مصلحة الرجال الذين يحرصون على أن لا تفارقهم الزوجة متى أرادت هي ، بل متى أرادوا هم .

دقت ساعة الصفر في المحكمة الصغرى ، قبل أن تصبح المحكمة الكبرى ، أفتتحت الجلسة في تمام الساعة الثامنة صباحاً من يوم السبت ، جميع الخصوم واقفون على أرجلهم أمام القاضي ، بينهم يُمنى تستعيد حفظ ما أملاه عليها كاتب العرائض السديراوي كاستشارة على حساب الثلاثة ريالاً ، لما سوف تقوله في مرافعتها ، مرافعة حفظتها منه حفظاً جيداً ، رغم أنها تحتوي على مفردات تسمعه لأول مرة .

القاضي وكتابه يجلسان على كرسيين من وراء مكتبين، مكتب خشبي كبير للقاضي ومكتب حديدي صغير للكاتب.

القاضي يسأل

- ما هي دعواك يا ابنتي ؟

-أيها القاضي ٠٠ زوجي ابن عمي صرّار، من هذا الرجل الأسمر وأنا انتسب لعائلة آل مقصعة القمل دون رضي ، عمره يقارب عمر والدي ، والآن لا أرغب في العيش معه وأرغب في تطليقي منه ، لا أحبه البتة أيها القاضي ، اكرهه كره العمى ٠٠ لو كان في جوفي لبطرته وأخرجته منه (قالت البتة وبطرته وهي لا تعرف معناه).

- وأنت ماذا تقول يا زعيط بن فنو .

- أقول أيها القاضي ٠٠ ما هو السبب الذي جعلها ترفضني الآن ؟ ، لماذا لم ترفضني وتشتكي قبل أن أدخل عليها ؟ ، من لعب برأسها يا قاضي ؟ الله أعلم ، أما الآن فهي زوجتي وأرغب فيها ، جميع حقوقها الشرعية مستوفاة ، أنا أحبها يا قاضي ، لو أعطوني كنوز الدنيا لا أطلقها (قال مستوفاة وهو لا يعرف معناها) نطق حرفياً ما أملاه عليه دحمان الدفش بتوصية من أبو هيا.

- وأنت يا صرّار ٠٠ ماذا تقول ؟.

- أقول أيها القاضي ٠٠ هذي جاهلة لا تعرف مصطلحتها ، أنا كافلها وواليتها. هنا قاطعه القاضي بحدة:

- الكافل هو الله يا صرّار ٠٠ والوالي الله ٠٠ قل كفيها ووليها .

- صبه ٠٠ احقنه ٠٠ لبن يا قاضي، ما فيه فرق، النية أهم من الكلام، ونيتنا حسنة إنشاء الله.

- لا ٠٠ هناك فرق كبير يا صرّار، والفرق لا يعرفه إلا الراسخون في العلم وليسوا العامة مثلك

- احح ٠٠ احح ٠٠ طيب يا قاضي ، أقصد أنا كفيها ووليها ، زوّجتها زعيط بن فنو، رجل يصلي ويصوم ، وليس فيه من العيوب شي ، ما فيها إلا الدلع أيها القاضي .

التفت بعدها القاضي إلى البرصاء وقال بحنان أبوي :

- وأنت بابنتي هل تتهمينه بشيء ٠٠ لا يصلي ٠٠ يشرب المسكر ٠٠ لا يقوم بواجباته الزوجية كلها ٠٠ كسوة ٠٠ واكل ٠٠ وسواها.

- والله يا قاضي ما أدخل بدمتي ، الرجل يصلي بعض الأحيان والمسكر أنا لا أعرفه ، أما واجباته فهو قائم بها ، ولكن يا قاضي ما أوطنه بعيشة الله ٠٠ ما أحبه ، هو أسمر وأنا من آل مقصعة القمل ، هو كبير سن وأنا صغيرة.

انكب القاضي على مراجع لديه لعشر دقائق ثم تتحنح ورفع رأسه وقال:

- اسمعوا الحكم ٠٠

يا بنتي يُمنى ٠٠ إما ترجعين لزوجك وتعيشين معه وإلا تظلين في ذمته ونسقط حقوق النفقة عليك لمدة سبع سنوات ٠٠ ما قولك يا يُمنى ؟.

صُدمت للحظات وتذكرت ما نصحتها فيه كاتب المعارض السديراوي لو خيروها ، نظرت إلى الأرض قليل ثم تهتت وقالت :

-أقول لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا تسقط حقوقي أيها القاضي، أرجع وأمرني على الله.

الحكم على البرصاء بأن تبقى مع زوجها رغم عنها مفهوم شائع في تلك الحقبة الزمنية بين الرجال، ومشرع لهم قضائياً ، وسيبقى معمولاً به إلى أن يأتي فقيه شجاع يصدق بقول الله تعالى { فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به - البقرة ٢٢٩ ، أو يُظهر على الملأ الرأي الآخر المغيب والمتمثل بتطليق الزوجة إن هي لم ترغب العيش مع الزوج بعد أن تعيد إليه مهره الذي دفعه والمعروف بالخلع ، والمستند إلى ما عمله صفوة الخلق محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) مع امرأة ثابت بن قيس عندما أتت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: يا رسول الله ما أنقم على ثابت في دين ولا خلق، إلا إني أخاف الكفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم -: أتردين عليه حقيقته ؟ قالت: نعم فردتها عليه وأمره ففارقها والذي رواه البخاري.

رفعت الجلسة وعاد زعيط بن فنو متأبطاً يُمنى وقد كساه الزهو بالانتصار ، عاد الحال على ما هو عليه ، زواج غير متوازن وغير متجانس ، مع تغيّر تصاعدي إلى الأسوأ في معاملة زعيط بن فنو ليُمنى ، فتصريحها أمام القاضي وكاتبه بأنه أسمر وكبير السن وأنها تكرهه كره العمى ، جعله ناقماً يستحين أنصاف الفرص للإساءة لها ، ومن الآن وصاعداً ، سيناديها بالبرصاء وليس بيُمنى .

ارتفع شأن موزة لدى زعيط بن فنو بعد التجريح الذي ناله من يُمنى ، فهي أم خنيفس ،
وخنيفس كما نعلم وحيدة ، وأم الوحيد وحيدة ، والأهم من هذا كله ، أنها من نفس الفصيلة
، وجدت حشمة نسبية لم تكن تحلم بها ، ما دعاها إلى أن تجهر بالغيرة الحاقدة على البرصاء
يُمنى ، من خلال تحميلها مسؤولية البيت كاملة ، الطبخ ٠٠التنظيف ٠٠تغسيل ملابس الجميع
، بما في ذلك ملابسها هي ، هذا داخل المنزل ٠٠أما خارجه فحدث ولا حرج ٠٠ إحضار الخبز من
الخباز ٠٠وخنيفس نائم ، جلب مقاضي الغداء من المقيبرة (سوق الخضار) مشياً على الأقدام
وخنيفس نائم أيضاً ، لا تتنازل لها إلا بشي واحد ، وهو تأمين نبتة عززت من الطيبة هلة بنفسها
، ومتابعة تناولها أولاً بأول ، وكأنها أم تتابع إعطاء ابنها الوحيد ، علاج خافض الحرارة .
كلفتها كذلك بأن تكون سفيرة لها تحت العادة ، مع القريبات والصدقات الخوال ، ومندوبة
غير سامية إلى الطقاكات و البياعات لأي غرض تحتاجه أو موعد تضربه ، يأتي المساء وقد انهد
الحيل لذلك الجسم الصغير ، صارت بسبب تحميلها ما لا تحتمل ٠٠نحيلة ، كغصن رطب يتجه
أنى تتجه به الرياح ، لا يحق لها استقبال الضيوف من النساء إلا بوجود موزة ، حتى الجارة خفيفة
الدم صباحا ، ممنوع عليها التحدث معها داخليا وخارجيا ، أمر صدر من خنيفس ، فصبحا
والذمة على الراوي خنيفس امرأة تدور حولها الشبهات مع صبيان المخبز وبعض زكرتي الحارة
، حتى خنيفس صار يأمر ويتهم ، حرما من كانت تؤنسها زياراتها وقت الضحا بين وقت وآخر
، حياة شقاء مستمرة ، لا يبدو أن هناك ضوء في آخر النفق .

ريانة العود / نادي الليالي تعود ٠٠

أيتها السببه يُسرى ٠٠ يا من يُتغزل بك بريانة العود ، والحقيقة انك منتفخة العود ٠٠ دبية العود ،
يا من تفتحين فمك عند المصائب والأفراح ٠٠ لا تحزني ٠٠ كلمة نغنيها وليست عنوان كتاب
للبيع . إذا لم يكن لك أم وشاءت الأقدار أن تكون موزة المستوية هي البديل فالسعادة لك
وحقوقك محفوظة ، الأكل جاهز ، الملابس مغلّسة ، الترفيه متوفر ، في كل ليلة جمعة عرس
أو زوارة ، بعد العصر الذهاب إلى السوق ، لشراء حاجيات الزواج ، فالعريس دحمان الدفش
مستعجل بعد أن عقد قرانه عليك ، انعمي أيتها السمينة ، ودعي البرصاء ٠٠ ذات الجسم
النحيل تخدم آل زعيط بن فنو ، إلى أن يحلها الحلال ٠٠ فموزة تحنو عليك ٠٠ ولا نقول ٠٠ ليس
حياً لمعاوية بل بغضا لعلي .

أما الولي صرّار ٠٠ فقد وافق بكل قناعة على عقد قران دحمان ٠٠ على ابنة عمه السببه يُسرى
عملا بمبدأ : إذا أكلت بصل ٠٠ فأكثر ٠٠ مثال عمل به بحذافيره ، فيه معنى واحد لا ثاني له ،
معنى يقول أن تزويجك أيها الولي صرّار البرصاء يُمنى آل مقصعة القمل إلى زعيط آل فنو مدعاة
لتزويجك السببه يُسرى آل مقصعة القمل إلى دحمان الدفش **والحبل على الجرار** .

زفت السببه يُسرى لزوجها دحمان الدفش ، المكنى بأبو نشقة ، حفل مختصر ، لم يحضره
من عائلة الدفادشة سوى أخوه غير الشقيق والمدعو يابس .

قدم يابس الدفش من قرية الفطيان ٠٠ مسقط رأسه ٠٠ ورأس دحمان ٠٠ ورأس أم دحمان ٠٠ قرية
تتتمي إليها عائلة الدفوش ، تبعد عن مدينة العاصمة حوالي ٢٣٠ كيلو ، حضر خصيصاً لحضور
هذه المناسبة ، تاركاً أبناءه العشرة (كلهم أولاد) ، أكبرهم سنا لم يتجاوز العشر سنين
وأصغرهم لم يتجاوز الشهر ، يبدو أن زوجته المدعوة ميثا ، تلد له كل سنة مولوداً ، زوجته التي
لم تحضر المناسبة بسبب الولادة ، يالصبرها على هذه الدنيا .

”زوجا يابس ٠٠ تتكسر أمامه جميع رماح التعامل الودود ٠٠ وسيوف الإقناع بأي شيء .

”مسؤولية عشرة أبناء كلهم أشقياء .

”والمهمة الأشق تتمثل بالعناية المركزة بخالتها أم يابس ٠٠ العجوز المصابة بفقدان الذاكرة
(الزهايمر) منذ سنين ، لا تستطيع أن تأكل أو تشرب بنفسها ، يجب تغيير ملابسها أولاً بأول ،

إضافة إلى أهمية إقفال باب المنزل عليها باستمرار، خوفاً من أن تخرج إلى الشارع فيعضها حجل وأطوق (أنواع الكلاب)، هذه هي المسؤوليات الإنسانية الموكلة لميثة زوجة يابس الدفش، أما المسؤوليات الحيوانية ”فتتمثل بالمتابعة الدقيقة ٠٠ والعناية الغذائية الفائقة ٠٠ بعنز حلوب ، يُسكنها يابس سطح منزله ، مكانة هذه العنزة في قلوب الجميع كبيرة ، فهي المصدر الأساس لغذاء أم يابس والأبناء العشرة ، عنزة اشترت في الأساس بهذه المواصفات ، تُحلب ويسقى حليبها للأم المخرفة وللأبناء الأشقياء .

” أما المسؤولية الحيوانية الألف للزوجة ميثة ٠٠ فهو نثر الحب ، لحمام يرييه ٠٠ ابنها ذيبان ، في داخل العشة التي بنيت في الأساس لتسكنها العنزة، يريحها منظر الحمام وهو ينقض على الحب ليأكله .

” وأخيراً وليس آخر مهمة أخذ البيض من تحت الدجاجة.

ليس غريباً على يابس ترك أمه وهي لا تعرف أحداً والسفر إلى العاصمة ، وليس غريباً عليه أيضاً عدم مبالاته بزوجته المنجبة له قبل أيام وتعاني من اكتئاب ما بعد الولادة ، الغرابة تكمن في تركه لزيائنه المرضى ، الذين يعانون من دخول الجن في أجسادهم ليل نهار دون رحمة بهم ، كيف لا يلقي بالألهم وهو طبيبهم الخاص ، فالرجل يمتهن إخراج الجن عندما يدخلون أجساد المواطنين من أهالي الفطيان ، أما الجن الذين يدخلون أجساد سكان مدينة العاصمة فيعجز عن إخراجهم ، ربما فارق اللهجة تصعب عليه أداء المهمة ، يالقسوته ، ترك الجن تعبت في أجساد زبائنه في قرية الفطيان وهو يشارك أخيه غير الشقيق دحمان (أخيه من أبيه) ، أفراح الزواج .

هو الوحيد ضيف الشرف في حفل الزواج ، هناك الولي صرّار والعديل زعيط ، ثلاثة رجال فقط ، أمر بديهي أن يكون حفلاً مختصراً ، فالسببه يُسرى مطلقة وليست بكرةً ، وحفلة الزواج الثاني في عرف أهل الديرة كحفلة الزواج العاشر، كلها سواسية ، لا ترقى إلى أهمية ومراسم حفل الزواج الأول .

كان أكثر الفرحين بهذا الزواج أم دحمان الدفش، فبنية السببه يُسرى تؤهلها لأن تساعد في حمل الأموات أثناء التمسيل ، فالنشاط لديها بدأ يضعف مع تقدم السن ، وإن كان الكلام في هذا الموضوع سابقاً لأوانه ، فالعملية تحتاج إلى تهيئة نفسية ، فالتعامل مع جثة هامدة وهي

عارية تماماً ٠٠ أمر مخيف ، السببه يُسرى لا تحتاج إلى إقناع ، فافعل أو لا تفعل هي قاعدتها ، المهم التدريب النظري والعملي على أداء المهنة بالشكل المثمر، فمهمة التعامل مع ذوي المتوفاة أصعب ما سوف تتعلمه ، وهنا مرتبط الاستثمار ، أمر في غاية الحساسية .

صَرَار ٠٠ هو السعيد الحقيقي في هذه الزيتتين ، ينتقل بين البيتين بمعدل يومي ، أليست زيارة الأرحام واجبة ٩٩، يوم هنا عند موزة ٠٠ ويوم هناك عند أم دحمان، يحرص أن تكون السهرة والمبيت عند أم دحمان، فالتعاليل معها شيقة ، والعناية منها بكمية العشاء وليس جودة طبخه أمر في غاية الأهمية ، لن يَنْظر لردائه .

سلمنا ليك أمرنا / ولقينا فيك عمرنا / وأجمل أمانينا ٠٠

يُسرَى زوجة مطيعة ، هاهي تفصل قماش الخام الأبيض بالمقاس الذي حددته لها المعلمة أم دحمان كأكفان ، وتجهز السدر ، فالיום ستذهبان لتغسيل إحدى الجنائز .
تكتسب هذه الجنازة أهمية قصوى للسببة يُسرَى ، كونها الجنازة الأولى التي تشارك بها ، الطريقة درست لها من قبل ، عبر محاضرات مكثفة ٠٠ ألقتها عليها أم دحمان ، ومع ذلك لن توكل لها المهمة الرئيسية في التغسيل هذه المرة ، ستكون مساعدة فقط ، تشهد عملية التغسيل وعند الجنازة التي تليها بإذن الله تقوم هي بالتغسيل بنفسها ، اشترطت هي في البداية أن لا تعلم أختها البرصاء يُمنى بعملها الجديد ، فهي لن ترضى ٠٠ ولربما تنشر الخبر عند آل مقصعة القمل ، وهذا فيه إحراج لصرّار ، علما أن انتشار الخبر بين آل مقصعة القمل لن يغير من الأمر شيئاً ، فمن لم يستطيعوا منع زواج الفتاتين من دحمان الدفش وزعيط بن فنو لا خوف منهم .
كانت الجنازة لزوجة تاجر الدخون الأول في سوق سويقة ، بعد الغسيل لاحظت السببة يُسرَى أن أم دحمان ٠٠ تخرج من جيبها دهن عود وتضع منه نقطتين في فم الميتة ، ثم تخفيه دون أن يعلق في يدها منه شيء ، بعدها غطت الجثة قبل أن تكفنها وتطيّبها ، ثم خرجت إلى الزوج وكان معه أبنائه وبناته ، وقالت بصوت جهوري :

- لا اله إلا الله ٠٠ سبحان الله يا جماعة ٠٠ أمكم يخرج من فمها ريح طيب ٠٠ تعالوا شمموه قبل أن أطيّبها وأغسلها .

تسابق الزوج والأبناء والبنات إلى شم فم ميتتهم ، منهم من بكى ومنهم من هلّل ، ومنهم من أجلسه الحدث ، طلبت منهم أم دحمان ٠٠ المغادرة لإكمال التغسيل .

بعد الانتهاء من التغسيل والتطيّب والتكفين استأذنت تاجر الدخون بالذهاب ، مد يده إلى جيبه وأخرج مائة ريال حمراء وأعطائها إياها ، وباستفسار خبيث سألته .

- هذه لي ٠٠ أم لزوجة ابني ٠٠ أم لنا الاثنتين .

أُحرج الرجل وتذكر بُشراها له بكرامة رائحة دهن العود ٠٠ المنبعثة من فم زوجته ٠٠ فأخرج مائة أخرى وأعطائها السببة يسرى .

انتهى يوم العمل الأول وكان مثمراً بجميع المقاييس ، وعلى يُسرَى أن تتعلم من أم دحمان طريقة الاستثمار في الموتى .

استمر العمل على هذا المنوال ولكنه غير منتظم فأحياناً يمر أسبوع دون ما ميت ، وأحياناً أسبوعان ، وأحياناً أكثر ، والخبرات تتراكم لدى السببة يُسرى ، ميّتكم تبتم ' ميّتكم يشع منها نور ' ميّتكم خفيفة ' وهكذا ٠٠كرامات يفترى بها كذباً وبهتاناً على الزبائن .

استقرت الحالة الاجتماعية للسببة يُسرى، والفضل في ذلك يعود إلى الطاعة والانضباط وعدم التعمق في ما يعمل ويقال ٠٠ انضباط تدريب عليه في ميدان التدريب الرجالي ٠٠ منذ بداية تكوين شخصيتها ، المرأة الجيدة هي من تقول لزوجها سمعاً وطاعة ، ليست طاعة عمياء كطاعة الأوامر العسكرية ، بل أشد ، فالعسكري قد يتمرد على رئيسه ويعاقب ثم يفصل فيصبح حراً طليقاً أما أشباه السببة يسرى فلا تستطيع ، إنها طاعة الولاء .

ولعتني وخليتني أنشد الناس ٠٠

مرت من الدنيا سنة ٠٠ والبرصاء يُمنى تتهرب من معاناة العيش في كنف زعيط بشتى الطرق ،
إما بالعمل الدؤوب داخل المنزل أو الخروج منه ، وإن كان الخروج من المنزل هي الرغبة الأولى ،
مسكينة هي ، إن هي خرجت أحست بارتياح ، حتى وإن كان خروجاً لأداء عمل أو لشراء
غرض ، فالخروج بحد ذاته متعة ، خاصة إن تخلله كلمة إعجاب من هذا أو تغزل من ذلك ،
حتى وإن كان تحرشا ، فلا ضير ، المهم أن تكون ذات أهمية عند أحد من البشر.

كان من أهم البشر الذين يهتمون يُمنى ٠٠ أحد صبيان المخبز ويدعى عبده شايف ٠٠ كان يافعاً
وصغيراً وجميلاً جمالاً غير عادي ، يحب معاكسة أي لابسة عباة ٠٠ صغيرة ٠٠ كبيرة ٠٠ سوداء
٠٠ بيضاء ٠٠٠ برصاء ٠٠ المهم زول امرأة ، يوحى لها كل ما أتت إليه ، أنه كان بانتظارها
على أحر من الجمر ، يجلب لها الخبز من داخل المخبز دون أن تكلف نفسها بالانتظار بطابور
الزبائن ، يهمس لها تحية الصباح مع تهذبات قلبية كاذبة ، يثني عليها والغواني يغرهن الثناء ،
عيبه الوحيد أنه يعطي جارتهم صباحاً اهتماماً أكثر منها ٠٠ إن هي تصادفت معها عند جلب
الخبز، تنظر إليها بغيرة ، أشعل غيرتها شكوك تولدت لديها من مشاهدتها لعبده شايف في أحد
الأيام ٠٠ وهو يخرج من بيت صباحاً وقت الضحى ، يومها أبلغت موزة فوبختها قائلة : إن عبده
صديق لشقيق صباحاً ورفيق لزوجها ويشرب الشاي عندهم دائماً ، الشاهد في الموضوع أنها
تولعت بهذا اليماني الصغير الجميل .

تصدقته المسكينة ، فهو الوحيد في هذا الكون الذي يقول لها : (كيف حالش يا حلوة) هو
أول من أعطاهما اهتماماً خاصاً ، أوجد لها جواً رومانسياً ، وسامته تعجبها ، لطافته تبسطها ،
روحه تؤنسها ، كم كانت تتمنى أن يكون زوجها برومانسيته .

يرفع من معنوياتها المحبطة مما يحصل لها من صعاليك الحارة عندما يسخرون منها بعبارات
جارحة ، وهي تعبر الشارع ، ما يزيد من آلامها ، إنها ترى هؤلاء الصعاليك وهم يكيلون الغزل
والمديح لصباحا الجميلة .

شعورها نحو اليماني الخباز ٠٠ يخفف من آلامها التي تعيشها في بيت زعيط ، الأم تنمو بالنفس
٠٠ تترعع بالخاطر ، والمعاملة تزداد قسوة ، تقضي أيامها ولياليها كالثور في الساقية ،
والفرق هنا ، أن الثور في الساقية تغطى عينيه كي لا يصاب بالدوار ، أما البرصاء فيقصد أن

يصيبها الدوار ، تعيشه ساعة بساعة ، عليها أن تتحمل العواقب الوخيمة إن هي فكرت أن ترتاح من هذا الجهد المضاعف ، فأسرة زعيط بن فنو أشداء ، يفخرون بقلة الأدب .
أنس مشاوريها للخباز عبده ٠٠ صباح مساء ٠٠ أثر كثيرا على تواصلها مع الشقيقة الوحيدة ، فالتواصل شبه مفقود ، هذا من جانب البرصاء يُمنى ٠٠ أما من الجانب الآخر فقد رحبت أم دحمان بهذا الانقطاع بين الأختين ، بل زادت عليه ٠٠ بمنع السببه يُسرى من الذهاب إلى أختها بشكل شبه تام ٠٠ متعلقة بأسباب واهية ٠٠ أما حقيقة ما وراء المنع ٠٠ فهي الحرص على عدم إفشاء سر التحاق السببه يُسرى في عمل غسيل الموتى .

ولكن ألا تعلم أم دحمان ٠٠ انه من المستحيل أن يستمر إخفاء مشاركة السببه يُسرى في عمل تغسيل الموتى عن أختها البرصاء إلى ما لا نهاية ، وإنه لا بد أن يأتي اليوم الذي ينكشف فيه المستور.

أتى ذلك اليوم ، إنه يوم الجمعة ، يوم زيارة المساجين ، ذهبت موزة لزيارة أخيها المسجون في سجن العود بتهمة أكل حبوب مخدرة برفقة حدث في بر المنصورية ، كانت ترافقها البرصاء ، تحمل فوق رأسها قدراً متوسط الحجم ، طبخ فيه كوارع ، وهي الوجبة التي يحبها أخو موزة . بعد انتهاء الزيارة ٠٠ رأت موزة أن تزور أم دحمان ٠٠ وتشرب القهوة والشاي معها ، فبيت أم دحمان ٠٠ جار لمقبرة العود ٠٠ ومقبرة العود قريبة من سجن العود ، منها تزور الأخت البرصاء أختها السببه يُسرى بعد طول غياب .

الوقت قبيل أذان العصر ، طرقتا الباب ، فتحت لهما أم دحمان، يبدو أنها منشحة خاطر ، تشرب الشاي وتأكل الفصص في ظلال مصباح المنزل والتسجيل يصعد بأحلى الألحان السامرية ، فهي لم تتس مهنتها الأولى قبل أن تمتهن تغسيل الأموات ، كانت طقاقة ، لا بل من أشهر الطقاقات ، ولكنها اعتزلت الضرب على الدف حين مات أبو دحمان، اعتزالاً ليس بسبب التوبة ، بل بسبب إغراءات مادية سال لها اللعاب حين علمت بها ، معلومات اطلعت عليها من زوجة الرجل الذي قام بتغسيل جثة أبي دحمان، أتت لتعزي ثم عرفت بنفسها ومهنتها ، تكلمت عن المردود المادي الكبير لعملها ، رأت أم دحمان وقتها أن الوقت قد حان للتغير والدخول في هذا المجال . صحيح أن المجالين متقاطعان بالمشاعر، هذا حزن وذلك فرح ، ولكنهما متوافقان بأشياء أخرى ، فكلتا المهنتين ينظر لهما بدونية اجتماعية ، كلتا المهنتين مردودهما المادي جيد

، وإن زادت كفة مهنة التجميل على التطيب بشكل أكبر ، والأهم من ذلك كله أن كلتا المهنتين غير مؤدلجتين ٠٠ اجتماعيا أو دينيا ، مجرد مهنة يكتسب من ورائها العيش ، لا تستخدم كحصان طروادة ، كما في هذه الأيام .

بعد أن انتهت أم دحمان وموزة ٠٠ من التحايا المتبادلة ، ارتابت البرصاء لعدم وجود أختها في البيت ، خاصة ونحن في وقت القيلولة ، أغلب النساء في بيوتهن في هذا الوقت ، سألت عنها: -أين أختي .

بلا مبالاة أجابتها أم دحمان:

-ذهبت إلى مكاناً قريباً ، نصف ساعة وستعود.

جملتان ردت بهما على السؤال ثم رفعت صوت التسجيل لتُسمع موزة الأغنية السامرية الجديدة وهي ترقص وتزوك ، موزة تفاعلت مع الألحان وصارت تطق إصبع ، الفتاة قلقة على شقيقتها وهاتان العجوزان غير مباليتين ، واحدة تطق إصبع والأخرى تزوك .

وهما على هذه الحال فُتح الباب ودخلت السببة يُسرى ، وقد تبللت ملابسها بالماء ، وريح سدر الموتى يفوح من يديها ، فوجئت بأختها البرصاء ، فتحت فمها كالعادة ، وهذا تعبير عن الغرابة والخوف في آن واحد ،

-هلا خالتي موزة ، هلا يُمنى ٠٠ متى جئتا .

ألقت التحية ثم عاد فمها للانفتاح ، أقبلت على رأس أم دحمان وقبلته ، ثم أخرجت من جيبها ريبالات كثيرة ومدتها إلى أم دحمان والتي لم تثن على أمانتها وإكمال مهمتها على أكمل وجه ، بل أمرتها أوامر أخرى ، أن تبديل ملابسها بسرعة وتجهز قهوة زوجها الذي سيستيقظ من نومة القيلولة بعد قليل ، ومن ثم تبدأ في تحضير حناها .

المشهد واضح ، مهنة غسل الموتى في آل دحمان الدفش ٠٠ انتقلت من خلال السببة يُسرى إلى آل مقصعة القمل ، لم تتمالك البرصاء نفسها وصاحت في أختها قائلة :

-خير إن شاء الله .. خير إن شاء الله ، تغسلين موتى يا يُسرى ، هذا اللي بقى ، بنت آل

مقصعة القمل تغسل أموات ، حسبى الله عليك يا أبو زنوبة ، الأوله زوجته أبو نشقة ٠٠ غسال أموات ٠٠ والثانية زوجته قهوجي ٠٠ يغسل الدلال والأباريق للرجال ، ثم استقبلت القبلة وراحت تدعي على صرّار تصرّحاً وسواه تلميحا .

قاطعتها موزة بغضب وهي تقذفها ببيالة الشاي ممتلئة بالشاي الحار:

- انظمي يا البرصاء ، القهوجي أطيّب من أبوك الأبرص ، ويُسرى ما لك دخل فيها ، خليها
ترزّق الله ، ولو تكررين هذا الكلام علمت زعيط بن فنو يؤدبك
آلها انسكاب الشاي الحار باتجاه عينها اليمنى وجزء من خدها الأيمن ٠٠ بلا شعور صاحت :
- عسى يدك الكسري يا عجوز إبليس ٠٠ يا صنيفر (صنيفر لقب للمملوكات من السمر
٠٠ قبل التحرير الاممي) .

فزت موزة من مكانها باتجاه البرصاء لتضربها وهي تردد : انا عجوز إبليس ٠٠ انا صنيفر
يا البرصاء .

حالت أم دحمان بينهما ٠٠ متفهمة شعور يُمنى ٠٠ ومكتفية بعقاب موزة لها ٠٠ الذي أغناها عن
الرد على يُمنى بما يخص احتقار ابنها ٠٠ كفسال للموتى ٠٠ وتعييره بأبو نشقة ، وهي تردد :
- تعوزي من إبليس يا موزة ، وأنت يا يُمنى احترمي خالتك ٠ عيب تقولين يا صنيفر .

حال جو من السكون ملازم لفتح يُسرى لفمها ، استيقظ بعدها دحمان ، أقبل عليهن دون أن
يعطيهن الوقت الكافي للبس الغطوة ، يفرك عينيه تارة ويمسح أنفه تارة أخرى ، مع استنشاقه
بين كل مسحة ومسحة وهو يقول:

- وش ها الإزعاج ٠٠ حرمتونا نومة القيلولة.
لم يرد عليه أحد ٠٠ واكتفت موزة بكلمة:
- أكرمك الله ٠٠ يا أم دحمان .
ثم وجهت كلامها ليُمنى :
- قومي يا العوبا (التمردة) .

امتثلت يُمنى لأوامر موزة ، لبست عباؤها وتبعتها وغادرتا . يبدو أن التعامل بأسلوب الإيذاء
الجسدي قد مورس من قبل ، مرات عدة ، والدليل توقف البرصاء عن الكلام صاغرة رغم
تلقيها ضربة موجعة على الوجه .

وصلتا إلى البيت دون أن تكلم إحداهما الأخرى ، يبدو أن البرصاء لن تمرر إهانة الشاي بسهولة
، بدأت تفكر جدياً بإيقاف هذه الإهانات ، فالجسد لم يعد يحتمل والنفس طابت من هذه

المهانة ، جلست في غرفتها تفكر ، لن تتمكن من دفع الضرر إلا بثمن باهض ، فدفع ضرر موزة لن يأتي إلا عن طريق زعيط بن فنو ، وزعيط بن فنو يريد روحها وروحها تشمئز منه ، ولكن لا باس يا يُمنى ٠٠ داويها بالتي كانت هي الداء .

بدأ الضرب تحت الحزام ٠٠ بين موزة والبرصاء يُمنى .

بعد الانتهاء من الأعمال المنزلية ذلك اليوم ، توجهت يُمنى إلى الحمام لأخذ استحمام خاص ، ثم تلتها بلباس خاص ، وجلست تنتظر القهوجي زعيط بن فنو انتظاراً خاصاً .

أتى القهوجي من ديوانية الزحزح خوي الكبارية ، منهد الحيل ، منهك القوى ، دخل غرفة نوم البرصاء ، ليستيقظ في الصباح ويخرج منها وقد صارت غرفة يُمنى وليست غرفة البرصاء ، إضافة إلى إعادة العمل باستخدام عبارة التذليل (يا بعدهم كلهم) بعد طول غياب .

جن جنون موزة ٠٠ فالذي حدث لم يكن في الحسبان ، صحيح بأنها ضرة منذ أن تزوجها ولكن أن تعود المياه إلى مجاريها مع زعيط بن فنو ويناديها بيا بعدهم كلهم أمر لا يبشر بخير وغير مقبول ويولد غيرة يحترق منها الفؤاد وربما الكبد أيضاً .

البوصلة تحولت من الغرفة الغربية إلى الغرفة الشرقية ، وعلى المتضرر أكل تبن .

هذا الصباح صباح مختلف بكل مراسمه ، تم إيقاظ خنيفس ليحضر الخبز من الخباز مع توبيخه بأن لا يجعل عمته يُمنى تذهب إلى الخباز مرة أخرى ، وإلا سيعاقب ، يشمل هذا التحذير المشاوير الأخرى كسوق المقيبيرة وغيره من الأماكن التسويقية ، أما مراسلات موزة وأوامرها فلن يعمل بها بعد اليوم ، وأي اعتداء جسدي على يُمنى ٠٠ يعتبر اعتداء على زعيط بن فنو شخصياً ، حتى المناداة يجب أن تُثبت على يُمنى ٠٠ ويمنع منعاً باتاً المناداة بالبرصاء ، ومن استخدم مصطلح البرصاء فلا يلومن إلا نفسه ، سيدفع الثمن .

كل تلك التوصيات صدرت بعد مداولات مطولة ٠٠ جرت في ملتقى ليلة البارحة بين الثور الهائج زعيط بن فنو والغزال الشارد يُمنى بنت آل مقصعة القمل .

يا عجوز إبليس / يا حدبا ظهر ٠٠

ولد يوم أسود جديد ، الدنيا هكذا ، يوم لك ويوم عليك ، هذا هو حال موزة ، بدأ العد التصاعدي للأيام التي عليها ، أهملت ، صار التوبيخ بأسوأ الألفاظ يوجه لها يوميا ، من كان أمر صار مأمورا ، وليس هناك ليلة لي وليلة لك أيتها الموزة المستوية ، جميع الليالي للبرصاء وعليك السمع والطاعة ، يزداد على ذلك أعمال الطبخ والتكنيس وإحضار المتطلبات من خارج المنزل وأولها الخبز .

وهل تستطيعين صبيرا ٠٠ أيتها الضرة ؟ لا ورب الكعبة ، هذا هو يمين موزة التي أقسمته في قرار نفسها ، لأن تُفرق بين البرصاء وزعيط بن فنو ، بعد يوم ، بعد شهر ، بعد سنة ، لا بد من التفريق ، مهما كان الثمن ، إنه السم الذي بدأ يتجمع في قلبها منذ إخبارها بزواجه على البرصاء ، أصبح الآن في جاهزية تامة للاستعمال ، والكمية كافية للنيل من البرصاء ، ذات الجسم النحيل ، إن العقرب التي تحمل هذا السم تتلهف لقتله .

الشتاء بدأ والأمطار ليلة البارحة غزيرة ، والشوارع مليئة بالوحل ، وموزة ملزمة بإحضار الخبز من الخباز إذا كانت لا تريد زعيط بن فنو أن يعاقب ابنها عندما ينام عن جلب الخبز ، وقفت بانتظار دورها عند الخباز : ما بال هذا اليماني الجميل لا يمل من التدخل فيما لا يعنيه؟

-يا خالة أم خنيفس ٠٠ لماذا لا تترتاحين في هذا المطر ٠٠ وتجعلين غيرك ٠٠ يأتي ليأخذ

الخبز بدلا عنك ٠٠ خنيفس أو يُمنى؟

آثار غيرتها عندما ناداها بخالة موزة وكأنها عجوز ، وعندما أتى على ذكر يُمنى سماها بلا لقب ، وأهم من ذلك وذاك ٠٠ كيف عرف اسم يُمنى الرسمي ولم يستخدم الاسم المشاع ٠٠ البرصاء ، خوف خالجه تساؤل يقترب إلى الشك ، شك سببه أن هذا اليماني يعلم أن خنيفس ولد مدلل وعاق ٠٠ ولن يأتي ليحضر الخبز من الخباز ، وأن الأقرب لإحضار الخبز فيما لو قبلت بنصيحتها أن تترتاح ، هي يُمنى البرصاء .

أتراه يتمنى أن تأتي يُمنى ، أتراه يؤنسها ، عمره قريب من عمرها ، تساؤلات اختزلتها في ظنها السيئ ، وعمدت بعد ذلك إلى الغنج مع الشاب الجميل بعد أن احضر لها الخبز والفول بقولها :

-كلفنا عليك يا عبده .

-مستعدين يا خالة .

عادت إلى المنزل ، أيقظت زعيط بن فنو ويُمنى ، ثم أيقظت خنيفس بصعوبة ، فالنوم عند هذا الغلام أهم من الأكل والشرب ، أفطر الجميع ثم ذهب زعيط بن فنو إلى عمله وخنيفس إلى مدرسته إن صدق ، فالشك أن يذهب للبحث عن سيارة الفليت في الأحياء المجاورة ، للجري خلفها وترك المدرسة أو إلى إحدى المقابر لشرب الدخان .

بقيت هي ويُمنى ، سألتها عن عشبة عززت السامة التي تمنع الحمل وهل بقي منها شيء فالخوف كل الخوف أن تكون العشبة قد نفذت منها والأجواء الزوجية دافئة :

-هاه ٠٠ يا يُمنى ٠٠ بقي من العشبة شيء ٠٠ أم أنها نفذت ولا ترغبين في الاستمرار

بأكلها وترغبين في الإنجاب ؟؟.

-لا والله يا أم خنيفس لا أريد الإنجاب ، بقي من العشبة ما يكفي لأسبوع ، وأتمنى لو

تشتريين لي منها ما يكفي العمر كله .

إجابة أثلجت صدر موزة وجعلها تجزم أن الحب لزعيط بن فنو في قلب يُمنى معدوم ٠٠ معدوم

٠٠ معدوم ، ذهبت إلى غرفتها وأحضرت مبلغاً كاف لشراء العشبة وأعطته إياها ، ثم قالت :

-الآن تذهبين لطبيبة الأعشاب هلة ، وتشتريين العشبة منها أنت بنفسك .

استبشرت يُمنى لهذا الأمر ٠٠ فالخروج من المنزل أمنية لطالما تمنتها ٠٠ بعد أن قضت أياماً عدة

عاشتها كأنها سجيئة ، فأوامر زعيط بن فنو أحكام يجب على الجميع تنفيذها ، المدعي

والمدعى عليه ، كانت مدعية ، وعدم الخروج كان مطلبها طلباً للراحة والكبرياء ، إلا أنها

بعد التجربة ندمت عليه ، فالحياة الحقيقية خارج هذا المنزل وليس داخله ، اشتاقت لملاطفة

اليمني عبده ، اشتاقت لمعاكسات شباب الحارة الصعاليك الذين يقفون لها في العاير(ركن

الحارة) عند الذهاب وعند الإياب ، اشتاقت للشمس والهواء ، أجابت بلهفة :

-مستعدة يا أم خنيفس ، وأي شي تأمريني فيه من الشارع أجيبه ، قولي لزعيط بن فنو

إنك بحاجة لمساعدتي والخروج عنك ، وأنا تحت الخدمة ، حتى الخبز مستعدة أريحك وأشتريه ،

هنا استحضرت موزة ظنونها ، هناك شيء ما ، بين عبده ويمنى ، فالبنت أسمت الخبز تحديداً دون غيره ، فتاة صغيرة ، وهذا الشاب جميل ، يحرص دوماً على الاهتمام بالنساء ، صغيرتهن والكبيرة .

قالت وهي تمسك بنملة تحت أقدامها تحاول الهرب :

- ليس لدي مانع أطلب من زعيط بن فنو مساعدتي في الخروج لبعض المتطلبات كما في السابق ، باستثناء الذهاب إلى المخبز ، هناك صبي يعمل فيه ٠٠ اسمه عبده شايف ، يقل أدبه مع الحریم ، وأخاف أن يتحرش بك .

بكل براءة وبلا تعمق فيما بين السطور لكلام موزة أجابت بسرعة :

- لا ٠٠ لا ٠٠ عبده .. حبيب .. ولا عمره تحرش فيني .

بدأت الأمور تتكشف لموزة ، ذاك يسأل وهذه تمدح ، إن صدقت ظنونها فهذا الموضوع سيساهم بشكل رئيس للتخلص من يمنى ،

عليها التأكد أولاً من أن هناك شعوراً بينهما ، بعد ذلك عليها أن تعمل في المساعدة على تنمية هذا الشعور ، حتى يكبر ويصبح أمر واقع مؤثراً ، عندها ستحسم الأمور ولن تقبل يمنى العيش مع هذا الزعيط بن فنو وتترك هذا الولد الجميل ، ولو فرضنا جدلاً أنها لن تتمكن من الزواج منه وهذا الأقرب فوجود علاقة متقدمة بينهما ، بحد ذاتها كافية ، لجعل زعيط بن فنو يطلقها عندما يعلم الجميع بهذه العلاقة .

أعطت موزة الضوء الأخضر ليمنى للخروج وكأنها تقول اذهبي بنفسك إلى الجحيم ، فلن تجدي سوى الحرية والجمال والهواء النقي ٠٠ كل ذلك سيدمر حياتك وكبرياءك وكرامتك وقد أعذر من أنذر .

ذهبت ذلك اليوم تجاوزاً ، والأيام التي تلتها بموافقة زعيط بن فنو ، موافقة تمت نزولاً عند إلحاح موزة على طلب المساعدة من يمنى وتحديداً مشاويرها خارج المنزل ، والتكريم بالسماح لها بمشاركتها بعض أعمالها داخل المنزل ، صدر التوجيه الكريم بعد المشاورات مع صاحبة الشأن وهي يمنى ، بالموافقة على المشاركة في بعض الأعمال الخفيفة في المنزل ، بشرط أن من يحدد

نوعية هذه الأعمال يُمنى وليست موزة ، وإلغاء الرقابة على الجودة النوعية تماما بما تقوم به يُمنى .

الهدنة حلت بين أفراد الأسرة جميعاً ، فالمصالح المشتركة بدأت تتفاعل ، موزة تراقب الوضع عن كثب ، يبدو أن النتائج إيجابية ، ها هي يُمنى تلبس ملابس نظيفة وتتعطر عندما تذهب لإحضار الخبز ، توزع ابتسامات قبل المغادرة ، وتلقي طرائف بعد العودة ، أترى الوضع مناسباً لبدء المرحلة القادمة من خطة عمل التفريق بين زعيط بن فنو ويُمنى ، خطة شيطانية ، أسر لها بها إبليس ، محور هذه الخطة هو الإثبات بالجُرم المشهود ، العلاقة غير الشرعية بين الحبيين ، يُستدرج عبده إلى المنزل ، وعلى زعيط بن فنو اتخاذ ما يراه مناسباً عندما يرى يُمنى تجلس مع اليماني الجميل .

-من اليوم وصاعداً ١٠٠ لا ذهاب إلى المخبز يا يُمنى .

-ماذا جد يا أم خنيفس ؟.

-لم يجد شيء ، أنا لي رغبة أذهب بنفسي لإحضار الخبز ، فيه مانع ؟.

التزمت يُمنى الصمت وأذعنت لقرار موزة ، فالإصرار غير وارد ، لاعتبارات عدة ، أهمها الخوف من لفت الانتباه لشعورها تجاه عبده ، يبدو أنه إذعان ظاهري ، أما التنفيذ الفعلي للقرار فسيتخلله بعض التحايل ، نعم لن تذهب إلى المخبز ولكنها ستذهب إلى دكان أحمد (البقال) أو إلى بيت الطيبية هلة وكلاهما مجاوران للمخبز ، ستتعهد المرور من أمامه في الذهاب والإياب ، عند تنفيذ أي مهمة تؤكل إليها أو زيارة تقوم بها .

في الجانب الآخر ، استغرب عبده شايف انقطاع يُمنى عن جلب الخبز مدة ثلاثة أيام ، تلك الصغيرة الظريفة التي يسلم الخبز لها يداً بيد ، أُستبدلت بهذه العجوز النحيلة ، هل يعيد الكرة ويسأل عنها كما سأل في المرة السابقة ، سيسأل بلا خوف ، فتغنج هذه العجوز جراه عليها :

-لو ترتاحين يا خالة في البيت ١٠٠ وتأمرين يُمنى ١٠٠ تشتري الخبز بدلا عنك .

-يُمنى ١٠٠ مريضة ١٠٠ عطنا الخبز بس .

-لا ١٠٠ ألف سلامة لها .

هز رأسه ، كأنه لم يصدق أنها مريضة ومد لها الخبز قائلاً :

-تفضلي هذا الخبز.

عمدت أن تدفع قيمة الخبز بفضة المائة ريال وهي متأكدة من أن المحصول اليومي لبيع الخبز لا يصل إلى هذا المبلغ ، وخاصة ونحن في أول الصباح ، ومحصول يوم أمس قد حفظ في مكان آمن داخل منزل الزيود ، بعيداً عن متناول الأيدي :

-ما فيش صرف يا خالة أم خنيفس ٠٠خل الحساب بكرة.

-لا ٠٠ أنا ما أحب الدين ٠٠اصرف وأعد لي المتبقي في المنزل ٠٠الآن ٠٠ أنا مستعجلة ،

أخاف على خنيفس أن يتأخر عن المدرسة وزعيط بن فنو عن العمل .

إجابتها الأخيرة حملت بعض المعلومات التي قرأها عبده جيداً.

رحب بلا تردد ، من المؤكد أنه لن يعود خالي الوفاض من ذهابه لبيت موزة وتسليمها الفلوس ، المهم أن يعمد التأخير في الذهاب إلى بيت زعيط بن فنو حتى يذهب خنيفس إلى لمدرسة وزعيط بن فنو إلى العمل ، من المؤكد أن يُمنى من سيفتح له الباب عندما يطرقه ، فصغير القوم خادمهم ، ومن يدري ربما رأى وجهها لأول مرة ، وعندما يرى الوجه فذلك مؤشر على الموافقة على كل ما يطلب بعد ذلك .

عادت موزة إلى منزلها محملة بالخبز الساخن بعد أن وضعت طرف شيلتها فوق يدها وتحت الخبز ، كوقاية عن الحرارة ، وصلت البيت ، أيقظت الأسرة كاملة ، تناول الجميع طعام الإفطار، ذهب الرجال وبقيت النساء ، ما هي إلا لحظات بعد خروج الرجال حتى طُرق الباب ، يبدو أن الطارق كان ينتظر مغادرة الرجال .

-افتحي الباب يا يُمنى ، أنا في المطبخ مشغولة.

كررتها موزة حتى نفذت يُمنى الأمر

-من عند الباب .

-أنا عبده شايف .

ارتبكت لبرهة ثم أخفضت صوتها وهي تقول: .

-ماذا تريد يا عبده .

-جئتُ أُعيد باقي المائة ريال لخالتي موزة.

فتحت الباب ولكن ليس بالكامل ، مدت يدها وهي خلف دفة الباب لتأخذ المبلغ ، سلمها المبلغ يداً بييد ، يد سليمة بيد برصاء ، أصرت اليد السليمة على أن تمسك باليد البرصاء إلا أن اليد البرصاء رفضت الاستسلام واكتفت بأخذ المبلغ ،

-والذي يرحم والديش ، أشتي أشوف وجهش .

عبده يستجدي يُمنى بأن تريه وجهها دون غطاء.

أجابته برفض مائع :

-حرام يا عبده،

قالتها وأغلقت الباب

أقبلت يُمنى إلى موزة تبتسم ٠٠ وسلمتها المبلغ وهي تقول :

-ياحليله عبده ٠٠ أمين.

مسحت موزة كفيها المبللتين من صابون التايد وهي تغسل أواني الطبخ ثم أخذت المبلغ ،

صارت تعد المبلغ ويُمنى لا تمل من ترديد عبارة :

-عبده أمين يا أم خنيفس ٠٠ أقول لك أمين .

أنهت العد دون أن تعلق بكلمة واحدة على تأكيدات يُمنى بأمانة عبده ، ذهبت إلى غرفتها وهي تفكر بسيناريو المشهد الثاني من المرحلة الثانية من الخطة ، من أتى مرة لن يتردد في الإتيان مرة أخرى ، ولكن الدخول إلى المنزل والسقوط في الكمين هو الشرط الأساسي لنجاح الخطة ،

- كيف السبيل إلى ذلك دلني ؟ ، موزة تخاطب الشيطان .

أتى التوجيه الشيطاني لها ، ونصه ما يلي : يعمل ما عمل في السابق مع عبده ، نقصد هنا تكرار حيلة صرف المائة ريال ، ويضاف عليها إدخاله المنزل بأي حجة ، بعدها يبلغ زعيط بن فنو بشكل مفاجئ صباح اليوم نفسه ، يقال له أن زوجته يُمنى ترتبط بعلاقة مع عامل المخبز عبده ، وأنها تستغل زيارة موزة في وقت الضحى لبعض معارفها وأقاربها لأكل الكرات فيلتقيا

، وإذا كان لديه شك في رواية موزة فعليه الانتظار في المقبرة إلى أن تأتيه إشارة من موزة بتلويحها بشيلتها من فوق حجا السطح ٠٠ عندها يأتي ليري .

لا تكذبي / إنني رأيتكما معا 00

اليوم هو يوم الأربعاء ولكنه ليس كالإربعاءات الأخر ، يوم وثق فيه الغدر والغباء والشجاعة والجبن في آن واحد .

ذهبت موزة لشراء الخبز ، عملت ما عملته سابقاً ، أعطت عبده مائة ريال ليقتص منها ثمن الخبز ، احتج المسكين بنفس الحجة ، لا يوجد صرف ، وهو على استعداد لإعادة ما تبقى من مبلغ المائة ضحى هذا اليوم ، كما فعل في المرة السابقة ، فرح بهذه الفرصة الثانية والتي يعتقد أنها لن تكون الأخيرة ، فالرجل عرفت طريق بيت زعيط ، أمل نفسه برؤية وجه يُمْنى هذه المرة بلا غطاء .

عادت موزة إلى منزلها محملة بالخبز الحار ، حرارة لا تقل عن حرارة الغيرة التي تفوح في جوفها ، أيقظت زعيط بن فنو من النوم بعد أن فطرت خنيفس وغادر إلى المدرسة ، استيقظ ابن فنو بتباطؤ ، فهذه حاله ٠٠ منذ تحسنت الأحوال مع البرصاء ٠٠ يستيقظ ثم يتلکأ في مغادرة السرير ، راقبته موزة إلى أن ذهب إلى الحمام الرئيس ، والذي يقع بجانب غرفة موزة ، لحقت به ٠٠ وقبل أن يدخل ، قالت بصوت خافت وهي ترتجف : .

- اسمع يا زعيط بن فنو وافتح أذنيك ، هناك خبر خطير سأخبرك به ، من المؤكد أنك لن تصدقني ، ولكن إذا رأيت عينك ، يمكنك بعد ذلك تصديقي ، وبعد ذلك ستقول : موزة لا تكذب أبدا .

زادت عينا زعيط بن فنو المليئة بالغمص اتساعاً وقال :

- ما الخبر الخطير يا موزة ؟

- تأكل فطورك الآن ٠٠ ثم تذهب كأنك متجه للعمل ٠٠ اجلس بالمقبرة حتى أومي لك بالشيلة من فوق السطح ، بعدها ٠٠ تعال واسحب حبل باب الحريم ٠٠ ثم ادخل ، تلقى البرصاء يُمنى مع عشيقها اليماني في المجلس ، جاءني خبر أنهم يلتقون في وقت الضحى ٠٠ هنا ٠٠ كلما تركت أنا البيت .

طارت أنفاسه ، وفاحت من فمه رائحته الكريهة ، مفاجأة من العيار الثقيل ، لا يدري ما يقول ، أخيراً استطاع نطق عبارة :

- أنت كذابة يا موزة .

قالها وكأنه بدأ يصدق كلام موزة ، باندفاع غاضب هم بالذهاب إلى غرفة البرصاء يُمنى والتي بدأت تصدر أصوات من غرفتها تدل على أنها استيقظت .

أمسكت موزة ذراعه بقوة ، وجذبتة إلى داخل الحمام ، وبصوت خافت بحنق قالت :
- لا تتهور وتفقدنا مفاجأتها وعشيقها اليماني والإثبات عليها ٠٠ اسمع كلامي ٠٠ وإذا ثبت إنني أكذب فعاقبني بالطلاق والطرْد من البيت ، كلها ساعة وترى بعينك يا زعيط بن فنو ، الآن ٠٠ تناول إفطارك ثم اخرج من البيت ٠٠ وأنا سوف أتصنع أنني أخرج بعدك مباشرة ، كأني سأزور خالتي ، وسأسمعها صوت الباب يغلق ، وبهدوء سأصعد إلى السطح مع درج الرجال (هناك في المنزل سلمان للدرج ، نسائي مطل على بهو المنزل ، وآخر رجالي مطل على مدخل الرجال).

حبيكة شيطانية تجعل الذكي يصدق ٠٠ فما بالك بالغبي ابن الغبي .
قبل شرط موزة كارهاً وبدأت أطرافه ترتعش ، عاد إلى الجلوس في المصباح دون أن يغتسل وبالتالي لن يصلي الفجر.

وضع الإفطار، صار يتلمسه تلمسا ، عكس يُمنى التي كانت شهيتها مفتوحة ، استند إلى الجدار وصار يرتشف القهوة من الفنجال دون أن ينتظرها تبرد ، غادر إلى المقبرة ٠٠ يرقب سطح منزله بلهفة ٠٠ بانتظار إشارة موزة له .

بسرعة متناهية حملت موزة طشت الغسيل ودخلت به الحمام ٠٠ بللت ثلاث قطع من الملابس دون أن تغسلها ، ثم مرت من أمام يُمنى قائلة لها :

- أنا سوف أنشر الغسيل على حبل الغسيل فوق السطح، وعندما يأتي عبده ليعيد باقي المائة ريال، ادخله في المجلس ٠٠ ودعيه ينتظرنى ٠٠ سأوصيه على شراء طحين لنا ٠٠ فالخبازين هم العارفين للطحين الجيد .

قالتها ثم صعدت مع سلم الدرج الداخلي إلى السطح ، في السطح لم تتشر غسيلاً كما ادعت ٠٠ بل توجهت عبر سلم الدرج الرجالي نزولاً إلى كسرة الدرج ٠٠ والتي توجد على جدارها الخارجي الطرمة، والطرمة هذه ، هي فتحة شباك ، تفتح فوق الباب مباشرة ، يقفل هذا الشباك بصندوق خشبي حجمه بالكامل إلى الخارج ، يمكن لمن أراد معرفة من يطرق الباب أن يدخل رأسه بهذا الصندوق ، وينظر بعين واحدة ، من ثقب في أسفل الصندوق .

فرحت يُمنى بهذا الطلب ، اتبعته بإجابة ايجابية لتنفيذه ، فلقاء الشاب الوسيم الحنون ، ممتع لروحها الطاهرة :

- حاضريا أم خنيفس .

لم تمض سوى ثلث ساعة حتى طُرق الباب ، نظرت موزة من خرم الطرمة ٠٠٠ نعم هو ٠٠ عبده أتى ، من يلاطف النساء وصل ، أتى برجليه ، عليه أن يدفع ثمن كلامه الرقيق للقوارير . انتظرت إلى أن فتحت يُمنى الباب ، أدخل حسب التعليمات ، قفزت موزة برشاقة عالية إلى السطح ، الدرجتان تقفزهما بخطوة واحدة ، أخرجت إحدى قطع الملابس المبللة ، كان لونها أحمر ، أشارت بها من فوق حجا السطح لزعيط بن فنو ، الذي كان ينتظر على أحر من الجمر في المقبرة .

عبده شايف ٠٠ شاب مراهق ، لم يصدق نفسه ، يُطلب منه الدخول وقت الضحى في بيت ليس به رجال ، إنه لأمر ممتع ، اعتقد أنه يجني ثمار وسامته ، دخل المجلس ، أخرج باقي المائة من جيبه وسلمها ليُمنى كي توصلها لضرتها موزة ، صارت تعدها بتباطؤ مقصود ، لم العجلة ٠٠ فالوقوف أمام شاب وسيم ينظر بإعجاب ، أمر مثير . اعتقد اليماني أن الفتاة تتلكأ بالعد وتريد منه الجرأة ليكشف وجهها بنفسه ، فالحياء يمنعها ، والحكمة اليمانية تقول أن الجرأة أساس الفحولة .

بغفلة منها سحب الغطاء من على وجهها ، صرخت :

- لا يا عبده .

ما أن أكملت العبارة إلا وزعيط بن فنو يدخل المجلس عليهما ، لم يتمالك نفسه ، المرأة بلا حجاب ، وببيدها مبلغ يقارب المائة ريال ' الموقف لا يحتاج إلى فراسة في التفسير ٠٠ صاح بأعلى صوته منتخياً :

- أنا ولد أبوي ولده .

انقض على عبده ، صار يضربه بكل أجزاء الجسم ، وجه ٠٠ بطن ٠٠ راس ٠٠ ظهر ٠٠ أماكن حساسة ، الغلام بدوره استسلم للضرب استسلاماً تاماً ، فقناعته التامة بأنه في المكان والزمان الخطأ ، جعلته بلا ردة فعل .

مع كل ضربة يزداد زعيط بن فنو هيجانا وخاصة عندما ينظر إلى وجه عبده الوسيم .
خافت موزة أن يُقتل اليماني ، فالموت تتمناه للضرة البرصاء وليس له ، قامت بسحب زعيط بن
فنو من فوق عبده عنوة ، وقف الثور الهائج والزبد يخرج من فمه يلتفت يمينا ويساراً بلا شعور ،
لمح السيف معلق أمامه على الجدار ، أخذه وكر لضرب عبده بالسيف دون أن يخرج من غمده
، سال الدم من رأس عبده ، عندها صاحت موزة وهي تحول بينهما :
- اهرب يا عبده ٠٠ ترى والله ان يذبحك .

ذكرت موزة الغلام بشي غاب عنه ، إنه الفر ، أعطى رجله للريح ، همم زعيط بن فنو
باللحاق به ، فمنعته موزة وهي تقول :

- اعقل يا زعيط ٠٠ هذا كلب رُمي له عظم ، لا يلام ، الملامة على الكلبة البرصاء ، هي
من تستحق الذبح .

التفت زعيط بن فنو يمينا ويساراً فلم يجد البرصاء ، بحث عنها في كل مكان ، الخوف كل
الخوف أن هي هربت قبل أن يشفي غليله منها .

الغبية هربت إلى السطح ٠٠ ولو كانت ذكية لهربت إلى الشارع ٠٠ كما فعل عبده، أو دخلت
الحمام ، المكان الوحيد الذي يغلق بابه من الداخل بترباس حديدي.
سمعت قرع نعاله ٠٠ وهو يصعد الدرج ، يا للمسكينة ركبناها تصطك إحداهما بالأخرى ،
تجلس جلست القرفصاء في الركن الجنوبي الغربي من السطح .

رآها ، بحث يمينا وشمالاً ٠٠ عله يجد أداة يضربها بها ، سارعت موزة إلى حل هذه الإشكالية
قبل أن يزول الغضب ، أمسكت طشت الغسيل ، أفرغت ما فيه من ماء وملابس رطبة ثم سلمته
إلى زعيط بن فنو ، رفعه بيديه الاثنتين ثم هوى به على رأسها ، دافعت المسكينة عن رأسها
بيديها الصغيرتين ، لم تستطع الصمود خرت على وجهها ، صار الضرب على ظهرها ، تحول
إلى الرأس ، انتهى بضربات يدوية حاقدة على الوجه ، يده اليمنى يلبس في خنصرها خاتماً
حديديا وليس معدنيا (فتخه) ، خاتم تمكن من حاجبها الأيمن فأدماه ، وترك جرحاً عميقاً لن
يزول أثره حتى وأن برأ ، يبدو انه كان ينوي إصابة العين وأخطأ الهدف ، لم يتوقف الثور
الهائج إلا بعد أن تعب ، أمسك بضافئها وصار يسحبها سحباً إلى أن وصلت الدرج ، لم

ينتظرها أن تقف وتنزل برجليها ، سحب ذلك الجسم النحيل من أعلى الدرج إلى أسفله ، كجلمود صخر هذه السيل من عل ، كانت موزة تمشي أمامه وكأنها تفتح له الطريق ، درج ٠٠ فمدخل ٠٠ فباب ٠٠ فشارع :

-روحي ٠٠ وأنت طالق بالثلاث.

قالها والبنيت مرمية على الأرض، وجهها ممرغ بالتراب ٠٠ من أثر السقوط عليه، بدا طرفا ساقيها النحيلتين، المبقعة بالبرص ظاهرة للعيان، ثم أغلق الباب.

تذكر أن الفتاة بلا غطوة وبلا عباءة والشباب سيرون وجهها ، السيقان لاتهم ، فالوجه هو الفتنة الكبرى في رأي شلة العقد والحل التقليديين ، هنا ظهرت الشهامة والمروءة والحمية والغيرة والكرامة والأخوة والرحمة لدى زعيط ، طلب من موزة إحضار العباءة وغطاء الوجه ، فتح الباب مرة أخرى ورمى بهما على وجهها .

رآها من بعيد أحد الصعاليك العيارين وهي ملقاه على الأرض بلا حراك ، أقبل وهو ينادي صاحبه :

-إلحق ٠٠ حرمة مرمية على الأرض ٠٠ أهلها ما يبغونها - شكلها خربانة ما تشتغل.

صاحت به البرصاء :

-وش اللي خربانة ما تشتغل ٠٠ أنا ثلاثجة يا حيوان؟

ضحك الصعلوكان بقوة ٠٠ ثم غادرا يركضان كما أتيا.

بدأ بعد ذلك بعض الفضوليين التجمهر حولها ، ينظرون بازدراء ، هل يا ترى ، استشعروا وهم يتفرجون لزمة (المرأة أعزك الله) ، التي يرددها رجال التراث الثابت ، أم تذكروا مقولة توما الاكويني (أن المرأة كائن عرضي).

استطاعت الحركة أخيرا ، استترت بالعباءة والغطوة وهي رابضة ، حاولت أن تقف ، آثار الضرب المبرح تألمها ، وقفت ، صارت تنفض الغبار من يديها وملابسها ، صحت لنفسها الآن ، تذكرت أنها طلقت للتو ، انتابها شعور الفرح ، أنساها بعض آلامها ، تمتمت بينها وبين نفسها بكلمات ليست كالكلمات :

- فرقاك عيد يا أم الهكي .

أيقنت أن ما حدث مكيدة من موزة ، فالسيناريو يدل على ذلك ، دعت اليماني للدخول ، وطلبت منها أخذ المبلغ منه يد بيد ، وها هي تشارك زعيط بن فنو الاتهام لها بالخيانة الزوجية ، ترشقها بالعبارات النابية ، والشتائم البذيئة ، تتناوب برشقها بحقد يكاد ينطق ٠٠ مساندة للثور الهائج ٠٠ والبنية تحت قصف الطشت ، الطشت الذي هي من قامت بتفريغه من الملابس الرطبة ، وسلمته إياه ، ليصبح أداة ضرب .

لم يعد مهم ما سيقال عنها ، اتهامها باطل أنها على علاقة غير شرعية مع اليماني عبده لا يزعجها ، فالمهم أنها حرة الآن ، تحب من ترغب وتتزوج بمن تريد ، وفي أول القائمة بلا شك اسم عبده شايف ، نعم تحب أن تراه ، يطربها سماع صوته ، يثيرها غزله ، لم يمسس منها شعرة واحدة ، فارتكاب المحرم أمر غير وارد لشريفة مثلها ، ورثة الشرف عن أمها وجدتها ، صحيح إنه رأى وجهها بغفلة منها ، ولكن ذلك بغير رغبتها وليس باستطاعته منعه ، فأين المعصية هنا ، ألم يشاهد وجهها هؤلاء المتجمعون مكشوفاً بلا غطاء وهي مرمية على التراب ، ما الفرق بين الحالتين ؟.

طرقت باب الجارة الجميلة صباحا ، تريد شربة ماء ٠٠ وتطبيب جراح ، فُتح الباب بسرعة ، يبدو أن صباحا كانت قريبة من الباب ، ترقب الحدث من نافذة المجلس ، لم تفتح الباب لها بالكامل ٠٠ كأنها لن تسمح للبرصاء بالدخول :

- نعم ماذا تريدين ٠٠ الله يستر علينا وعليك .

جُرحت من هذا الجحود المتمثل بالطرد ٠٠ وتألمت لهذا الدعاء الذي يعلن بين ثنياه أنها قد

ارتكبت خطيئة بالفعل ، لكن لا بأس ٠٠ من خلال الاتهامات التي تحوم حول صباحا ٠٠ قد يجوز لنا القول ٠٠ كل إناء بما فيه ينضح .

انكبت على أعقابها ، صارت تمشي بتثاقل ، تبعها بعض الفضوليين من الصبية قليلي الأدب والشباب الفاسدين ، التفتت إليهم جميعا وبصوت جهوري صاحت بهم :

- خيرا إن شاء الله ٠٠ لماذا تتبعوني ؟ ، هل تريدون أن أذهب إلى المنطقة (الشرطة) وأحضر

لكم عسكري الآن ؟؟ .

كل شي إلا العسكري ، فالخوف منه ٠٠ ديدن الجميع ، فرساناً ونساء ، شباباً وصعاليك ،
يبررون لأنفسهم خوفهم هذا ، بالاسطوانة المشروخة: الخوف من البدلة وليس ممن يلبسها ، عذر
أجبن من فعل .

خافوا جميعاً وعادوا ، واصلت مسيرها ، شعرت بالعطش يزيد ، قصدت الأزار التي يشرب منها
المصلون عند باب المسجد وشربت .

لا تدري أين تذهب ، إن هي ذهبت إلى القرية ٠٠ تلك مصيبة ، وإن ذهبت إلى شقيقتها السببه
يسرى في بيت أم دحمان الدفش ٠٠ فالمصيبة أعظم ، كانت آثار صدمة ما حدث قد بدأت
تزلزل ، والتركيز صار أفضل ، المهم أن تقرر أين ستذهب .

استقر رأيها على أن تذهب إلى شقيقتها ، تعيش هناك إلى أن تقرر القرار النهائي .
التفتت يسارها وهي تمشي ، رأت الجدار الشرقي لمقبرة ثليم ، رفعت يدها ، كأنها تودعها ،
ولكن لم هذا الحزن أيتها البرصاء ، فأنت راحلة إلى العيش بجوار مقبرة أخرى وهي مقبرة العود
، مقبرة تعتبر الأكبر أرضاً والأهم مكانة والأشهر اسماً ، فأنت محظوظة .

عمّ بيت زعيط بن فنو الشعور بالانتصار ، وأي انتصار ، إنه الانتصار للشرف ، وقد يعتبر
الانتصار الأسمى بين بني الرجال .

أحضرت موزة القهوة للشجاع ابن الشجاع الزعيط ابن الفنو ، فقد أبلى بلاء حسناً في النيل
ممن لطخت شرفه الرفيع ٠٠ وأزال عنه الأذى بعد أن أسال من جوانبه الدم ، فالدماء التي سالت
من الفتاة البرصاء ٠٠ تطهر منها بيت آل زعيط بن فنو كاملاً ، سكان ومساكن ، كذلك
نال التطهر عائلة موزة عن بكرة أبيهم ، بمن فيهم أخيها المسجون بتهمة اختطاف الحدث وأكل
الحبوب المخدرة في المنصورية .

مقبرة العود



واصلت يُمنى طريقها إلى حي العود ، عبر شارع البطحاء ، حافية القدمين ، حذاؤها لم يرم عليها كما رميت العباءة والشيلة ، طرقت باب بيت دحمان ، فتحت لها أختها السببه يُسرى .
ما أن شاهدت آثار الضرب على وجه شقيقتها حتى فتحت فمها بسرعة وأغلقت الباب بقوة وهي تسأل: .

- من ضربك؟ .

- زعيط بن فنو عسا يده للكسر ، وأبشرك طلقني.

زادت فتحة فم السببه يُسرى ، وأعطت السؤال الثاني .

- ليه طلقك؟ وش أنت مسوية (ماذا عملت)؟

سؤال تُسأل فيه كل امرأة عند طلاقها ٠٠ في هذا المجتمع المنصف، تسأل عن سبب الطلاق قبل أن تُعرف الحكاية ، ولا نقول تُتهم ٠٠ حاشانا أن نقول ذلك .

- إلا قولي ٠٠ موزة ٠٠ وش سوت.

ثم قصت عليها مكيدة موزة وأنهت السرد بحمد الله على كل حال ، وأن الله يحبها عندما أنجاها بالطلاق من زعيط بن فنو

أحضرت السببه يُسرى ماء دافئاً وفوطة ، وراحت تكمد جراح شقيقتها وتزيل الأتربة عنها ٠٠ وفمها ما زال مفتوحاً ، دون أن تعلق أو تدعو على من أثخن أختها ٠٠ بكل هذه الجراح

- وين خالتك أم دحمان؟ ٠٠ البرصاء يُمنى تسال .

- جالسة عند باب المقبرة ٠٠ السببه يُسرى تجيب .

اكتفت البرصاء بإجابة أختها يُسرى المقتضبة ، فهي تعرف أن أم دحمان تجلس عند باب المقبرة مع زميلات المهنة دوما ، لاصطياد زبائنهن الذين يأتون إلى المقبرة لأخذ غاسلات المتوفيات ، فهذه المسؤولية لا يؤتمن عليها إلا أم دحمان نفسها ، ولا يمكن أن يتكل بها على السببة يُسرى ، فالتعاقد مع أهل الميتة أهم من غسيل الميتة نفسها ، أما دور يُسرى الآن ٠٠ وفي هذا الوقت تحديداً ، فهو طبخ الغداء لدحمان ، وفي حالة تم التعاقد بين أم دحمان وإحدى الزبائن من ذوي الميتة ، تستدعى لتقوم هي بعملية الغسل ، تحت إشراف أم دحمان .

صارت يُمنى تشرب الشاي الذي أعدته يُسرى بسرعة وهي تفكر ، ماذا ستقول أم دحمان ٠٠ عندما تعلم بما حدث ؟ هل ستصدقها أم ستصدق صديقتها موزة ؟ وماذا عن دحمان الدفش هل تراه سيطلق أختها السببة يُسرى وهي الحامل في شهرها الرابع بذنب فاحشة يُمنى المزعومة ؟ عسى العواقب أن تأتي سليمة ، وأن تكون ردة الفعل غير عنيفة ، ولا ترمى هي وأختها في الشارع

فتح الباب ، دخلت أم دحمان ، كانت محبطة ، يا لهذا النحس فالיום هو اليوم العاشر ولم تتوف أي امرأة ، ما أن أتت إلى المصباح في وسط المنزل حتى رمت بعباءتها جانبا دون أن تنتبه لمن يجلس مع السببة يُسرى ، وقفت يُمنى رغم جراحها وأقبلت على أم دحمان لتقبل رأسها .
تفاجأت أم دحمان ٠٠ بالجرح العميق ٠٠ فوق الحاجب ، شهقت بعد أن رأت آثار الضرب على يُمنى .

- عسى ما شريا يُمنى ، من أين هذه الجروح ؟ .

- من زعيط بن فنو

دنت من وجه البرصاء ممسكة رأسها بكلتا يديها ، حدقت بالجرح العميق ثم شهقت:
- حسبي الله عليك يا زعيط ٠٠ هذا ليس جرح ٠٠ هذا وسم على جبهتك ، سيبقى أثره طول العمر .

طأطأت يُمنى برأسها ونزلت دمعتها ، صارت تقص ما حدث من أوله إلى أن رميت بالشارع بلا عباءة وغطوة ، وأردفت بإيضاح ملابس المكيدة من الضرة موزة ، وأنها بريئة من ذلك كله ، ضمتها أم دحمان إلى صدرها وهي تقول :

- صدَقَتِكَ يا بنيتي ، أنا أعرف موزة وألاعيبها ، يرزقك الله بأحسن منه ، قومي الآن غيري ثيابك والبسي من ثياب أختك ٠٠ ما يصير إلا كل خير .

كلام لم يكن على البال ولا على خاطر ، تلفظت به أم دحمان وهي تحتضنها ، ونبرات صلف مقبول إلى حد ما ، التوجه مختلف عن ذي قبل ، يبدو أنها رأت مصلحتها ، أهم من صداقة موزة ، طبطبت عليها ٠٠ تنفست يُمْنى الصعداء ٠٠ هل من المعقول أن في هذه الدنيا حضناً رحيماً يطبطب عليها ، حتى وإن تخلله كلام ٠٠ حسن المعاني ٠٠ صلف المخارج .

وين ما يروح مجتمعا / أنا وياه ٠٠

هل الزمان سيوجد عليها بفرحه تبدل أحزانها، ربما فالله كريم، الأكيد أنها تشعر بأن صفحة الحزن قد طويت عنها وفتحت لها صفحة الأمل، بعد أن كان مفقودا.

ردت فعل أم دحمان أولية توحى أن الوضع في أمان الآن ، ودحمان الدفش لا يخرج عن طوع أمه ٠٠ وعليه لن يرمي السببه يُسرى في الشارع .

جاء دحمان الدفش قادم من سوق الديرة محملاً بخام الأكفان ، فالأيام التي لا يوجد فيها أموات يذهب للسوق ، لتأمين ملتزمات العمل .

دخل وسلم ، توجه مباشرة إلى بيت الدرج ، وبيت الدرج هو المكان الصغير الذي يقع تحت سقف الدرج ، وعادة ما يعمل له باب صغير ويصبح مستودعاً لما خف وزنه وزاد ثمنه مثل ٠٠التمر ٠٠السمن ٠٠ قماش الأكفان الخام ، إذا كنت يا صاحب الدار ٠٠تعمل غسلاً للموتى .

تبعته أمه على استحياء ، سحبته من يده بعد أن أنزل ما كان يحمله ، أدخلته غرفتها دون أن تعلمه بخبر الطلاق ، ظلاً ما يقارب نصف ساعة داخل الغرفة ، خرجا بعدها وهما مستبشران ، يبدو أن التفاهمات التي تمت بما يخص يُمنى وطلاقها قد أثمرت عن توصيات سرية ، من أهمها:

١ -الوقوف مع يُمنى ودحض التهم الباطلة التي تقول بها موزة وزعيتها ، وذلك خوفاً من أن يمتد العيب ليصل السببه يُسرى وذريتها .

٢ -القبول بأن تعيش يُمنى بينهم بشرط أن تتضمن إلى فريق العمل لغسيل الموتى دون أي تدمير.

٣ -أن يعتبر دحمان الدفش مسؤولاً عنها ، وإن أتى من يخطبها ٠٠ لا تخرج عن طوعه ، أياً كان نسبه ٠٠ أو لونه ٠٠ أو مهنته ، وأن يقتصر دور صرّار ابن عمها على قبض المهر وامتلاكه مقابل قول (زوجتك ابنة عمي يُمنى) للعريس ، أثناء عقد القران .

أبلغت يُمنى بالتوصيات كلها ، بما في ذلك العمل مع أختها في غسل الموتى، مقابل الصرف عليها مأكلاً ومشرباً إلى أن يأتي العريس الجديد.

قبلت بهذه التوصيات مكرهة ، باستثناء خيار الزواج ، فهي تتحفظ على هذا البند إلى حين مقابلة عبده شايف ومناقشة موضوع قبوله لها كزوجة ، فهي راغبة في ذلك اليافع الذي سبى عقلها بوسامته .

أعطيت بسبب الإصابات التي لحقت بها من قصف الطشت أجازة مرضية ، إلى أن يأتي أول ميتة وعندها ترافق فريق العمل كمتدربة وعندما تأتي الحالة التي تليها تقوم هي بتغسيل الجثة بنفسها .

بعد أن شفيت من جراحها باشرت العمل ، ولأنها مستعدة فلا يجب أن تتعامل مع الجثث مباشرة ، لا بد من التهيئة النفسية لها ، فيؤمنى مرهفة الحس وليست كالسببة يُسرى ، أكتفي بأن يكون دورها في العملية مقتصرًا على الجلوس مع الجالسات عند جدار المقبرة لاستقبال الزبائن ، أما التفاوض معهم فهو حق محفوظ لأم دحمان الدفش ، فالمطلوب منها فقط أخذ الزبون إلى أم دحمان في المنزل ، والتي تقضي وقتها بأكل الفصص والاستماع إلى لألحان السامرية في هذه المرحلة .

ساعات الدوام طويلة على البرصاء ، وغير محددة ، إنها ترهقها ، أين نقابة العمال عن مديرة العمل أم دحمان ٠٠ تأمر العاملين لديها وعددهم واحدة بالعمل من الساعة السابعة صباحًا حتى أذان الظهر ، وهي جالسة على التراب ، بعدها تتكرم عليها وتمنحها وقت استراحة لتناول الغداء مدته ساعة إلا ربع فقط ، العودة بعد ذلك للجلوس حتى أذان العشاء ، لا يوجد تأمين صحي ولا بدل خطر ، فبالأمس القريب خرجت سيارة نوع شفر عن مسارها في شارع البطحاء ، باتجاه هؤلاء النسوة وهن جلسات يؤديين أعمالهن ، أصيبت أم مبروك بكسر مضاعف في رجلها اليؤمنى وهي تحاول الهرب ، كان السائق بوضع غير طبيعي وقت الحادث ، بعد هذه الحادثة اهتم منسوبو الأمانة جزاهم الله خيرا ، فأصدروا قرارا تاريخياً يصب في مصلحة وأمن الجالسات تحت جدار المقبرة ، ينص على أن يتم نقل مكان انتظار الزبائن من مكانهن تحت ظلال جدار المقبرة ، إلى الجلوس في الجهة الغربية من شارع البطحاء ، تحت ظلال مكتبة هارون الرشيد ، سميت المكتبة بهذا الاسم تيمناً بالخليفة العباسي هارون الرشيد الذي يحج عاماً ويغزو عاماً ، وليس لديه جوارى كثيرات ، كما يروج إلى ذلك الأعداء ، مكان تم اختياره بعد دراسة معمقه من شلة العقد والحل في بلدية البطحاء ، احتراماً لكرامة المرأة.

مرت الأيام والعمل يأخذ من البرصاء كل وقتها ، ليس لديها وقت لالتقاط الأنفاس ، تريد معرفة مصير الحبيب عبده . لا بد من التحايل بالمرض على المديرية أم دحمان ، عليها تمنحها أجازة مرضية ولو لمدة يوم ، تستطيع من خلاله ، أن تذهب إلى المخبز ، وتسال عن حبيب القلب ٠٠ شريكها في الوقوع في مكيدة موزة ، إنها قلقة عليه . إن هي وجدته سوف تعرض عليه رغبتها في الزواج منه ، تريد أن تتأكد من أن داء البرص لن يجعله يتردد في الزواج منها.

عسى أن يكون هذا الفتى الجميل بخير ، الخوف كل الخوف من أن يكون زعيط بن فنو قد استخدم نفوذه ، وأخفاه خلف الشمس ، ولم يكتف بالعقاب الجسدي الذي أصابه . ادعت أنها مريضة وسوف تذهب إلى مستوصف غميته ، والحقيقة أنها ذاهبة لحارة ثليم ، سمحت لها أم دحمان .

وصلت حي ثليم مشيا على الأقدام ، تنكرت بتغير طريقة لبس العباءة ، من رفع جزئها الأسفل باليدين كما هو حال صاحبات الموضة الصغيريات ، إلى تركها دون رفع ، تغطي كامل الجسم من الراس حتى القدمين ، لكي تبدو كبيرة بالسن ولا يعرفها أحد من سكان حارة ثليم ، فمن ايجابيات العباءة أنها تساعد لابساتها على خداع الآخرين ، فلو كان أب ٠٠ أو أخ ٠٠ أو زوج ٠٠ أو حتى أم ، لن يعرف من داخل هذه العباءة ، في حال غيرت طريقة لبسها فقط .

اتجهت إلى المخبز كزبونة تريد شراء الخبز ، أتى إليها زميل عبده شايف المدعو ناجي ، والتي سبق وأن رآته معه من قبل ، طلبت خبزتين ، أخذت مكاناً أبعد عن المخبز ، لحظات وقد عاد يحمل الخبز لها .

سألته عن عبده ، أفادها إنه سافر إلى اليمن ، خوفاً من أذى زعيط ابن فنو ، الذي ظل يبحث عنه بين عزب البطحاء كلها ، طيلة الأيام التي تلت الحادثة .

دب اليأس في قلبها ، أعادت الخبز إلى ناجي بعد أن فقد سخونته ، لم تبرر له لماذا أعادته ، وهو بدوره لم يجادل ويلزمها إتمام عملية بيع الخبز ويطلب ثمنه ، يبدو أنه يعرف البئر وغطاه ، عادت مكسورة الجناح ، عادت والعود ليس أحماً ، مسكن تكثر فيه الإهانات والتحرشات يوماً بعد يوم ، وعمل مرهق ٠٠ نفسياً وجسدياً ، وليس له مردود مادي ملموس ، ولكن ليس لها غير الإنشاد : **وين ما يروح المجتمع ، أنا وياه .**

مقبرة العجلية



حادثة طلاق البرصاء العلنية ، ورميها خلف الباب ، بلا غطوة ولا عباءة ، ساهمت تدريجياً بتأكيد إشاعة علاقتها الجسدية مع اليماني ، افتراءً وغيبةً ، حي تليم كله تداولها ، علّم بهذه الإشاعة بعض سكان حي العود ، وامتدت الإشاعة إلى أن وصلت الطبال معيط أبوخنز في حي العجلية ، أبوخنز الذي لم يتزوج حتى الآن ، فمبلغ الألفي ريال التي يدخرها لتكاليف الزواج تناقصت بشكل سريع ، إلى أن أصبحت ألفاً ومائتي ريال ، إنه مبلغ قليل ، لن يُمكنه من الزواج إلا بعروس معطوبة سناً أو إعاقة أو سمعة سيئة ، والأخيرة تنطبق على البرصاء ، فزعيط بن فنو يصر على أنها غير شريفة بينما تصر أم دحمان الدفش وابنها على أنها ضحية مؤامرة دنيئة ، الطبال ابن خنز يصدق أم دحمان ١٠٠ إن هي أقنعت البرصاء بالزواج منه بألف ومائتي ريال وإلا فسيكون مع الفريق الآخر الذي يتهم البرصاء بشرفها .

تقدم لخطبتها من أم دحمان ، وافقت يُمنى على مضض ، يا للمسكينة ١٠٠ سيكون معيط الطبال شر خلف ١٠٠ لزعيط القهوجي شر سلف ، فبعد اختفاء الغالي عبده شايف ، أصبح كل

الرجال في نظرها سواسية ، زعيظها ومعيطها ، لن يختلف عليها شيء ، معيط أبوخنز من فصيلة زعيظ بن فنو ، الفارق ينحصر بالسن ، لصالح ابن خنز، كونه بلا زوجة وأولاد . هذا قدر فتاة آل مقصعة القمل ، تخرج من منزل زعيظ لتدخل بيت معيط ، ترحل عن جوار مقبرة ثليم لتحط بجوار مقبرة العجلية ويا قلب لا تحزن .

عمل حفل زواج أقل من عادي ، شبهته أم دحمان بزواج البساسة (القطط) ، أولم بعنزة كبيرة بالسن ، لا يعرف من أين أتى بها معيط أبوخنز، طبختها السببة يُسرى ، حضر المناسبة وتناول لحم العنزة ، صاحب الدار ٠٠العديل دحمان الدفش، والكفيل صرّار ، المسمى شرعاً بالولي ، أصر صرّار على أن يستلم الألف ومائتي ريال كاملة قبل أن يعقد القران ، ويشترط أن يحتفظ بها لنفسه دون اقتطاع أي ريال منها للبرصاء ، أما شراء ما تحتاجه العروس فعلى ابن خنز تأمينه بأي طريقة .

حُلت هذه الإشكالية من قبل أم دحمان، وهو أن تقوم هي بإقراض أبوخنز خمسمائة ريال ، تردها البرصاء يُمنى بنفسها ، من خلال عملها كغاسلة موتى دونما أجر ، تحت إدارة أم دحمان، وعليها أن تبدأ العمل بعد الزواج مباشرة ، مدة العقد مفتوحة ، ربما شهر ، ربما سنة ، ربما أكثر ، المهم أن يغطي المبلغ المستدان من راتب يُمنى ، والمسافة الطويلة بين العجلية والعود لن تعيق يُمنى من الوصول لموقع العمل فأهل المتوفى على استعداد بإحضار يُمنى ٠٠بواسطة سيارتهم الخاصة أو تاكسي أن اتفقت أم دحمان معهم .

صُرّفت الخمسمائة ريال في تجهيز العروس ٠٠ملابس ٠٠فراش ٠٠عطورات.

زفت العروس البرصاء إلى زوجها الجديد معيط أبوخنز، كان الحرج بادي عليها وهي تزف ، حرج منظر آثار بقع البرص على الجلد غير المغطى بالملابس ، والآن زاد عليه حرج منظر الشج الواضح على الجبهة فوق العين ، الوشم الثابت إلى الأبد ، ضربة خاتم زعيظ الحاقدة .

عمل الفرح في بيت أهلها الجدد ، دحمان الدفش ووالدته وزوجته السمينية يُسرى .

وصل خبر الزواج حارة ثليم ، نزل الخبر على زوجها السابق زعيظ ابن فنو كالصاعقة ، فقد ذكرت الأنباء أنه حزن وساءت حالته فور علمه بهذا الزواج المفاجئ والسريع ، كان المسكين قاب قوسين أو أدنى من أن يرد يُمنى إلى عصمته لو أن أباخنز تأخر يومين عن الزواج ، آخر

المقرود محاولة إرجاعها ، لحين السفر إلى حيث يسكن صرّار في قريته ، يريد إغراءه بالمال ،
عله يقنع البرصاء الغاضبة بالعودة ومسامحته عن ذلك الصباح المرير التي اتهمت بشرفها فيه .
إنه غبي ٠٠ لو أنه توجه مباشرة إلى أم دحمان ٠٠ وأهدى لها بعض المال ، لأرجعت البرصاء إليه في
حينه ، ولما تزوجت معيط ، الفرص لا تتكرر، وفرصته الثمينة الضائعة لإعادتها هو ذلك اليوم
الذي أتت فيه أم دحمان الدفش لتعاتبه على استمراره وابنه خنيفس وزوجته موزة في تشويه
صورة البرصاء في كل مناسبة ، يومها أبلغته أم دحمان: أن زوجته موزة هي من دبرت المكيدة .
قام في حينه بعمل تحقيق عاجل وعنيف مع موزة ، اعترفت تحت وطأته بالحقيقة . اقتنع الرجل
بصدق ببراءة يُمنى .

يا لحظه المتعوس ، الرجل ندمان أشد الندم ، يومان فقط ، مدة تأخره في بحث موضوع الإرجاع
لعصمته ، نقلت البرصاء من زعيط إلى معيط.

غريب الدار ومناي التسلي / أسلي خاطري عن حب خلي / غريب الدار ٠٠

ما أصعب أن تتزوج المرأة للمرة الثانية من زوج لا تحبه أيضا ، فأين معيط بن خنز الدميم من ذلك الشاب اليماني الجميل ، الروح ليست الروح.

ليلة فرح كئيبة وغريبة عاشتها العروس في ليلتها الأولى مع العريس ، فهذا المعيط تخرج من فمه رائحة كريهة ، عسى أن لا تكون رائحة مشروب العرق الذي لا تعرفه البرصاء ، الرجل يضحك بلا مناسبة ، ويغني بمصاحبة المرواس أغنية :

غرك بنجمة ليه ما لبسك تاج // من عقب قصر ايديك صارت طويلة
والله يا كهربكم أن يصبح سراج // وعقب النجف والله ان تولع فتيلة
والله ان تطيح بضيق ما منه مخراج // والله ما تطلع بأية وسيلة .

عروسه لا تعرف ماذا يعني هذا العريس باختياره لهذه الأغنية ، رجل يهدد ، يتغنى بأغنية كلماتها لا تتحدث عن الفرح بزواجه منها ، ولا عن التغزل بها ، فهي لا تلبس نجوم وتيجان ، عسى الله أن يستر عن ما وراء هذه الأكمة ، ما يدور بخاطر هذا الطبال خطير جداً ، المستقبل مظلم .

آه ٠٠ هذا هو يوم عشبة عزرت التي تمنع الإنجاب ، الحمد لله أنها لم تتسها ، فالبرصاء كانت حريصة أشد الحرص عليها ، بدأت بشرائها من الطيبة هلة بسريرة تامة قبل شراء أي شي آخر من أغراض الزفاف ، أكلتها قبل أن ينهي أغنيته ، تحملت ٠٠ وصبرت ٠٠ ونامت .

يقضي العرف في ذلك الوقت ، بأن تظل العروس في بيت أهلها مدة أسبوع ، قبل أن تنتقل إلى بيت الزوجية ، تنام مع عريسها في غرفة تجهز لذلك ، تعيش مخدومة ، لا تقوم بأي عمل ، عُرف يتمنى معيط أبوخنز أن يُمدد إلى سنة أو شهر على أقل تقدير ، ولم لا؟ ابن خنز يأكل ويشرب وينام بلا مصروف ، ورفيقه في الإقامة ٠٠ صديقه الغالي صرّار آل مقصعة القمل، صرّار الذي ما زال يحوم على أم دحمان الدفش رغم تصددها عنه ، فهو ما زال بخيلا ، وأم دحمان ٠٠ لا تحب الارتباط بالبخلاء ، يتحدث معها ٠٠ ممكن ، يشاركها أكل كبسة بالبحر من صنع يديها ٠٠ ممكن ، أما زواجها منه ٠٠ فهذا الذي ليس ممكناً أبداً ، هو يردد في قرارات نفسه المثل الشعبي القائل : **العوض ولا ألقطية.**

مر الأسبوع كالبرق على معيط أبوخنز وكالسنة على دحمان الدفش ووالدته ، فالضيوف ثقلاء وأكيلة .

بعد انتهاء أسبوع العسل غادرت يُمنى وبعلمها الثاني إلى حي العجلية ، دخلا البيت الميمون ، بيت يقع في طلعة العجلية ، شمال غرب مقبرة العجلية ، بيت تشاهد من نافذته ، وأنت في الروشن ، المقبرة كاملة ، بيت أقرب للظلام منه للنور ، غير نظيف رغم محاولة كنيس مستعجلة تمت عليه ، أثاثه بلا أثاث ، تكثر فيه طفايات السجائر ، تجدها في كل مكان ، ومع ذلك أعقاب السجائر مرمية هنا وهناك .

مجلس للرجال فيه زولية قديمة ، آثار حرق السجائر تشوهها ، مساند بها شقوق يتسرب منها التبن المحشية منه .

مطبخ فيه طاولة على شكل صندوق فوقها موقد من الغاز ٠٠ له عينان ، سطح الطاولة فرش بصفيح من ألواح التيك ليحمي الطاولة ويساعد على غسل ما يعلق بها من آثار الطبخ ، وهذا النوع من الطاولات يصنع يدوياً في مصانع حراج ابن قاسم العالمية .

غرفة النوم لا يوجد بها سرير ، فراش من القطن عليه غطاء به رسوم ٠٠ ورود وعصافير ، اختيار موديل الورود جاء بالصدفة ٠٠ فأبوخنز لم يشاهد الورود في حياته ، بجانب الفراش يوجد هناك ثلاث قوارير فيكس وقارورة كريم حجم كبير .

وسط المنزل فرش بساط تحت المصباح ، في الركن الشمالي الغربي وضع زير لشرب الماء البارد ، ترى في الركن الشمالي الشرقي ثلاث مراويس (إيقاعات) بأحجام مختلفة ، بجانبها طارين ، كلها مرمية ، كأنها مهمة .

هناك غرفة مغلقة مفتاحها في جيب أبوخنز لا نعلم ما بداخلها .

البيت أشبه بالمسجد ، وهذا مثل يضرب للبيت الخالي تماما من المواد الغذائية فالمسجد لا يؤكل به .

ساء العروس ما رأت فانفجرت غاضبة :

- هذا بيت وإلا مقبرة ، لعنبو شيطانك ما فيه ما نأكل ، الناس كلهم عندهم ثلاثجات ٠٠ وأنت ما زلت تشرب من الزير ، من باكر تشتري ثلاثجة وتقلعها الزير ، وتملا المطبخ بالأرزاق ، وأهم من هذا كله قوارير الفكس ، الموجودة بجانب مخدتك ، لا أريد لها وجوداً في البيت

كله ، لعنبو شيطانك ، ليلة الزواج تدخل علي ورائحتك فكس ، الناس عندها قارورة فيكس واحدة وأنت ثلاث ، الظاهر انك تروش فيه (تستحم فيه)، أنا أتساءل ٠٠ قارورة الكريم هذي ٠٠ حجم كبير ليه ، مشتريه تحسب انه قشطة ، وإلا تعتقد أن الكريم يبعد خشونة جلدك ، جلدك يا معيط جلد ضب ، والله لو تغطس في برميل كريم كل يوم ٠٠ ما يتغير ، شف عاد والله لو ما تنفذ طلباتي هذه ، ما أعيش معك ولا يوم واحد .

أحس أبوخنز بالحر ، خاصة موضوع الفكس والكريم ، حاول امتصاص انفعالاتها بقوله :
- حاضر ٠٠ كل أمر تأميرني فيه ٠٠ يتم ، الأرزاق والثلاجة ، وقوارير الفكس والكريم .

انطلق معيط أبوخنز صباحاً السوق المجاور ، صار يجول على أصحاب المحلات ، قصد اللحام أولاً ، أخبره أنه تزوج ويجب عليه العانية (مساعدة تقدم على أنها هدية الزواج)، فهو ابن الحارة وعميل قديم ، رد عليه اللحام بايجابية وقدم له كيلو من اللحم مجاناً إضافة الى مصران وكرش ومعها كوارع ، عرج على صاحب الخضار وقال ما قاله للحام فلبى طلبه ، بعدها الخباز ثم تاجر الأرزاق ٠٠ رزسكر شاهي ، اعتذر عن قبول القهوة منه ، فقد عرف عن بن خنز احتقاره للقهوة والرجال الذين يمجدونها ، عكس الشاي فهو مدمن عليه ويحب من يحبه .
أنهى عملية التسول المحترمة وعاد إلى البيت محملاً بها .

أراح ذلك يُمْنى ما دعاها إلى الشكر بكبرياء :

- إيه هذا الرجال السنع(الذي ينفذ المطلوب).

تفاعل مع مدحها فبشرها أن الثلاجة ستأتي قريباً ، فأحد زبائنه في الجلسات أبلغه عندما ذهب ليقترض منه مبلغاً لشراء ثلاجة ، أنه سوف يشتري ثلاجة كبيرة هذا الشهر وسيبيعه الثلاجة القديمة بثمن بخس ولا يستبعد أن يمنحه إياها بالمجان.

مرت الأيام الأولى والأسابيع وتبعتها الأشهر على البرصاء بعد الزواج عادية ، لا فرح فيها ولا حزن ، الحياة فيها مع معيط اهدأ منها مع زعيط ، لا ضرة تشاكسها ولا خنيفس ينرفزها ، تخرج بين وقت وآخر للمشاركة في غسل الموتى ، تعودت على منظر الجثث ، لا مردود مالي من عملها هذا ، فالدين لم يسدد حتى الآن ، ودخل أبوخنز المالي ، لا يكاد يغطي المتطلبات ، فالمناسبات الطربية التي تدر عليه تقتصر إقامتها على ليلة الجمعة ، إضافة إلى أن المردود ليس

في كل الأحوال مادياً ، ما دعاها إلى أن تواجه أم دحمان الدفش وتطلب أجراً فورياً عن عملها في غسل الموتى ، فالمبالغ التي لا تدفع لها خلال المدة الزمنية الفائتة قد غطت الدين و زيادة ، فأما أن يدفع لها فورياً أو تتوقف عن مرافقة أم دحمان الدفش إلى الجنائز القادمة ، غضبت أم دحمان الدفش من قولها أن الدين قد غطي وزيادة ، وأصدرت أمر بفصلها عن فريق العمل عقاباً لها على تطاولها على ربة العمل واتهامها باستحلال أجره عملها .

تلقت أمر فصلها عن العمل بصدر رحب فنوعية هذا العمل يقشعر منها البدن ، ولم تتسجم معه يوماً من الأيام.

شعرت بآثار فصلها عن العمل بعد مدة ليست طويلة ، بدأت تعيش ضائقة مالية خانقه ، صحيح أن أم دحمان الدفش لا تعطيها أجراً قبل فصلها ، ولكنها كانت تتقاضى من بعض أهل المتوفاة بخشياً يسيراً ، وكان هذا البخشيش يؤمن بعض اللوازم .

أبوخنز لا يهتم لشغف العيش الذي تعيشه زوجته بعد فصلها ، قدر اهتمامه بالضيق من تواجدها في المنزل ، هذا الرجل يحب البيت خالياً ، ليس فيه أحد ، لم ينسجم بعد مع الحياة الزوجية المشتركة ، يرى نفسه في حياة العزوبية ، انزعج من تساؤلاتها المستمرة ، من الذي أتى ٠٠٠ ابن من كان عندك ، لماذا لا أسمع لكم صوتاً ٠٠٠ لماذا هذه الغرفة تقفل ٠٠ وما بداخلها .

يجب أن يتصرف ليضع حلولاً تنهي هذه التساؤلات وخاصة موضوع الغرفة المقفلة.

عصرية الجمعة ، ذهبت البرصاء لزيارة الطبيبة الشعبية هلة ، بعد أن بدأت تشعر بألم في رحمها ، آلام تأتيها بين وقت وآخر ، خاصة إذا هي تناولت عشبة عززت المانعة للإنجاب وهي جائعة ، فوجبة العشاء ليست مؤمنة بانتظام .

معيط أبوخنز في هذا اليوم ٠٠ ذهب إلى حراج ابن قاسم ، اشترى جهاز تلفزيون مستعمل ، واشترى معه طاولة ليرفع عليها التلفزيون ، قصد أن تكون الطاولة كالدولاب ، بها مخبأ ٠٠ وله مفتاح ،

دخل البيت قبل أذان المغرب ، بدا مستعجلاً ، يريد أن ينجز المطلوب قبل أن تعود البرصاء
’ نقل الجلسة للرجال من المجلس في الدور الأرضي إلى الروشن في الدور الثاني .

' شرع باب الغرفة التي كانت مغلقة في السابق.
' أخذ منها ٠٠ ما كان محظورا ، وأودعه في دولاب طاولة التلفزيون في الروشن ، وقفل عليه بالمفتاح الصغير.

' أبقى على صورة الفنان الأحسائي معلقة على جدار الغرفة ، لم يأخذ فراش النوم الذي كان مفروشا بداخلها واكتفى بطيه ، ترك المبة الحمراء التي كانت مصدر الضوء الوحيد فيها ، دون أن يطفئها .

لحظات معدودة ٠٠٠ فتح الباب الخارجي بعدها بالمفتاح ، إنها البرصاء ، دخلت ، رأته يحمل آخر ما تبقى من المساند التي ينقلها إلى الروشن ويتجه بها صوب الدرج الواقع يمين الداخل من الباب الخارجي .

سألته باستغراب عن ما يفعل .

أجاب وهو يلهث من الجهد المضاعف الذي يقوم به :

- خلاص نقلت مكان جلسة الرجال إلى الروشن ، ارتاحي من الإزعاج ، والغرفة القضية ، مفتوحة أمامك ، فتشيتها الآن ، ثم خفض من حدت صوته وهو يبتسم مكملاً حديثه : وأبشرك اشتريت تلفزيون ، الليلة سنشاهد مسلسل وضحي وابن عجلان سوية ، إذا لم يأتني رجال هذا المساء .

استبشرت فرحاً بشراء التلفزيون المستعمل ولم تتناقش معه ٠٠ لماذا وضع الجهاز عند مجلس الرجال ، ليستمتع فيه هو وليس داخل المنزل لتستمتع فيه هي ، بل شكرته قائلة :
- يا مال العافية.

فرح أنساها أن تبحث أسرار الغرفة المقفلة ومحتوياتها فاكتفت بتنفيذ طلبها بفتحها ورمت عباؤها في أسفل الدرج ثم صعدت إلى الروشن غير مصدقة خبر شراء التلفزيون ، ما أن شاهدته بعينها حتى احتضنته والمعني هنا احتضانها للتلفزيون وليس أبوخنز ، احتضنته وهي تقول :
يا سلام عليك يا أبوخنز ٠٠ يا رب ٠٠ متى يعرض فلم كرتون القط والفار (توم وجيري) .

لماذا هذه المسكينة ترغب في مشاهدة الفلم الكرتوني القط والفار ولا ترغب في مشاهدة المسلسل العربي وضحا وابن عجلان ، هل لأن (المرأة تبقى كطفل .. كل حياتها) كما يقول "شوبنهاور" ، أم لأن الحال في الفيلم فيه عدل بين الضارب والمضروب ، مرة هذا ينتصر ومرة

أخرى ينتصر الآخر، بينما المسلسل العربي جعل العاشقين رجلين فابن عجلان أحب نواف(وضحا) بطلة المسلسل، حتى بطلة المسلسل ألبسوها ثياباً وأسموها نواف ٠٠ امرأة بشارب ولحية ، لابد من ذلك فدور المشاركة في اتخاذ قرارات المعارك القبلية في زمن القصة لا تؤخذ من امرأة ، مجتمع شهم لم يؤسس على تهميش المرأة ، ومن قال أنه مجتمع ذكوري ، فهو منحرف ضال .

استقر الحال في بيت أبوخنز، إلا من بعض القلق الذي ينتاب البرصاء بين وقت وآخر ، قلق يأتيها من زيارات ابن العمدة المتكررة لزوجها ، غلام في السادسة عشرة من عمره يزور من تجاوز الثلاثين ، حدث فيه شارتان ظاهرتان للعيان ، وهي كبر حجم شفثاه مع سعة لفتحة فمه ، يمتد بهما الوقت في الروشن لساعات دون أن يطلبها شايًا ، صوت التلفاز عالي بعض الشيء لبرامج ثقافية لا يفهم معيظ منها شيئاً ، يعود إليها بعد انتهاء الجلسة وقد بانت سرائره ، وفاحت رائحة كريهة من فمه ، وصار يدندن بأغاني الأحسائي إلى أن يغشاه النوم.

الخبرة لديها مفقودة لبناء تصور عن ما يدور، لذلك استمر الحال لهذا السلوك الغريب على ما هو عليه لأكثر من سنتين ، وهي لا تحرك ساكناً ٠٠ وهل يستطيع من لا يعلم العلة أين وكيف ، التعامل معها ؟

زاد على هذا القلق الذي تعيشه من تخبط زوجها السلوكي ، حياة الفقر المدقع الذي تعيشه ، لم يعد يحتمل ، الغداء رز بلا لحمه ، والعشاء لا يوجد إلا إذا كان معيظ أبوخنز موجوداً ، يشتري من البقال روب لبن ، ومعه يشتري خبزة واحدة ، يضع شطه على روب اللبن ثم يبدأ بالتغميس ، يضطرها الجوع لمشاركته .

لا بد من أن تحاول ٠٠ القضاء على هذا الفقر اللعين، أو على الأقل التقليل منه ، **فإضاءة شمعة خير من أن تلعن الظلام.**

كانت تشهد بعض النساء يجلسن مقابل مدرسة أبو نواس الابتدائية ، في حي العجلية ، عند دخول الطلبة للمدرسة وعند خروجهم منها ، يبعن على الطلبة فشار وأيس كريم ، صناعة وطنية .

فكرت أن تعمل في هذا المجال التجاري البسيط، فالمنطق يقول : لو لم يكن هناك ربح مادي ملموس، لما جلسن هؤلاء البائعات أمام المدرسة، يبعن طوال هذا الوقت ، وهي بأمس الحاجة لمثل هذا الربح ، حتى لو كان قليلاً ،

ذهبت إليهن في صباح اليوم التالي ، اشترت من إحدهن فشاراً ، استفسرت بطريقة دبلوماسية عن طريقة عمل الأيس كريم وكيف ينتفخ الفشار ، أفادوها بحسن نية ، واسترسلت بالشرح أطيبهن على الإطلاق وتدعى أم حسناء ، وهي من قرية تسمى نحام ، وهي قرية تبعد عن العاصمة حوالي ٢٠٠ كلم جنوباً ، عطفت على البرصاء لصغرسنها، تعاطف جعلها تسترسل في جمع المعلومات عن هذه التجارة منها ، ما هي المشاكل والمعوقات ، أفادتها :

- مشكلة المشاكل، هي مندوبو البلدية، فهم يمنعوننا من ممارسة البيع هنا، ولأكثر من مرة كانوا يصادرون بضاعتنا.

- ما أدرهم عنكن.

- صاحب البقالة ، هذا الذي بجوار المدرسة ، هو من يبلغ عنا دائماً .

وأشارت بإصبعها إلى رجل حضرمي يجلس على الأرض متكئ على طاولة في مقدمة البقالة ، رابطاً ركبتيه بظهره ، بغترته غير النظيفة ، وحجته في ذلك أن مبيعاته تتأثر عندما نبيع نحن هنا .

يا للعدالة الاجتماعية ، يا للعدالة الشرعية ، يا للعدالة الرسمية ، يا للعدالة الإنسانية ، حضرمي يوصي بطرد نساء الديرة عن البيع ، بينما هو يبيع ، أليس هو رجل وهن نساء ، أليس من الصون للمرأة أن يبيع الحضرمي بضاعته ، وتمنع هي عن البيع ، أليس من درء المفاسد أن تجلس في بيتها ولا تخرج للاختلاط بالرجال في الشارع العام ٠٠ مع الناس ، تنتظر الصدقات أو النفقة ، تأتي أو لا تأتي لا يهم ٠٠ لا أحد يموت من الجوع ، قاعدة يجب أن تعتقد بها كل امرأة يوسوس لها الشيطان بالعمل الشريف .

أحست بارتياح غير عادي لأم حسناء، فكلام هذه المرة يدخل إلى القلب، أخبرتها عن حاجتها إلى كسب العيش وتود أن تصبح مثلهن،

تقبلت أم حسناء رغبة البرصاء بطيب قلب ، وأعلنت استعدادها لإعطاء البرصاء حصة تدريبية في صنع الأيس كريم والفشار بأسرع وقت .

تواعدتا أن تلتقيا في منزل أم حسناء بعد صلاة العصر، منزل يقع في طرف حي العجالية من الشرق، لا يفصله عن شارع الكباري سوى بيت واحد ٠٠ حسب وصف صاحبه .

الحمد لله الأمور تسير بشكل جيد ، بقي إشكال واحد ، وهو إقناع معيط أبوخنز ليسمح لها بكسب الرزق الحلال ، أما طبخ غدائه الذي سيتعلل به ، فستضمنه له ، وتقول أنها تستطيع الجمع بين المهمتين وما عليه إلا تحمل تأخر موعد الغداء لمدة ساعة فقط .

عادت إلى البيت لتجد أبوخنز متخندق بصومعته كالعادة ، صعدت إليه ، لم يرتبك من قدومها فالرادارات العقلية لدية تعمل بشكل جيد ، فبمجرد أن يفتح الباب الخارجي يقوم بعمل ما يلزم حيال إخفاء ما هو مطلوب إخفاؤه ، أبلغته بنيتها العمل في التجارة ، متحججة بأن الاعتماد على مردود مهنته الموسيقية أوصلهم إلى العوز .

فرح أبوخنز لهذا المقترح فرحاً شديداً .

أراحها ذلك كثيراً ورأت أن تتحدث عن الأهم ، وهو تأمين مبلغ خمسين ريال لتبدأ بشراء الأدوات والمواد المطلوبة لصناعة الفشار والأيس كريم .

أبدى استعداداه في الحال .

لم تبلغه عن مخاطر مصادرة البضاعة ، فهذا الحضرمي الذي يبلغ البلدية مقدور عليه ، رفع طرف الزولية ، مخبأه الذي انكشف الآن ويجب تغييره ، مد لها خمسين ريالاً ووضع ما تبقى من الغلة في جيبه حتى يخترع مخبأً آخر .

ما هذا ٠٠ لم تتوقع أن يؤمن لها المبلغ بهذه السرعة ، فبالأمس القريب طلبت منه عشرين ريال فقط ، لتعالج نفسها عند الطيبة هلة فرفض .

ياللغرابة ٠٠ لم يسألها عن الأرباح المتوقعة من بيع الأيس كريم والفشار، الرجل يريد أن يخرج من البيت وقتاً أطول وبس .

ذهبت عصر ذلك اليوم ، إلى بيت أم حسناء ، بناء على الموعد وحسب الوصف ،

فتحت الباب لها ألابنة الوحيدة لأم حسناء ، فتاة أجمل من الجمال ٠٠ طول ٠٠ بياض ٠٠ دعجاء ٠٠ عيون المها لاشيء مقارنة بعيونها ٠٠ مبسم باسم ، سبحان من خلق جمال هذه البنية ، عمرها يقارب الأربعة عشر ربيعاً ، رحبت بها وهي تدخلها .

وجدت أم حسناء بانتظارها ، وقفت لها مرحبة وهي المرأة الأكبر سنا منها ، أجلستها بجانبها ، أمرت ابنتها الجميلة الحسنة أن تعمل شاي وقهوة.

أحست بشعور لم تشعر به من قبل ، لم يسبق أن احتفى أحد بها بصدق نية ، أحست بأمان ، دار الحديث ، والحديث يجر بعضه بعضا ، وعلى الأسرار السلام ، لا تدري البرصاء كيف بدأت بسرد معاناتها وأختها يُسرى دون أن تطلب منها أم حسناء ذلك ، ليست نادمة على كل حال ، فسرد الأحزان لتي تكاد أن تخنقها ، ودموعها التي تنزل تباعا ، مسكنات لآلامها النفسية المبرحة ، لم يتبق إلا أن ترتمي بين أحضان هذه المرأة الطيبة.

ما أن أنهت البرصاء الحديث عن معاناتها إلا وقد رأت أم حسناء تنظر إلى الأرض بسكون ، نزلت منها دمعتان ، قالت بصوت جريح :

- لا تشكين لي يا بنتي ابكي لك ٠٠يايمنى أنا كنت مثل الوردة ، أجمل من بنتي حسناء ، اتفقوا إخوتي من أبي (ليسوا أشقاء) على أن يزوجوني إلى ابن عم والدي واسمه غصاب ، والذي يبلغ من العمر سبعين سنة ، والسبب الرئيسي في تزويجي إياه ، أن كبير إخوتي واسمه هايف ، يريد الزواج من ابنته ، شرط غصاب الأول والأخير للموافقة على تزويج ابنته لأخي ، هو أن يزوجوني إياه ، تم الزواج دون إذن مني ، لم يستطع والدي الطاعن في السن الوقوف في وجه إخوتي ، عشت أياماً سوداء ٠٠إلا أن رزقني الله بحسنة ، وأن في الأيام الأولى بعد الولادة ، طرق الباب أخي هايف ، فتحت الباب وجدته مرتبكاً ، قال بسرعة :

- معي ضيف ٠٠بسرعة أعطينا الشاي والقهوة.

توجهت للمطبخ لإعداد الشاي والقهوة، بعد خمس دقائق سمعت الباب يطرق بصوت عالي وكأنه يطرق بحجر، فُتح الباب، بعدها سمعت امرأة تصرخ:

-ياويلي ويلاه .

صوتها يأتي من مجلسنا ، أسرعرت إلى المجلس لأرى أخي يتعارك مع رجل عرفت لاحقا أنه زوج المرأة التي كانت الضيف الذي كذب علي أخي عندما قال : أن عنده ضيف في المجلس ، تجمهر بعض الجيران وفرقوا بينهم ، دخل بعدها أخي علي وقد سالت الدماء من رأسه ، انتخى بي (يرجوني) وقال :

- تكفين يا أختي قولي أن سمورة بنت سميران صديقتك الروح بالروح ، وأنها موجودة الآن عندنا لزيارتك بعد ولادتك ، استري على أخوك ، اليوم يومك يا بنت أبوي وجدي .
أخذتني الحمية ، وقلت: ابشر، أقبل وقبل رأسي، وهي المرة الأولى التي يقبل بها رأسي أحد في هذه الدنيا.

فعلا أشهرت إفادتي لزوج سمورة والذي اشهرها بدوره أمام بني عمه من النور ٠٠ وأمام رجال قرية نحام بكاملها ، وثبتت براءتها

ما أن علم زوجي المسن بالحادث والإفادة التي تنص على صداقتي بسمورة ، حتى أتاني قادماً من بيت زوجته الأولى أم العيال ، يسألني هل تعرفين سمورة ٠٠ قلت نعم هذه صديقتي الروح بالروح .
ما أن أكملت كلامي حتى رفع عصاه التي يتوكأ عليها إلى صدري ، ليغرسها في محاذاة قلبي ويدفعني بقوة وهو يقول :

روحي وأنت طالق يا صديقة النورية الفاسدة ، خذي بنتك معك أنا لا أعترف بها ، من يضمن أنها ليست بنت حرام . قالها دون انفعال وخرج .

أصبت بالدهشة ، وزالت تلك الدهشة وحل محلها الألم والحسرة عندما علمت أن سمورة هذه ، عاهرة نورية ، تخرج مع كل الرجال الفاسدين في القرية ، ومنهم أخي ، ووجودها في بيتي ، وتأكيدي إنها صديقتي ، جلب الشبهة لي وصاروا يتداولون إشاعة يرون أنها مؤكدة ، مفادها أنني وهي صاحبات في هذا الكار ، نقود على بعضنا البعض .

أخي وللأسف الشديد ، لم يقف معي ويعترف أنه من قال لي : قولي أنها صديقتي ، أبي حزن بعد هذه الحادثة ، توفاه الله بعدها بأشهر قليلة ، قضيت الأيام التي تلت وفاة والدي في بيته كالسجينة ، إلى أن باعوا البيت ، وأحصوا الإرث وأعطوني حصتي وطلبوا مني مغادرة قرية نحام على الفور ، فأنا في نظرهم إما فاسدة أو قوادة ، علي أن أختار بين إحدى هاتين التهمتين وأعترف بها أو بهما معا .

قررت ترك القرية بأكملها لهم، والسلامة بنفسي وابنتي، التي لا أريدها أن تبدأ حياتها وسط هؤلاء المشككين الظلمة.

في اليوم التالي لاستلامي نصيبي، سافرت إلى العاصمة، قصدت منزل إحدى أقارب والدتي، الأقارب الذين لا يعلمون عن ما حدث وعن ما قيل، بقيت لديهم إلى أن اشترت منزلي هذا الذي أسكنه الآن والحمد لله .

لم تتمن البرصاء أن تنتهي أم حسناء عن سرد ماساتها ، فقد كانت تتفاعل بشكل واضح ، حتى أن معدل غضبها على أقارب أم حسناء وصل حد الانفجار، حين صاحت بها ، متجاوزة عرف احترام من هو أكبر منك سناً :

-وساكتة عليهم طوال هذه المدة؟، لماذا لم تنتقي منهم جميعاً؟.

-يا يُمْنى يقولون في الأمثال : النار لا تطفئها النار ، لا يطفئها إلا الماء .

ابتسمت البرصاء إعجاباً بسماحة أم حسناء ورأت أن تبدأ في الحصة التدريبية على تعلم طريقة صنع الفشار والأيس كريم ، كررت الشرح لها مرات ومرات حتى تأكد لها وصول المعلومات بالشكل المطلوب ، قضت بقية الوقت في شرب الشاي مع الأم ، وتبادل الحديث مع الابنة الجميلة التي تقاربها بالسن ، المدعوة حسناء ، وهي كذلك ، بعد أن شاركتهم الجلوس بعد إعداد الشاي والقهوة ، الذي استغرق إعداده وقتاً كان كافياً لإنهاء أم حسناء سرد معاناتها في قرية نحام ، بمعزل عن ابنتها حسناء ، كي لا تجرحها ، حدث ارتياح متبادل بين البرصاء والحسناء ، فالسن بينهما متقارب ،

عادت إلى بيتها في المساء ، سهرت ليلة السبت على صنع البضاعة ، باشرت العمل عند الساعة السادسة صباحاً، أتى أول زبائننا في تمام الساعة السادسة والنصف ، شعور جميل انتابها وهي تقبض ثمن الأيس كريم ونسبة الربح التي قد تجاوزت ١٥٠٪ ، أقبل الزبائن عليها بتواتر، خصوصاً طلبة السادسة ابتدائي ، فأعمارهم قد تجاوزت الخامسة عشرة ويعرفون أن هذه البائعة صغيرة السن مقارنة مع العجائز الأخريات .

الفترة الصباحية انتهت وأعقبتها فترة الظهر، وأتى الغد مثله، أرباحا تتلوها أرباح والفضل يعود بعد الله إلى أم حسناء ١٠٠ التي لا تتوانى في إعطائها الإرشادات أولاً بأول.

الحالة النفسية لها تحسنت كثيراً ، لم يعد لديها وقت للتفكير بالهموم ، تصنيع للبضاعة ليلاً ، وبيعها نهاراً ، الريالات تتضاعف ، المعاكسات مع المراهقين ممتعة ، إلا من صليح ، فهذا

الصعلوك الأعرابي ٠٠ هو ما يزعجها ، ليس من الطلبة المنتظمين نهارة ، يقال أنه حوّل إلى الدراسة المسائية لتكرار رسوبه في الدراسة النهارية ، إضافة إلى كبر سنه ، دمه ثقيل ، يعاكس بجلافة ، يمارس ثلاثة أشياء في وقت واحد ، يأكل علك أبو طابع ، ويبيده سيجارة وجيبه مليء بالفصص المالح ، تتاغم غريب بين أكل الفصص وتدخين ألسيجارة ومضغ العلك ، ليته لم تقرر إلى جانب بيع الأيس كريم والفشار إضافة بيع الفصص والعلك في بسطتها ، جلبت إليها هذه الإضافة زبائن جريئين ، جراءة تصل حد الوقاحة ، لطافتها معهم فهمت خطأ ، هاهو صليح يتحرش بها ويأتي ليشترى منها حتى لو كان هناك دكان مليء بالمبيعات بجوارها ، يبدو أن هذا الصعلوك تعلق بها ، فمن ذلك اليوم المشؤوم ، اليوم الذي حصل فيه تشابك بالأيدي والمفكات والأقلام بين عرابجة المدرسة ، وقت الانصراف من المدرسة ، طرفا النزاع عرابجة قبيلة الأطفس والذي ينتمي لها صليح وعرابجة قبيلة آل أبو أذاني ، ذلك التشابك الذي يتكرر قبل وبعد الانصراف بمعدل شبه يومي ، فالحرب بين أبناء هاتين القبيلتين مستمر لسنوات ، وكأنها حرب داحس والغبراء ، يبدأ الاشتباك بسخرية أحد أبناء الأطفس بأحد أبناء آل أبو أذاني بقوله :

-لو فيكم خير ما صارت أذانيكم كبار.

يرد عليه أحد شجعان آل أبو أذاني بقوله:

-لو فيكم خير ما صارت رقابكم قصيرة وينادونكم بالطفسان.

ذلك اليوم المشؤوم أصيب صليح الأطفس بجرح بليغ في يده اليمنى ، وكانت الأداة المستخدمة بالضرب مفك ، بكل شهامة قامت البرصاء بقطع جزء من شيلتها وربطت بها جرح صليح ، ليتوقف نزيف الدم ، من يومها وصليح يحوم حولها ، ظلناً منه أن عملها ألسعا في له في ذلك اليوم ، نتيجة شعور عاطفي جياش ٠٠ تكنزه نحوه ، لا بد أن يكون جريئاً ويجني ثماره . منذ ذلك اليوم المشؤوم وصليح يحوم حول الحما يريد أن يقع فيه ، لن يهدأ له بال حتى تعترف البرصاء بحبها له ، وأنها ربطت جرحه بقطعة شيلتها خوفاً على حياته . التحرشات بالبرصاء والتي يسميها صليح المغازل ستسمر ، وأي رفض منها سيعتبره صليح مكابرة ليس إلا .

لا بأس، الأيام كفيلة بأن تتعود على التفاوضي عن مثل هذه التحرشات اللفظية ، طالما أنها لم تصل إلى حد التحرش الجسدي ، أما ما يخص عملها الإسعافي مع صليح ، فهو معروف ورمته بحراً .

مضى الشهران الأوليان من الموسم الدراسي دونما منغصات ، تصريف يومي لبضاعة البرصاء بوقت قياسي ، عكس زميلاتها من العجائز ، فصليح الواقف دوما بجوار دكان الحضرمي ، يلبس ثوباً تفصاله كويتي(واسع) ، وشماغاً وضع على الكتف ، وينتعل حذاء زبيريا يسمى الزبيرية ، لا يدخل رجله بكاملها في الحذاء لكي تكتمل الرجولة ، يبدو أن له دوراً في هذا تصريف البضاعة المميز ، يوصي من يمر من أمامه ويرغب بالشراء بأن يشتري من البرصاء ، دعاية تختلف عن الدعايات التي نراها لتسويق المبيعات ، دعاية صليح تقول : أن من لا يشتري من البرصاء ٠٠ عليه تحمل النتائج ، فالسلاح في الجيب ، والسلاح المعني هنا المفك ، وقد أعذر من أنذر .

عند انتهاء أي عملية شراء ينظر لها بسلمهه ، ومعها ابتسامة ، ثم يشعل سيجارة ، يخرج بعدها علك أبو طابع ويأكله بأسلوب رجولي ، يمشي بعدها أمام بسطتها وهو يومي بقطعة الشيلة التي ربطت البرصاء يده بها ، يوم أصيب في معركة عرابجة آل أبو أذاني ، يومي بالشيلة كأنها مسباح ، يذكرها بحبها له ٠٠ صحيح أنها خرقة غير نظيفة من أثر الدم ، دم علق بها يوم ربطتها البرصاء على يده وهي تتزف ، لكنها عند صليح الأطفس أغلى من الذهب ٠٠ وأنظف من ثوب العيد ، ذهابا مع سلمهه ، وإياب مع الابتسامة ٠٠ والإيماء ترافق كلتا الحالتين ٠٠ على باله حبيب الولد .

أما هي فتستقبل الزبائن بإحراج وعينها على قطعة الشيلة التي يومي صليح بها ، قلقلة من أن يشك الزبائن والزميلات بها ، بدأت تشعر بالندم على معروفها ذاك ، ولكن عليها أن لا تستعيده من البحر ، يجب أن تفكر في تجارتها وتصرف نظرها عن الانشغال بهذا العرjabi ، وتكون واعية تماماً لما يحذرون منه ، وهو مندوب البلدية .

أين مندوب البلدية الذي تحدثن عنه الباسطات كثيراً ، أسابيع مرت ولم ير ، لم تصدر أي من المباسط ، منذ بدأت بالعمل ، أتراه في أجازة ، أم تراه يصادر بسطات أخرى ، في أماكن أخرى

، هل أعداد المندوبين في المعمورة محدود مقابل إعداد المباسط، الحاسة السادسة عملت معها في هذه اللحظة .

جاك الموت يا تارك الصلاة ، جاءت سيارة البلدية ، نوع ونيت هاي لوكس ، يقودها المندوب ، رجل ثلاثيني يلبس غترة بيضاء ، له سكسوكة ، توقف بسيارته أمام البائعات ، لم يعطهن فرصه ليهربن ببضاعتهن ، البرصاء لا تعرف المندوب ولا سيارته ولكنها استشعرت الخطر بعد أن رأت المندوب يجمع أول بسطة من اليمين ، تمكنت من جمع بضاعتها كلها في البساط الذي تعرض فوقه ، ثم أعطت رجليها للريح ، شاهدها الحضرمي ، والمغتاز منها بالذات ، كون أغلب زبائنه قد تحولوا للشراء من بسطتها ، جرى خلفها ، ثم أمسك ببضاعتها وهو يردد :

- أين يا برصاء ٠٠ ذاهبة؟

هنا جاء دور العريجة وأهلها ، لم يشعر الحضرمي إلا وصلح يضربه في وجهه بلكمة جعلته يترك البضاعة ، أعطى البضاعة للبرصاء وهو يصيح بها :

- هجي ٠٠ هجي (أهرب).

أقبل المندوب يريد اللحاق بها فوقف العريجي صليح في وجهه ، بقصد إعاقته إلى أن تهرب البرصاء وهو يردد :

- خير إنشاء الله ٠٠ خير إنشاء الله ٠٠ هذي أختي ما أسمح لك تلمسها.

هنا تذكر المندوب ، الحدود الشرعية فتوقف ، مكثفياً بمصادرة بسطات العجائز ، ركب سيارته وذهب دون الالتفات لمناشدات الحضرمي بأن يتم اللحاق بالبساطة الهاربة ٠٠ وترديده أن صليح ليس أخاً لها .

عادت تحمل بضاعتها لمنزلها وهي تستعيد شريط ما حدث ، يأل إقدام هذا الصليح ، أعجبت بشجاعته ، شجاعة شهامة لا شجاعة ظلم وعدوان كما هي لدى الآخرين ، شجاعة الذين يستعرضون بعضلاتهم على القوارير ، مخالفين قول المصطفى صلى الله عليه وسلم ٠٠ رفقا بالقوارير ، فالفرق شاسع بين صعلوك يضع الغترة على كتفه ويدافع عنها وبين من يلبس عقال ويضربها بطشت غسيل ، أو من يضربها بزنوبته ، إنها شجاعة الذئب لا شجاعة الثعالب ، فمندوب البلدية والحضرمي كانا أكبر سناً منه ، ومع ذلك وقف في وجهيهما .

كم تود أن تعود لتشكره وتصافحه بيدها البرصاء .

واصلت طريقها عائدة نحو بيتها ، عبرت من السكة التي تمر من أمام باب مقبرة العجلية ، عندما صارت محاذية للباب ، سمعت ما يشبه الهمس ، يأتي من داخل المقبرة ، نغمة الصوت الأجلش هذه ليست غريبة عنها ، كأنها نغمة صوت معيط ، والصوت الآخر الذي يتخاطب معه يبدو أنه لشاب صغير السن ، استغربت ، لكنها لن تتوقف ، فهي ليست متأكدة .

وصلت البيت ، وجدت زوج أختها دحمان الدفش ينتظرها تحت ظلال الجدار ، سلمت عليه ، ترددت في فتح الباب فهي لن تستقبله بمفردها فهو رجل لا أمان له ، لاحظ ترددها فبادر إلى تبشيرها بالمولودة الأولى له من أختها يسرى ، بشرها وهو يعدل غترته ويقترب أكثر إلى الباب بانتظار فتحه ليدخل .

فرحت لسلامة أختها ، دون المباركة له بالمولودة أو فتح الباب ، فهذا الرجل في نظرها لا يستحق التعامل بود وتقدير ، فهي لم تنس تحرشاته الخبيثة ، يوم احتاجت للسكنى عند شقيقتها بعد طلاقها ، تحرشات كانت توحى للجميع بأنها بريئة وعفوية وهي عكس ذلك ، فالدخول المفاجئ بحجة وبدون حجة للأماكن التي تتواجد بها وقت النوم ووقت الضوء وأيضا في المطبخ وهي تساعد في طبخ غدائه ، كان دخولا يחדش من حياتها وكرامتها ، إضافة إلى التصادم المقصود عند الأبواب وكأنه لا يقصد ، فالرجل يدعي أن سبب التصادم النظر إلى السواك قبل تقشيرها ، تقشير فنظرة ٠٠ تقشير فنظرة ٠٠ إلى أن يحدث التصادم ، هو لا يرفع نظره ليرى من أمامه ، كائن من يكون ، فالسواك أهم ، والتصادم الجسدي يحدث في الأماكن العامة ، لا بل يحدث حتى في التجمعات الدينية ٠٠ في الحج والعمرة ، ما الضير في ذلك .

وقفت المسكينة حائرة ، لم تستطع نطق عبارة لن تدخل البيت معي ، هنا بادرها الجريء ابن الجريء

-افتحي الباب ٠٠ وإلا أعطيني المفتاح أنا أفتحه.

-والله يا دحمان ٠٠ زوجي يمنعني من استقبال أي رجل بغيابه.

استنشق هواء المقبرة كلها ٠٠ ومسح نشقته بشماغه وبغضب عارم قال :

-انهبت يا البرصاء ٠٠ أنا أي رجل ٠٠ أنا زوج أختك .

-أسفة يا دحمان ٠٠ لن تدخل وأنا لوحدي .

جزم بعدم إمكانية الدخول ، فعاد إلى ظلال الجدار وهو يشرح سبب مجيئه لها ، ويقول أن عليها أن تذهب معه الآن ٠٠ لتقيم عندهم في منزل أختها مدة لا تقل عن عشرة أيام ، تقوم خلالها بخدمة أختها خدمة كاملة ، وتحديد أعمال الطبخ ، فالعرف يقول : تذهب المرأة الحامل عند اقتراب ولادتها لتلد في بيت أهلها ، أو تأتي إحدى قريباتها ، والدتها أو أختها ، لخدمتها في الأيام الأولى لإنجابها ، إذا تعثر ذهابها هي لأي سبب ما .

بعد انتهائه من الطلب الذي أنصتت له جيدا ، تذكرت مصدر رزقها ، فذهابها والجلوس مع أختها يُسرى لأيام ، سيحرمها من ممارسة البيع ، وهذا الدحمان وأمه ٠٠ لن يعوضانها عن الأرباح التي ستخسرهما ، فكرت قليلا ثم قالت :

-أمك نشيطة ما شاء الله يادحمان ، ترفع أكبر جثة وتغسلها ، ليه ما تطبخ غداءك وتغسل

ثيابك وتنظف البيت .

-أمي تطبخ غدائي ، بس غداء أختك من سيطبخه ، هل تريدين أمي أن تخدم أختك وأنت

تخدمين معيط بن فنو.

أُخرجت ، تذكرت أختها السمينة الغبية ، فلو لم تذهب ٠٠ ستجد الذباب يحوم حول ملابسها صباح مساء ، إضافة إلى أن أم دحمان ٠٠ لن تطبخ لها مطازيز بالحلبة والرشاد ٠٠ والذي عادة ما تأكل منه المرأة المنجبة في ذلك الوقت ، ليساعدها على الشفاء العاجل كما يعتقدون .

أسلمت أمرها إلى الله وقررت الذهاب بعد أن اشترطت عليه أن يستقلا سيارة أجرة وليس مشياً على الأقدام.

وافق .

طالبته بالانتظار خارج البيت لتدخل بسطتها وتأخذ بعض الملابس وترافقه .

أغلقت الباب خلفها ، الاحتياط واجب .

وهي تجمع ملابسها لم يغب عن بالها الصوتان اللذان سمعتهما بالمقبرة قبل قليل ، صعدت إلى الروشن ، نظرت من نافذة الروشن المطلة على المقبرة ، لتتأكد من أن الصوت الذي سمعته ليس صوت زوجها ، أمعنت النظر ٠٠ يا للمفاجأة ٠٠ إنه معيط ، أيقنت بذلك ، ومن هو هذا الغلام الذي بجانبه ، يبدو أنه ابن العمدة الذي شاهده بالصدفة أكثر من مرة وهو يزور زوجها في

أوقات محددة ، وقت القيلولة ووقت بعد العشاء ، ماذا يفعلان الآن ؟؟ إنهما يدفنان شيئاً ما ٠٠ بجوار احد القبور ، تساءلت مع نفسها :

- أليست المقبرة ممتلئة بالقبور منذ سنين؟

وأجابت نفسها أيضا :

- لا بأس سوف أسأل معيط عندما يعود عن ما يدفنانه .

والآن يجب أن لا يرى دحمان الدفش ٠٠ زوجها معيط أبوخنز ومعه هذا الغلام الأمد والذي يصغره بسنين فيحتقره ، وهذا الاحتقار سينعكس احتقار عليها بطبيعة الحال ، لذا لن تبلغ دحمان عن وجود زوجها في المقبرة ، وعليها أن تستعجل الذهاب ، خوفاً من أن يخرج زوجها مع ابن العمدة من المقبرة ويراهما دحمان .

انتهت وخرجت وأقفلت الباب ، مشيا إلى الشارع الرئيس والذي تمر عبره سيارات الأجرة ، أبلغت صاحب الدكان (البقال) الذي يقع في راس السكة ليبلغ معيط بن فنو أن هو رآه ، بأن زوجته ذهبت لأختها ، وهذا فيه تمويه على دحمان بأنها لا تعلم أين معيط .

أوقفا تاكسي وذهبا .

دخلت على أختها ، لترى ما لا يسر ، طمالة ٠٠ عفن ٠٠ ذباب يحوم حولها ، كطائرات تنفذ حضراً جويًا على فراشها ، شدة المئزر بدأت بالتنظيف بشكل عام وانتهت إلى المطبخ .
ما أن جهز العشاء إلا وزوجها معيط أبوخنز يطرق الباب ، لم يفرح به أحد ، تتنح ٠٠ يريد من أم دحمان ويُسرى أن يتغطين عنه ، بارك بالمولودة وهو في غاية السعادة ، ليس بسبب أن عديله رزق بمولدة اسمها رجوى ، بل بسبب ضمانه للأكل المجان ، الذي سيملاً به كرشه لمدة أربعين يوماً ، هذا أولاً ، أما ثانياً فتكمن سعادته ، كون منزله في حي العجلية ، سيصبح خالي من سكانه ، يعمل بداخله ما يحلو له ، هو وصديقه ابن العمدة .

قدم العشاء ، أكلوا جميعاً ، بعدها شربوا الشاي ، ومع الشاي يحلو الكلام ، كان جل الحديث تلميح عن تأخر البرصاء عن الإنجاب ، لا يعلمون أنها لم ترغب الإنجاب من زوجها السابق زعيط ولا تريده الآن من زوجها الحالي معيط ، وستستمر في أكل عشب عزرت التي

تمنع الإنجاب إلى أن يحلها الحلال ، فنسل من زعيط ومعيط ٠٠ ممقوت ٠٠ ممقوت ٠٠ ممقوت ،
شاء من شاء وأبى من أبى .

الوحيدة التي يبدو أنها تتمنى من قلبها للبرصاء أن تكون أم دون الحاضرين جميعاً ٠٠ هي
شقيقتها السببه يسرى ، استقبلت القبلة ودعت الله أن يرزق أختها بمولود ذكر ٠٠ في أسرع
وقت ممكن ، وتم تحديد الأمنية في الدعاء ، بأن يكون مولوداً ذكر لا أنثى ، فالفرحة بالمولود
أن كان ذكر تعادل أضعاف أضعاف الفرحة بالأنثى ، وهذا هو حال الجاهلين (وإذا بشر
أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) النحل ٥٨.

أما البرصاء فقد أمنت لأختها وهي تنظر إلى الأرض دونما تعليق. تفرقوا جميعاً ، من نام ومن
غادر.

غادر معيط أبوخنز دون أن تجد البرصاء فرصة سانحة لتسأله عن سبب وجوده بالمقبرة مع ابن
العمدة ٠٠ ظهر هذا اليوم ، وما الذي كانا يدفنانه ، صداقة زوجها لابن العمدة الصغير سناً
تخرجها ، لا تريد من أحد أن يعرف أن زوجها له صداقات غير مقبولة اجتماعياً ، لذا لم تسأله
بالعلن .

زميلات المهنة في المبسط أمام مدرسة أبو نواس الابتدائية افتقدن البرصاء ، ولكن غياب قوم
عند قوم فوائد ، كسب ارتفاع نسبة المبيعات على التلاميذ ، بعد غياب البساطة الرابعة ، ذات
الجماهيرية الطلابية الواسعة ، الذي وصل الحد بها ، أنها عندما تُسأل عن أحدهم ، تجيب أيهم
فهمُ أكثرُ.

أما قيس زمانه ونقصد هنا صليح ، فقد جن جنون لعدم رؤيته للمحبوبة ٠٠ كعادته كل نهار ،
فهذا هو الانقطاع الأول للبرصاء عن البيع أمام المدرسة ، ظن أن سبب انقطاع البرصاء هو
الخوف من البلدية ، فهي لم تعد منذ تلك ألحجة ، راح يتقصى عن اسمها وسكنها وحالتها
الاجتماعية .

عرف المنزل ، صار يحوم حوله ، عسى أن يراها ، ولكن لا أحد ، كان جريئاً ، انتظر إلى أن
خرج زعيط أبوخنز من البيت ، لبس الغترة البيضاء فوق رأسه بعد أن كانت على كتفه ، بادر

إلى طرق الباب اعتقاداً منه أن البرصاء موجودة في الداخل ، لكن لا أحد ، دب اليأس في نفسه ، غادر بعد أن كرر طرق الباب عدة مرات ، لا بأس أيها الصليح فالبرصاء لن تغيب كثيراً .

لم تكمل البرصاء الأربعين يوماً في خدمة شقيقتها وهو عدد الأيام المتعارف عليه بين النساء كي تستطيع المرأة المنجبة بعد مضيها القيام بأعمال منزلها بنفسها ، اكتفت بعشرة أيام فقط ثم غادرت عائدة إلى بيتها .

عادت لترى بيتها وقد صار أشبه بالزريبة ، مطبخ لم يغسل من أوانيهِ شيء ، وسط المنزل مليء بإعقاب السجائر والأتربة ، بطانية مرمية هنا ، ومطرحة مرمية هناك ، رائحة كريهة تعج بأرجاء المنزل.

شمرت عن ساعديها لتنظف منزلها ، انتهجت أسلوباً عملياً ، تنظيف الأماكن العليا أولاً ومن ثم الأماكن السفلى ، بدأت أول ما بدأت بالروشن .

ما هذا؟ هل نسي أبوخنز ، أن يغلق دولاب طاولة التلفزيون بالمفتاح الصغير ، أم تراه آمن من أن يأتي أحد إلى المنزل في غيابه ، فالأربعون يوماً التي ستغيبها البرصاء عند شقيقتها لم يمض عليها سوى عشرة أيام .

لاحظت وجود كرز دخان ، نوع أبو بس (craven) داخل الدولاب ، وبجانبه جركل بلاستيك مغلق ، فتحت غطاء الجركل ، أووقفف ٠٠٠٠ صُدعت بالرائحة الكريهة التي تتبعث منه ، فكرت قليلاً ، هذه الرائحة ليست غريبة عليها ، حاولت أن تربط الأحداث غير الطبيعية لزوجها مع هذا الجركل ، أوصلت نفسها للقناعة بأن هذا هو المسكر الذي يتحدثون عنه الناس ، هذا هو ما يجعله في وضع غير طبيعي عندما ينهي صخبه مع زواره ، هذه الرائحة الكريه هي نفسها الرائحة الكريهة التي تفوح من فمه عندما يأتيها ليلاً.

آه الآن تكشفت الأمور لها ، اكتشاف هذا السر أسرها كثيراً نعم ٠٠ هذا هو ما سألتها عنه القاضي حينما طلبت الطلاق من زعيط بن فنو ، يومها قال هل يسكر ، هذا يعني أن لديها أملاً في الطلاق والخلاص من هذا القدر الفقير ، المدمن ، سيئ الأخلاق ، إن هي هددته بترك الشراب أو تقديم شكوى للقضاء ، سيرضخ وقتها لا محالة لنزواته المحرمة دينياً واجتماعياً .

أخذت الجركل ، سكبت ما في داخله في دورة المياه ، أكملت تنظيف الأماكن الأخرى في المنزل ، ثم شرعت في تصنيع بضاعتها التجارية ، الفشار والأيس كريم ، تجهيزاً للبيع ، صباح الغد .

وهي على هذا الحال دخل عليها معيط أبوخنز وقد تفاجأ بعودتها بعد عشرة أيام فقط ، فالمفروض أن تخدم شقيقتها المنجبة مدة أربعين يوماً .

- الحمد لله على السلامة ، قالها بلا صدق .

-- الله يسلمك ، قالتها بتكاف .

هنا تذكر أن الشراب غير مؤمن بالقفل وربما يفضح أمره ، تركها بسرعة وصعد إلى الروشن . وجده نظيفاً ، آه ٠٠٠٠٠ هذا يعني أنها كانت هنا ، زاد قلقه ، فتح باب دولاب التلفزيون غير

المقفل ، لم يجد جركل العرق .

صاح بأعلى صوته

-برصاء ٠٠ برصاء

لم ينتظر أن تأتيه ، نزل الدرج بسرعة ، دخل عليها المطبخ وقبل أن تلتفت إليه ، أمسكها مع شعرها ويدها ترتجفان من الغضب :

-وين الجركل الموجود بدولاب التلفزيون؟

آلها المسكينة فصاحت به :

-آه ٠٠ آه ٠٠ قطعت شعري .

-وأكسر رقبتك بعد ٠٠ حتى ترجعين الجركل ، قالها بعد أن ترك شعرها ليعطيها فرصة

الإجابة :

-قصدك السكار يا معيط ، كبيتته بالحمام ، وإذا اشتريت غيره ، وشريت مرة ثانية ،

سوف اطلب الطلاق عند القاضي ، وأقول زوجي يشرب سكار .

فقد الأمل من إعادة العرق المسكوب ، أراد أن يبرد حرته على فقدانه لشرابه ، صفعها بيده اليمنى على خدها الأيسر صفة مدوية ، جعلتها تسقط على الأرض ، بعد أن ارتطمت بالجدار

، ثم قال :

-شرب السكر أهون من صداقة الزيود ٠٠ يا صديقة الخباز عبده شايف ، أنا أبشرب كل يوم ، وإذا ما تبين تعيشين معي ، أعطيني مهري الذي دفعته لك ، وأطلقك ، وإذا حاولت تطلبين الطلاق عند القاضي بحجة الشراب ، أقول له ٠٠ انها تكذب علي ، والسبب الحقيقي لطلبها للطلاق ، عشقها لليمانى عبده شايف واشتياقها له ، وسأقص عليه سبب طلاقك الأول والخيانة التي رآها زوجك بعينيه ، قال ذلك ثم غادر .

أحببت الفتاة جسدياً ونفسياً ، يا لهذا العار المختلق ٠٠ الذي سيستمر معها إلى أن تموت ، ما بال هؤلاء الأقوام ، الرجال منهم تحديداً ، يحملون عيوبهم في جيوبهم ، بينما النساء يظل العيب راية ترفف فوق رأسها عند حرب وعند سلم .

آه ٠٠٠ لو كانت تملك المبلغ المساوي لما دُفع مهرًا لها ، لرمته على وجهه الكريه واشترت حريتها ٠٠ تحسر يؤلمها وهي تنن من ألم صفة اليد الحاقدة ، راحت تتحسس بيدها الصغيرة خدها المضروب ، وقفت على قدميها ، تنبتهت أن الفشار بدا يحترق فوق الموقد ، أطفأت النار عنه بعد أن فاحت ريح شياطه .

أين حقوق المرأة ، أين الإنصاف ٠٠ أين العلماء ٠٠ أين الفقهاء ٠٠ أين النشامى ٠٠ أين آخر الرجال المحترمين ، تساؤلات تجمعت في فكرها لتأتي عصا غليظة وتفرق هذه التساؤلات ، فالعرف يقول أن تجمع أكثر من تساؤل احتجاجي في فكر أي امرأة ممنوع ٠٠ ممنوع ٠٠ ممنوع .
تعوذت من الشيطان ثم جهزت بضاعتها ليوم الغد .

باشرت عملها صباح اليوم التالي أمام المدرسة ، وجدت الحضرمي صاحب البقالة وقد عصب رأسه ، سألت زميلتها المسنة أم حسناء عن ذلك ، أفادتها أن صليح ومعه اثنان من بني عمه من قبيلة الأطفيس قد تشاجروا معه عمدا ، عندما تأكد لهم أنه أي الحضرمي من بلغ البلدية وطلب منهم الحضور في ذلك اليوم المشؤوم ، يوم صادروا فيه بسطاتنا ، فشجوا رأسه .
جرت نفساً عميقاً بانسراح وهي تقول في نفسها:

-كفو والله يا صليح ، أدب الحضرمي ، أكيد لن يكررها مرة ثانية .

في هذا الوقت لم يكن صليح موجوداً في مكانه المعتاد بجوار دكان الحضرمي ، أخبره من أخبره أن البرصاء قد عادت إلى العمل ، جاء قبيل الظهر ، جلس أمامها جلسة القرفصاء وكأنه

ينوي الشراء من ما تبيع ، تنهت بقوله : آه ٠٠ وعيناه محدقتان بعينيها ، سألها عن سبب الانقطاع ، وهل هو الخوف من البلدية ، استرسل يطمئنها أنها لن تعود ويقصد حملة مندوبي البلدية ، وأن من كان يبلغ قد نال جزاءه ولن يكرر ذلك مرة أخرى .

وقعت في حرج ، بين قبولها كلام صليح وتقديم الشكر له ومن ثم فتح المجال له في الاسترسال والحديث معها بمواضيع أخرى وبين أن تصده ، وفي ذلك جحود لشهامته :

- أشكرك يا صليح على فزعتك ، بس ترى زوجي يمنعني من البيع للأولاد الكبار بالسن ، أرجوك اشتر من أم حسناء .

رفع غترته من على كتفه الأيمن ليضعها على كتفه الأيسر ثم ابتسم بعد أن ولع سيجارة ، وقال :

- اوووه ٠٠ ما تدري هذي ٠٠ زوجك معيط أبوخنز صار صديقي ، قابلته مع ولد العمدة أكثر من مرة ، ما كنت أعرف أنه زوجك ، و بعد ما عرفت أنه زوجك ، صادفته بسرعة ، عزمنا أمس أنا وولد العمدة عندكم بالبيت وفليناها .

لم تفاجأ بهذه الصداقة ، فهي تعرف أن زوجها يحرص على صداقات صغيري السن ، وهذا ما جعله في نظرها بلا هيبة ، فالجيران في حي العجالية يتزاورون كرجال فيما بينهم إلا هو ، فمعظم أصدقاءه دون العشرين .

تراجعت عن رفضها عدم البيع له بعد أن ارتابت من قوله فليناها ، أترى صليح وابن العمدة يشربون سكار مع معيط ، خافت منه ، باعت له بارتباك .

أكمل عملية الشراء دون أن يذهب ، صار يلقي طرائف قديمة ، تشبه إلى حد كبير وجهه الدميم ، ما جعلها توبخه قائلة :

- خلاص يا صليح أنت اشترت وأخذت الفشار ، ما لها داعي السوالف معي .

لم يقتنع ، ومع ذلك غادر .

هذه ضريبة كسب المرأة لقوتها في هذا المجتمع المحافظ ، يأتيها مثل هؤلاء الزبائن ، يخرجونها ، يخدشون حياتها (قول باءت يجتر عند الحاجة) .

ولكن ماذا لو كان صليح غلاماً وسيماً ، مهذب الألفاظ ، فهل ستتستعجل البرصاء أو غيرها إنهاء عملية البيع ؟ بالتأكيد لا (إياك والارتياح لمخاطبة ذكر ، فالذنب عظيم) .

يتضح أن العيب وشم لكلا الحالتين ، وهنا نتساءل ، أليست النفس البشرية جبلت على القبول للجمال والرفض للقيح ، الإجابة نعم ٠٠ وهذا ما يقلق بعض قومنا .

قيدونى قيد حديد والسلاسل قويه ٠٠

كما أن العواصف تهدأ في أوقات طويلة من السنة ، كذلك حياة البرصاء وشقيقتها ، فقد مرت شهور عدة لم يتغير في حياتهن شيء ، تكليف مستمر للسببه اليُسرى في حمل الجثث وتغسيلها ، وحياة تعيسة للبرصاء من إدمان معيط وفقره ، لم تعد مجريات هذه الحياة عواصف ، تحولت مؤثراتها إلى أشعة شمس حارقة ، تلهبك وهي في مكانها ، أما العواصف المسماة ، فيبدو أنها هبت على مكان آخر .

شاع في حي ثليم وحي شلّقا ٠٠ أنباء عن عمليات سطو غير مسلح ، بقصد السرقة ، تقوم به عصابة ، عددهم فوق العشرة ، تسمى عصابة العبد الأسود ، يروي الضحايا التي تم سرقة منازلهم بالإكراه من هذه العصابة ، أن هذا العبد الأسود يهاجم المنازل وهو عاري ، وجسمه قد دهن بالزيت ، فان استيقظ صاحب الدار أثناء السرقة وحاول الإمساك به ، استحال عليه ذلك ، فيهرب من بين يديه .

مهمة بقية أفراد العصابة الدعم اللوجستي ، استكشاف المنزل ، معلومات عن صاحبه ، هل هو فقيرا أم غني ، زوجته لديها حلي أم لا ، تسويق المسروقات ، الرقابة ، المشاركة أثناء التنفيذ حسب الحاجة .

أقلق المسؤولين الأمنيين تكرار البلاغات عن هذه العصابة ، عملوا كميناً في بيت أحد التجار في الحي ، بعدما أشاعوا في الحارة نيته السفر ، وقع الفار في المصيدة ، القي القبض على أفراد العصابة جميعاً ، تقدمهم العبد الأسود ، الذي تبين بعد التحقق من شخصيته ، أن اسمه الحقيقي خنيفس ابن زعيط بن فنو .

خنيفس ابن زعيط ٠٠ ياسبحان الله ٠٠ من كان يقفز أسوار مقابر الأموات ، صار يقتحم منازل الأحياء ، والعهد على الراوي ، فخير إلقاء القبض على العصابة بأسمائهم الحقيقية نشر في الصحف اليومية ، الصحف التي لا يقرؤها إلا المثقفين ، ولكن ولأنه العبد الأسود المخيف ، الذي نشر الذعر بين العامة ، فقد اهتم الرأي العام بخبر إلقاء القبض عليه .

علم معيط أبوخنز بأن خنيفس ابن زوج البرصاء السابق هو العبد الأسود ، فرح لذلك ، فالغيرة من الزوج السابق مُسلم بها ، ابلغ زوجته البرصاء بذلك ، تلقت الخبر بفرح الشامتين ، وعلقت قائله :

-أبرك ساعة وأسعد وقت ، هذا دعائي عليهم ٠٠ يوم ظلموني.

حزن زعيط لما آل إليه سلوك ابنه المنحرف خنيفس وما ستؤول عليه نهايته والمتعارف عليها لمثل هذا الجرم الشنيع ، شرعاً وعرفاً ، ألا وهو حد الحرابة للمفسدين في الأرض (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) المائدة ٣٣ صار يبحث عن من ينقذ ابنه من العقوبة الشرعية لجرمه ، من أهم شروط هذا المنقذ ، أن يكون وجيهاً ، وأن يكون على استعداد لطلب الشفاعة بكل جراءة من القادر عليها ، مهما كانت مكانته.

من يا ترى هذا المنقذ ٠٠ من يا ترى تجتمع فيه هاتان الصفتان.

هل هناك غيره ، إنه الزحزيح خوي الكبارية ، هو من سينقذ خنيفس بن زعيط بن فتو بعد الله من حد الحرابة .

ذهب إليه ، تمنى عليه أن يتوسط لدى المسؤولين ٠٠ عل وعسى .

قصده في المختصر ، قبل رأسه ثم قال :

-تكفى يا الزحزيح ٠٠ ما عندي إلا الله ثم أنت ، ابني خنيفس ستقطع رأسه بالصفاء :

حك الزحزيح خده الأيسر بيده اليمنى وقال :

-والله فضيحه ، أنا الزحزيح ابن الزحزيح الأكبر ٠٠ أعطي جاهي في مثل هذه الأمور ٠٠

على كل حال ، يكون خير ، سوف أبذل جهدي ، تستأهل يا زعيط بن فتو ، أنت خدمتني سنين طوال .

فرح زعيط من هذا الموقف ، قَرَبَ له الدلة ومعها رطب السلج ، سكب له فنجال من القهوة ، راح يرشفها الزحزيح بتعالي وهو يقول:

- هل تعرف بنات جاهزات للزواج ؟

يريد أن يستغل حالة الضعف التي يعيشها زعيط .

- لا والله ٠٠ لكن سأبحث .

- أبحث ترى لي حوالي إحدى عشر شهراً لم أتزوج فيها ٠٠ إلا على طاري الزواج ، ما هي أخبار زوجتي السابقة السمينية يُسرى ، وأختها الخسيصة البرصاء ٠٠ بعد أن طلقته أنت .
- يُسرى ما زالت زوجة لدحمان الدفش ، غسال الموتى وأنجبت منه بنتاً ، أسمتها رجوى ، أما البرصاء يا طويل العمر ٠٠ فأرجوك لا تظلمها ، وتقول إنها خسيصة ، تبين لي يا طويل العمر أنها بريئة في شرفها ، وأن كل ما جرى مخطط له من زوجتي موزة ، ظلمناها يا الزحزيح ، تبين أن من دعا اليماني إلى المنزل هي زوجتي موزة ، وهي من طلبت من البرصاء أن تدخل عليه بالمجلس لتفاوضه على شراء طحين ، وعندما دخلت نادتنني لأراها مع رجل غريب وأشك في شرفها ثم أطلقها ، وهذا ما حصل بالفعل .

- لعنة الله على عجوزك ، كنت أقول دائماً : ٠٠ بنت من آل مقصعة القمل ، لا يمكن أن تمشي بالخنا ، طيب الآن ٠٠ ما هي أخبارها ؟

- متزوجة من طبال يقال له معيط أبوخنز ، يشرب عرق أربع وعشرين ساعة ، وعيشها بفقير ، وصل الأمر فيها ، أنها تبيع فشار وأيس كريم عند المدرسة للتلاميذ .

- أفففا ٠٠ أخت زوجتي السابقة تبيع فشار وأيس كريم ورأسي يشم الهوى ، خذ هذا المبلغ ، ألفين ريال ، أعطاها إياها ، وقل هذي من زكاة الزحزيح ، وقل لها : أن تدعي لنا أن يرزقنا الله بزوجة صغيرة خلال ها الشهرين .

- قبض المبلغ وهو يدعي له بأن يتقبل الله زكاته.

ظهرت أول النتائج الايجابية لوساطة الزحزيح حيث نقل خنيفس من سجن العود إلى سجن الملز وهذا مؤشر جيد ، يقول أن وراء خنيفس رجال زحول (أقوياء) ، وأنه لن يُعدم .

هذا التطور أفرح زعيط بن فنو وقرر أن يذهب إلى مكة لأداء العمرة .

عاد والعود إن شاء الله أحمد ، نتمنى ذلك ، قديما قالت الأعراب : الضب ما يعرف ربه إلا إذا كان مستلقي ، صار أقل عدوانية ، صار يعيش أجواء إنسانية بمعنى الكلمة ، ، في خضمها لم يغب عن باله ، ظلمه للبرصاء ء ورميها بما ليس فيها بهت وعدوان ، وهي المحصنة ، جزم بما

لا يدع مجالاً للشك أن ما حصل لابنه ، إنما هو عقوبة في الدنيا ، أما الآخرة فهي آخر ما يفكر فيه زعيط بن فنو ، حتى وأن اعتمر ، فكر جدياً بالذهاب إلى البرصاء وإعطائها زكاة الزحزيح بنفسه ، عسى أن تحلله وتصفح عنه ، وأن صارت كريمة ضمت معه في هذا الصفح أسرته جمعاً .

أخذ موزته معه وتوجه إلى بيت الطبال معيط بن خنز ، تعمد أن يأتي في وقت لا يكون صاحب الدار فيه ، منعاً للإحراج ولكي يأخذ وقته الكافي لتقديم مبرراته يوم اتهمها بالباطل ، وأنه لم يعلم ببراءتها من الخيانة الزوجية إلا لاحقاً ، وكيف غرر به ،

وصلاً إلى البيت ٠٠ طرقت موزة الباب ٠٠ فتحت البرصاء الباب دون أن تمنع أن الصوت لموزة ، اطمأنت أن الطارق امرأة ، فوجئت البرصاء بموزة تحتضنها ودموع الندم تنهمر من عينيها بلا غزارة ٠٠ ولا نقول دموع التماسيح

استحضرت الطشت ، تذكرت الضربة الحاقدة من يد تسلحت بالخاتم ، راحت تتحسس وسم الخاتم في جبهتها ، سحبت نفساً عميقاً ، انه زهيق طلب الثأر .

تفاعلت بتكاف ولكن أصول الضيافة التي تعلمتها من أجدادها ، عائلة آل مقصعة القمل فرضت عليها القول :

-تفضلي يا أم خنيفس.

-البسي غطوتك ٠٠ معي زعيط بن فنو يريديك بكلمة راس(يريد محادثتك).

تركتها متوجهة إلى الداخل وهي تقول :

- خليه يدخل في المجلس .

لحظات قليلة دخلت بعدها البرصاء عليهما بالمجلس ، كانت قلقة ، سلمت بالكلام دون أن تصافحه ، يبدو أنها لم تسامحه بعد ، أقبلت عليها العجوز موزة لتقبيل رأسها وهي التي في عمر ابنتها ، اعتذار منها عن ما فات ، فالأمر كان جلاً ، تبعها زعيط بالتأسف ورأسه إلى الأرض ، أخرج من جيبه ألف وخمسمائة ريال ومدّها لها ، مع التوضيح ، أنها مرسلتها لها من قبل زوج أختها الأول الزحزيح ، وأن هذا المبلغ من زكاته جزاه الله خيراً ، والتأكيد على أنها لوجه الله دون انتظار أي مقابل دنيوي .

ترددت في البداية بأخذ المبلغ ، كرامة لآل مقصعة القمل ٠٠الذين عرف عنهم إعطاء الزكاة وليس أخذها ، لا بأس ٠٠إنه الزمن ٠٠أن جار ٠٠كفانا الله شره ، فكرت قليلاً ، تذكرت أن هذا المبلغ هو ما سوف يخلصها من المدمن معيط أبوخنز ، والتي تعيش معه حالة توتر منذ سكبت جركل العرق في دورة المياه .

قبلت بالمبلغ ، تسلمته من يده بحياء حقيقي ، دعت ربها أن يقبل الله زكاة الزحزيع كلها ، وشكرت زعيط بن فنو على أمانته في إيصال المبلغ كاملاً ، فهي لا تعلم أن المبلغ ألفا ريال ، وأن ابن فنو سرق منه خمسمائة ريال.

بعد أن أنهت دعائها علق ابن فنو قائلاً :

-إذا أردت رد المعروف للزحزيع ، ابحتي له عن زوجة جديدة تؤنسه ، ولن يرضيه إلا أن

تكون جميلة وصغيرة ،

- قبل وقت قليل كنت تقول أن إعطائي زكاته لوجه الله.

-أنا أقول ٠٠ إذا لك كان لديك رغبة ، ليس شرطاً.

خطر على البال ٠٠وبسرعة البرق ٠٠الحسنة التي تحتاج الزواج عاجل ليس آجل ، لكنها تذكرت مأساة أختها السببة يسرى ٠٠ يوم تزوجها الزحزيع والآمال التي تحطمت بعد أن طُلت في اليوم الثالث ، وأن هذا مصير من يتزوجهن الزحزيع بلا محالة .

في المقابل تذكرت مناشدة أم حسنة لها ، أن تبحث عن زوج لابنتها الجميلة بأي مواصفات وبأسرع وقت.

بين هذا وذلك ، آثرت أن تعرض الأمر على أم حسنة وتقص عليها حقيقة زيجات الزحزيع وبهذا تبرئ ذمتها ، وبنفس الوقت تعطي الفرصة لحسنة ، فهي جميلة جداً ولديها إمكانات تتفوق على إمكانات شقيقتها يسرى ، فلربما سلبت لب هذا الشائب العائب وأبقى عليها .

جمعت قواها داخلياً وبنقة تامة ظاهرياً قالت :

- يا زعيط بن فنو ٠٠بنات الناس ما هن لعبة ٠٠يأخذهن الزحزيع اليوم ويطلقهن باكر ٠٠

أنا أعرف بنت ٠٠ملكة جمال ٠٠وصغيرة ، مستعدة اذكرها له ، ولكن بشرط ٠٠يضمن لي ٠٠ ما يطلقها.

- إذا هي جميلة ٠٠ اضمن لك ٠٠ أن لا يطلقها ٠٠ ترى الزحزح طوال حياته لم يتزوج بنت جميلة ، جميع زوجاته السابقات ٠ متوسطات الجمال .
- اتفقنا ٠٠ كم تعطوني ٠٠ مقابل الخطبة.
- ما لك إلا المبلغ الذي ٠٠ سيرضيك.
- خلاص ٠٠ انتظر مني الإجابة .

وقفت واستدارت باتجاه المطبخ ، بنية عمل قهوة وشاي خاص بهما ، هنا رفضت موزة وبعلمها السماح لها بذلك ، بحجة أنهما لا يريدان أن يأتي معيط أبوخنز ويعلم بهذه الزيارة فيغضب ، فمهما يكن ، زعيط ٠٠ زوج سابق للبرصاء ، ومن غير المقبول أن يزورها في خدرها ، حتى برفقة زوجته موزة ، توافقت هذه الرغبة مع رغبتها أيضا ، فلو علم بالزيارة سيعلم بالتأكد عن المبلغ المعطى لها ، ومن يضمن لها أن لا يأخذ منها بالقوة .
غادرا بسرعة .

ملأت الفنجال قهوة ٠٠ وراحت ترشفيها بمزاج لم تعشه من قبل ، تتساءل عن ردة فعل الطبال معيط بن خنز عندما يعلم أنها على استعداد تام ٠٠ لدفع المهر الذي دفعه يوم تزوجها ، والبالغ ألف ومأتى ريال ، مقابل أن يطلقها في الحال ، تنتقل فجأة لتتساءل لماذا هي قررت الانفصال ؟
٠٠ هل هو بسبب تنافرها الروحي معه ٠٠ أم هو الفقر أم ثلاثين معا ؟ ٠٠ اليس هناك حل سوى الطلاق ؟

لن تستطيع معه صبيرا ، اليوم هو اليوم الأخير لها ، رضي من رضي وغضب من غضب ، ستخرج من هذا البيت بلا رجعة ، أين ستستقر؟ ، ذلك لا يهم.

لديها خياران ، الأول السكنى عند شقيقتها ، وهو خيار غير محبب ، أما خيارها الآخر والذي يراود خاطرها كخيال ، فهو السكنى مع أم حسناء ٠٠ ومشاركتها الكد والصرف ، فالتاريخ المتشابه بينهما وما تعرضتا إليه من ظلم رجولي ، قرب بينهما بالمحبة والحرص الشديد على بعضهما البعض ، أكثر من مرة وأم حسناء تعرض عليها المبيت وهي تمنع بسبب هذا المعيط الذي سيخرج من حياتها ٠٠ الآن الآن ٠٠ وليس غداً .

الحمد لله ٠٠ يبدو أن هناك جلسة طرب يشارك في إحيائها زعيط هذه الليلة ، لن يأتي إلا قريب الفجر، هناك متسع من الوقت ، بدأت بتجميع أمتعتها وملابسها التي قررت أن تأخذها معها في شنطة جلد كبيرة ، طبخت كل ما لديها من فشار ، صنعت كل مالديها من توت الأيس كريم ، لا تريد أن تبقى لهذا المدمن الوقح أي شيء ، لم تنس اتهامه لها بشرفها مع اليماني عندما سكبت مشروب العرق في الحمام ، ما زال دوي صفعته لوجهها ٠٠ تزن في أذنها ، رائحته الكريهة تعج صبح مساء في أنفها ، ملاطفته لابن العمدة بالهدايا تقززها .

ذهبت لفراشها وهي مسفهلة خاطر ، من المؤكد أن نومها هذه الليلة مختلف ، سيكون نوماً هائلاً ، فالفدية لحريتها موجودة ، وبناء عليه سيكون الخلاص من هذا الرجل المدمن آتي لا محالة ، لو رفض أن يطلقها بطيب خاطر ، فالقاضي موجود ، وسوف ينتصر لها ، كعادة غالبية القضاة في نصرة من سبقها من النساء جميعاً ٠٠ وأنت صادق ٠٠ وانت صادق .

استيقظت صباحاً ، توضأت للصلاة وكأنها تزيل دنس الهموم بطهارة تستشعرها ، يختلجها إحساس أن هذا اليوم ، هو اليوم الأخير لها في بيع الفشار والأيس كريم أمام مدرسة أبي نواس الابتدائية ، ولو لا حرصها على مقابلة أم حسناء وإبلاغها بعرض الزحزح للزواج من ابنتها الحسنة لما ذهبت في هذا اليوم للبيع ، بل توجهت مباشرة إلى بيت دحمان الدفش، لتطلب منه مباشرة الاتصال بمعيط ، والعرض عليه ٠٠ إعطاءه المهر مقابل تطليقها .

آه ٠٠٠٠ الفرج والخلاص من هذا المدمن الفقير بات قريباً ، خلاص تأمل منه ٠٠ أن يغير نهج حياتها بالكامل.

صعدت إلى الروشن لتتأكد أنه عاد ليلة البارحة ، فكما هي العادة ، عند عودته من سهراته لا يأتي إلى فراش الزوجية ، يفضل أن ينام تحت أنغام ما تم تسجيله في تلك الجلسة الطربية . اطمأنت ٠٠ الرجل نائم وسيستيقظ قبل الظهر، وسينتظرها لتعود من المبسط وتطبخ له الغداء ، وعندما لا تعود سيفتقدها ، سيتوجه بطبيعة الحال إلى شقيقتها السببة يُسرى وعندها سيبلغونه بطلبها الانفصال .

الوقت قصير ، لابد أن تتصرف بالبضاعة وتنتهي موضوع خطبة الزحزح للحسنة وتعود إلى المنزل لتتقل أمتعتها الخاصة وتغادر إلى حي العود قبل أن يستيقظ الطبال .

وصلت موقع المباسط ، المقابل لباب مدرسة أبو نواس الابتدائية ، قصدت أم حسناء ، همست في إذنها أن تبعدا مبسطيهما مسافة لا تسمح للزميلات الأخريات من سماع ما سوف يتم طرحه ، موضوعان رئيسان ٠٠ الأول خطبة للزواج والثاني إبلاغ عن نية للطلاق ، أيهما يسبق الآخر لا يهم ف كلا النتيجةين كرو بلاء.

تشعر بحرج شديد ، فهذه هي المرة الأولى التي تقوم فيها بدور الخاطبة ، ولكن لا بأس عليها أن تتحمل ، فأم حسناء غالية عليها وتتمنى لها كل خير ، فالتهمة التي ألصقت بها ، بهتاً وعدواناً ، وجعلت أهل القرية يشككون في نسب ابنتها لأبيها ، تهمة تستحق منها تحمل الحرج وتصبب العرق ، عسى أن يجمع الله بين الجميلة الصغيرة ، والشيخ المسن ٠٠ المزواج ٠٠ خوي الكبارية ٠٠ الزحزيح ابن الزحزيح ، على خير ، لتضع أم حسناء وابنتها حسناء إصبعيهما في أعين الأقارب ، الذين جازت تسميتهم بالعقارب ، عقارب لطالما لدغة في كل المناسبات ، تجريح بتلميح ، همز ولز عند أي فرحة ، عبارات كالحجر الكبير ترمى بها حتى لو كانت المناسبة حضور عزاء ، يا للمسكينتين ٠٠ دوماً ترى رأسيهما في الأرض ، عل هذه الزيجة أن ترفع عنهما هذه المهانة .

دنت منها وبصوت متقطع ، وخافت ، قالت :

- يا أم حسناء ، عندي موضوعان هامان ، اعرضهما عليك ، أتمنى أن اسمع رأيك فيهما ٠٠٠ الأول ٠٠ الزحزيح رجل كبير في السن وغني بالمال ، أوصاني بأن أخطب له ابنتك حسناء ، ولأبري ذمتي ، أقول الصدق عنه ، رجل مزواج ، يتزوج اليوم ويطلق غداً ، سبق وتزوج أختي يسرى مدة ثلاثة أيام فقط ، ثم طلقها .
أما الموضوع الثاني .

وهنا لم تنتظر أم حسناء سماع الموضوع الثاني ، فالفرحة أجبرتها على إظهارها ، قالت وهي تكاد أن تطير من الفرح: .

-الله الكريم ٠٠ يبشرك بالخير ، كبير أو صغير لا يهم ، المهم أنه مقتدر مادياً ، والطلاق علمه عند الله ، أهم شيء يستر عليها .

قالت يستر عليها ثم نزلت دمعتها التي أمكن للبرصاء أن تلمحها من خلف غطاء الوجه الخفيف ، فأم حسناء تعاني من ضعف البصر ، لذلك تخفف من عدد طرقات الشيلة .

بكل شعور بالحنان ، أمسكت البرصاء طرف شيلتها هي ثم أدخلت يدها تحت غطاء وجه أم حسناء ومسحت دمعها وهي تقول :

-وش يستر عليها ، هي مسوية خمال(معيبة) ؟ ، بنت عفيفة ٠٠ كل رجل يتمناها ٠٠ والمنة عليه ٠٠ أن قبلت حسناء فيه.

رفعت أم حسناء رأسها ، جرت نفساً عميقاً ، ثم قالت:

-الله يكتب ما فيه الخيرة ، ما هو الموضوع الثاني ؟ .

-الموضوع الثاني ٠٠ هو أنني قررت الانفصال عن هذا المدمن ٠٠ وسأطلب الطلاق .

-يا بنيتي ٠٠ فرحتني بخطبة حسناء ٠٠ وغميتني بطلب طلاقك ، أين ستسكنين إن أنت

طلقت ؟ عند قليل الأدب دحمان الدفش؟ ، أم سترجعين للقرية ؟ ، من يصرف عليك ؟ صرّار البخيل ؟ ، تعوزي من الشيطان ، واصبري ، يمكن أن يهديه الله ٠٠ ويقلع عن الشرب.

-أن أقلع عن الشرب ياخاله ، فلن يقلع عن الفقر ، هذا طبال لا مهنة له ولا راس مال ، وما

دام أنني سأعيش بفقر ، على الأقل أعيش حرة بعيدة عن معيط ، وأفارقه مثل ما فارقت زعيط

،

-احتسبي على بلواك في هذه الدنيا يا ابنتي ، من زعيط إلى معيط ويا قلب لا تحزن ،

اتكلي على الله ، وصلي صلاة الاستخارة ، ويكتب لك الله كل خير.

-أغراضي جاهزة في المنزل ٠٠ بعد نصف ساعة سأذهب لأخذها وبعدها أتوجه إلى منزل

أختي يسرى ، أما بالنسبة لموضوع خطبة الزحزح ، سأبلغه بموافقتك وأسأله عن الترتيبات .

-خير إنشاء الله .

وقفت البرصاء وصارت تقرب بضاعتها من بضاعة أم حسناء وتقول :

-والله يعز علي فراقكم ، وفراق عيال مدرسة أبو نواس ، ولكن هذه هي الدنيا ، تجمع

وتفرق ، البسطة كلها لك ياخاله ، بيعيها وخذي قيمتها هدية مني لحسناء بمناسبة زواجها ،

وأن سأل العاشق الولهان صليح عني ٠٠ قولي له أنها سافرت لقندهار .

غادرت بسرعة ٠٠ لم تنتظر أم حسناء أن تعلق على الفراق ٠٠ والاشتياق ٠٠ وصليح وقندهار .

وصلت منزل معيط ، فتحت الباب بهدوء ، خوفاً من أن يستيقظ ، جلبت أمتعتها من الداخل ، فجأة وهي تهم بالمغادرة تذكرت إهانته لها ٠٠ حين صفعها على وجهها ، يوم سكبت مشروب العرق بالحمام ، من يومها ورغبة الانتقام تراودها ، لا يجرح هذا المدمن إلا فقدانه ما أدمن عليه ، صعدت إلى الروشن تتسلل كالحرامية ، فتحت باب الطاولة التي يخفي بها العرق وعلب السجاير ٠٠ والذي لم تكن مغلقة بالقفل ، أحدثت عملية الفتح صوت صرير كاد أن يعلو فوق صوت شخير الطبال ، ويستيقظ ، ولكن هيهات .

بكل هدوء أخذت جركل العرق وأبقت على علب السجاير ، نزلت مع الدرج بشويش ، خرجت من الباب ، وضعت حقيبة ملابسها الجلدية على عتبة الباب ، اتجهت إلى جدار مقبرة العجلية القصير ، أومت بالجركل ثم قذفت به من فوق الجدار إلى داخل المقبرة ، سمعت صوت سقوط الجركل على أحد القبور ، الصوت يوحي بأن الجركل البلاستيكي الصنع قد تمزق ، ما يعني أن العرق قد انسكب فوق القبر ، أحست بتأنيب الضمير ، ركضت إلى باب المقبرة لتتظر من أحد شقوق الباب .

يا للألم ٠٠ حدث المحذور، تراب القبر يتشرب العرق ، أحست بتأنيب ضمير مضاعف ، لبت هذا المنكر المسكوب في جوف هذا الفاجر وليس على تراب هذا القبر ، آه ٠٠ ربما صاحبه رجل تقي ، أو امرأة عفيفة ، الندم لم يعد يجدي فالعرق المسكوب لا يمكن أن يعود ، استغفرت ربها وعادت لتحمل حقيبتها وبعض أمتعتها ، واتجهت إلى الشارع الرئيسي لتستقل تاكسي يقلها إلى منزل شقيقتها السببه يُسرى قرب مقبرة العود .

قبل سنين قليلة كانت الرحلة ذهاب ، من جوار مقبرة العود إلى جوار مقبرة العجلية ، والآن رحلة إياب ، من جوار مقبرة العجلية إلى جوار مقبرة العود ، محطة الانطلاق مقبرة ، ومحطة الوصول مقبرة أيضا ، سفرة غير سعيدة ، بدأت بمطبات صناعية قوية ، واللّه العالم وحده كيف ستنتهي .

وصلت إلى منزل شقيقتها ، بعد تعرضها إلى تحرشات لفضية بسيطة ، من قبل سائق التاكسي ، لا باس ، هذا الأمر تعودن عليه بنات الديرة ، قديماً وحديثاً ، وأن تغيرت الشخوص فالنوع

واحد ، فالمرأة عندما تستقل تاكسي لوحدها ، خاصة إذا كانت صغيرة السن ، عليها أن تتوقع مثل ذلك

كيف الحال ؟ شايه أغراضك إلى أين ٠٠ عسى ما شر ٠٠ عسى زوجك ما زعلك ؟ ٠٠ ما له حق .

وهكذا إلى أن يصل إلى الكلام المحظور الذي يتخلله بعض العروض الخبيثة ، ، الحل لهذه التحرشات سيأتي أيتها البرصاء ، لا تخافين ولا تياسين ، فمع أول طفرة اقتصادية قادمة ، سيسمح لسائقين أجانب بقيادة التاكسي ، اطمئني فهؤلاء السائقون الأجانب لا يعرفون اللغة العربية ، قولي عن خصوصياتك ما يحلو لك ، والاهم في هذا كله ، اسم سيارة الأجرة المعروفة ، سيتغير اسمها من تاكسي إلى الليموزين ، هل تعلمين أيتها البرصاء ما معنى هذا الاسم في الأصل ، معناه ، الرداء الذي يلبسه رعاة البقر في أطراف فرنسا ، نعم نحن نتطور ، أدخلنا لأجل خاطر عينيك خدمة الليموزين ، لن نتقطع بك السبل فهؤلاء السائقون سينقلونك أنى شئت ، يتحدثون بلغة الإشارة ، وفي هذا أمان لك أيتها المحافظة ، لا تقلقي ، لن ندعك تستقلين الراحلة لوحداك ، فأنت في عيوننا وفكرنا وقلبنا ، تاج فوق رؤوسنا ، نقطع اليد التي تمتد إليه .

طرقت الباب ، فتحت لها أختها السببة يُسرى ، ما أن رأت البرصاء والحقيبة الجلدية فوق رأسها حتى شهقت وهي تفتح فمها :

- عسى ما طلقك معيط أبو خنز.

- من فمك لباب السماء ، ياليتها يا يُسرى يطلقني ، أنا تركت بيته إلى الأبد ، وقد قررت

أن أطلب الطلاق ، إن وافق كان بها ٠٠ وإلا بيني وبينه المحكمة .

قالت ردها على استفسار شقيقتها وهي تنزل الحقيبة من على رأسها في مدخل المنزل بعد أن أغلقت السببة يُسرى الباب ولم تغلق فمها بطبيعة الحال ، تعانقتا بعد أن قالتا ما لديهما ، دخلتا إلى مكان الجلوس وسط المنزل ، وجدت أم دحمان قابعة فوق ثوب قديم ، تحني شعرها الأبيض ، ما تم وضع الحناء عليه راح أخضرا ، أما الشعر المتبقي فلونه أبيض كالثلج ، ممددة الساقين ، والذباب يحوم عليها ، يبدو أنه ينفذ حضر جوي على العجوز المحناه ، يقلع من على الساقين ليهبط على الرأس ، يعود للإقلاع من على الرأس ليهبط على الساقين.

قبلت رأسها من الجهة التي لم يصلها الحناء بعد ، لم تر أم دحمان ٠٠ الحقيبة الجلدية والتي تدل على زيارة طويلة المدى ، وعليه لم توقّف عملية التحني ٠٠ لتسأل عن السبب .
تم اتفاق غير معلن بين الشقيقتين على أن لا يتم طرح موضوع قرار السعي لانفصال البرصاء عن معيط أبوخنز على أم دحمان ٠٠ إلا بعد أن تنتهي من وضع الحناء على رأسها بالكامل ، فالحناء يجعل الرأس بارداً ، وعلية تكون ردة الفعل باردة أيضاً ، وغير سلبية ، وهذا ما تسعيان الشقيقتان إليه .

اكتملت عملية التحني ، وانتهت معها عملية الحضر الجوي على أم دحمان الدفش ، بعد أن قامت بتغطية رأسها بغطاء وضعته فوق ألحنا مباشرة .

بدأ الكلام عن ما سكت عنه ٠٠ فوجئت العجوز المحناة برغبة البرصاء الشديدة بالانفصال عن معيط أبوخنز والتحدث عن أخلاقه السيئة وإدمانه وفقره بحرقة .

غُطي الحديث بدموع تتهمر بغزارة من البرصاء على خديها ، ودمعة واحدة اغرورقت بها عين السببة يُسرى ، لا تريد أن تنزل على الخدين المنتفخة من السمنة .

لم تحزن أم دحمان الدفش ، كما أنها لم تغضب ، ما الأمر ٠٠ لم تحاول أن تدفع باتجاه إقناع البرصاء بالعدول عن هذا الأمر ، صممت للحظات ثم نطقت :

- يا الطامح ٠٠ والطماع اسم يطلق على المرأة عندما تعيش في بيت أهلها طلباً للطلاق
٠٠ يا الطامح ٠٠ لا تأخذين الدنيا خراسٍ وهقوات ، ما لك أي مخرج من معيط أبوخنز ، الشرع لن يطلقك منه إلا بإثبات أنه يشرب الخمر.

أرادت رفع مغنوية نفسها والخلاص من هذا الإحباط التي رمتها به أم دحمان ، اقتربت من ركبتي أم دحمان ، وضعت يدها على إحداها ٠٠ وبكل عفوية ، راحت تسر بمكنونها
- بس ٠٠ هو يقول ٠٠ أعطيني مهري وأنا مستعد أطلقك ، وأنا مستعدة أعطيه المهر لو يطلبه الآن ، المبلغ في جيبي.

هنا رمقت أم دحمان البرصاء بنظرة شك وريبة وتساءلت بخبث :

- المبلغ في جيبك ؟؟ من أين أمنتيه ، من أرباح الأيس كريم وإلا من أرباح الفشار وإلا يمكن من أرباح الفصص والعلوك ، عشنا وشفنا البيع بقروش والأرباح بالآلاف يا البرصاء .

متهم يدفع بالتهمة عن نفسه مع محقق يريد إثباتها عليه ، هذا هو حال البرصاء وهي تنصت لاستفسار أم دحمان ٠٠ الملمغ ، عليها الآن مرغمة أن تصرح بمصدر المبلغ وحيثيات إيصاله :
- صحيح يا أم دحمان ٠٠ الأيس كريم والفسار ما تُربح آلاف ، أعطاني الزحزيح مبلغاً يغطي قيمة المهر ، وهي من زكاة أمواله ، أوصلها لي زعيط بن فنو وزوجته موزة أمس القريب .
- زعيط ٠٠ وموزة ٠٠ وزيارات ٠٠ ودراهم ٠٠ كل هذا يحصل ما ندري عنه ، يا البرصاء ٠٠ لا تلفين ولا تدورين ، قولي إنك ترغبين العودة لزعيط بن فنو ، وهو من أمن لك المبلغ ، أما قولك أن المبلغ من زكاة أموال الزحزيح فهذا كلاماً لا يصدق ، لكن صدق من قال أن القطو ما يحب إلا خناقة

- يا أم دحمان ٠٠ الله يهديك بس ، تعتقدين أنني أهرب من معيط إلى زعيط ٠٠ ، والله لو ما يبقى بالرجال إلا زوج موزة ما أرجع له ، أعوذ بالله ، أرجع له وولده اسمه خيفس ، ويظمر على البيوت مصلوخ.

ابتسمت أم دحمان ٠٠ وكأنها فهمت أن البرصاء ستعود للعيش مع أختها في هذا المنزل ، وبالتأكيد ستؤكل إليها مهام رئيسية وسترفع من الدخل المادي للأسرة ، أما تغسيل أموات أو بيع وشراء أو على الأقل خدمة منزلية ، وفي أسوأ الأحوال تتزوج انطلاقاً من هذه الأسرة ، وفي هذه الحالة يكون هناك مردود مادي معقول ومعنوي من هذه الجيزة ،

سُرت السببه يُسرى بابتسامة أم زوجها ٠٠ وبناء عليه أغلقت فمها ثم أدلت بدلوها فيما سمعت بكلام درر ، كلام أقرب ما يكون إلى الحكمة ، فالعرب في سابق الأزمان اخطئوا حينما قالوا الحكمة يمانية ، والصحيح أن يقولوا الحكمة سبهوية يُسرية (مصدرها السببه يُسرى) ، دعونا نسمع ما قالت حكيمة نسانا .

- اصبري يا أختي ولا تتصرفين حتى يأتي زوجي دحمان الدفش ، فهو أبخص ، وأفهم ، وأعلم ، منا نحن الحرير ، أخبريه بالسالفة من أولها واتركي له الأمر ، أعطيه المبلغ يتصرف فيه ، لا يبقى معك فيضيع ، الآن اذهبي لغرفتي وارتاحي .

لا فض فوك أيتها السببه اليُسرى ، هذه هي التربية وإلا فلا ، هذه هي الأخلاق المحمودة وسواها من الأخلاق قررنا نحن شلة العقد والحل أنها منبوذة ، رأي يطرح ٠٠ حرية تطلب ٠٠ كرامة يسعى لها ، كل ذلك ليس منا ولسنا منه ، شاء من شاء وأبى من أبى.

حارة مقبرة العود استبشرت بهجران البرصاء لمعيط ٠٠ والعيش في بيت أم دحمان ، دحمان فرح أكثر من غيره ، فالعينان المتعطشتان جاء من يرويها ، والنبتة الخبيثة جاء من يبقياها ، أبدا حمية جياشة للوقوف مع البرصاء ، بالروح بالدم نفديك يا برصاء .

أما حارة العجلية فتعيش على صفيح ساخن ، معيط غاضب أشد الغضب من حرمانه من نشوة الكحول برميا جركل العرق في المقبرة ، فقد رآه لاحقا مرميا ممزقا عندما زار المقبرة ظهرا ليملاً البديل من المخزون المدفون ، لا يساويه شدة الغضب ٠٠ ذهاب زوجته لمنزل شقيقتها بأغراضها كاملة ، وإصرارها على هجرانه ، الرجل قلق ٠٠ كأنها واثقة من انتصارها عليه وكسبها قضية الخلع لدى القاضي ، يبحث هنا وهناك عن شاردة حكمة أو واردة رأي ، تعطي الأمل بانتصاره عليها ، وأعادتها إلى بيت الطاعة صاغرة ، هي ومن على شاكلتها من نساء هذه الديرة المتمردات على أزواجهن .

قيس العجلية ، المدعو صليح ، يعيش حالة اشتياق صاخبة ، يحوم حول البيت ، عل وعسى أن تحصل مواجهة مع البرصاء بالصدفة ٠٠ ربما تزور جارتها ٠٠ أو تشتري غرضا من البقال ٠٠ أو تحضر خبزا من الخباز .

حومة ٠٠ يعقبها جلوس تحت جدار المقبرة ، سيجارته مشتعلة وعلكته تراها في فمه وهو يلوكها ، وقشور فصفصه منثور حواليه ، ينتظر معيط أن يغادر البيت ليطرقة ، عله يجد الحبيبة في الداخل ، فالغياب طال والهجر بانث مواريه ، ولكن هيهات أن يغادر معيط المنزل ، فالمنزل أصبح منتجاً ليلياً ونهارياً لمعيط وابن العمدة ، ولو علم صليح أن البرصاء غير موجودة داخل المنزل لأكمل مثلث محور الفساد الاجتماعي الذكوري ، الفساد الذي يسعى فريق دحمان للمحاربة إثباته على معيط ٠٠ ليكسبوا حكم الخلع من البرصاء ، إثبات المسكر يتطلب شهود عدول ، شهود عدول يجلسون مع طبال يسكر ليشهدوا عليه وتقام عليه الحجة ، عجزت البرصاء وهي تقنع دحمان ومستشاريه من أهل الخبرة في تغسيل الموتى ٠٠ بأنه من المستحيل أن يشرب الخمر رجل لا يحتاط من الشهود ، وترى والاقتراح هنا للبرصاء ، بأن ينظر في إثبات الحالة عن طريق عرض جركل العرق الذي دائماً ما يكون موجوداً بالمنزل على القاضي ، ربما يعتبره بينة أو قرينه تساهم في إقناعه ، قناعة تساهم في الخلاص من معيط

أبوخنز ، اقتراح فتح باب الأمل على مصراعيه لأعضاء فريق دحمان للمحاماة ، باتوا يعتقدون أن بإمكانهم كسب القضية ، فأداة الجريمة موجودة .

انتظرت ليلة الجمعة والتي غالباً ما يغادر معيط المنزل لإحياء بعض الحفلات الخاصة أو جلسات طرب الزكرتية .

الليلة ساعة الصفر لتنفيذ عملية نهب جركل العرق وتقديمه للقاضي ، النور في الروشن مطفأ ، يمكن مشاهدة ذلك من خلال النوافذ المطلة على الشارع ، ذلك يعني أنه ليس في الداخل ، فتحت الباب ، تبعها الخالة أم دحمان كحماية لها (بودي قارد)

تمت العملية باحترافية وأخذ الجركل من الدولاب ، النجاح كان حليفها بنسبة ١٠٠٪ ، من الحظ الحسن أن نسبة كمية العرق في الجركل لم تتجاوز ٤٩٪ يعني أقل من النصف ، وربما يساعد هذا في إقناع القاضي أن معيط أبوخنز محترف للشرب وليس هاويا ، وبما أن نسبة ما شربه ٥١٪ فهو يتحمل المسؤولية كاملة .

الآن يمكن أن ترفع القضية ، ذهبت إلى مبنى المحكمة الجديد في دخنه ، عسى أن يكون الأداء داخل أروقتها جديداً أيضاً ، تقدمت عليها ، أعطيت استدعاءً للزوج للحضور الأحد القادم ، والمثول أمام القاضي ، والرد على دعوى البرصاء لتطبيقه منها ، والحجة هي ارتكابه شرب أم الكبائر.

القاضي يجلس على منصة مرتفعة ، فوق مستوى هامات المتخاصمين ، دخل الجميع القاعة ، البرصاء ومعها أم دحمان فقط ، أما دحمان ، فقد فضل عدم الظهور في الصورة ، كون معيط صديق له قديم والصديق لا يخون صديقه ، أما خيانة الصديقة ١٠٠ إن جاد الزمان بوجودها ٠٠ فالرجولة ها هنا.

بعد تأكد السكرتير من وجود المدعي والمدعى عليه ، والمدعي كنية للشاكي حتى وأن كانت امرأة ، يا للمسكينة حتى مناداتها في المحكمة بمفردة ذكورية ، تتحنق القاضي ثم التفت إلى البرصاء وبهدوء قال :

- ما هي دعواك على زوجك يا يُمنى آل مقصعة القمل .

- أريد الطلاق يا قاضي .

- لماذا .

- يشرب الخمر .

- استغفر الله العظيم، لا حول ولا قوة إلا بالله.

كلام طيب ، تمت فيه القاضي بينه وبين نفسه ، أعقبه بتوجيه السؤال إلى معيط الذي بدأ العرق يتصبب منه :

- ما قولك يا معيط أبوخنز فيما اتهمتك به .

-تبلا علي أيها القاضي، لم أشرب الخمر في حياتي، حتى لو أشوفه أمامي لا أعرفه، ولا أعرف كيف يصنعونه ويدفنونه بالمقابر.

لم يستخدم القاضي الذكاء في قراءة رد معيط ولو كان القاضي إياس بن معاوية الذي تعلم منه بعد ذلك المحقق الشهير كولبو ، أقول لو كان هو الذي فوق المنصة ويستمع إلى هذا الغبي لأمر الحاجب أن يذهب إلى المقبرة المجاورة لمنزله ، وتم البحث عن الخمر حتى يجده ، وعندها يحكم عليه بالإدانة .

لم تنتظر أم دحمان القاضي ، ليطلب البينة من المدعي كما تقول القاعدة الفقهية ، سارعت إلى الهمس في أذن البرصاء : أن أخرجي الجركل الذي تحملينه بيدك والمدسوس تحت العباءة واعرضيه على القاضي .

نفذت البرصاء ، توجهت بالجركل إلى القاضي وهي تفتح غطاءه ، رافعة فوهته إلى أنف القاضي وهي تقول :

-شم يا قاضي ٠٠ هذا هو الخمر الذي يشربه ٠٠ إذا أنت غير مصدق ٠٠ شم .

وقف القاضي غاضبا وهو يقول :

- خمر في مكتبي ٠٠ هل أنت مختلة ٠٠ تدخلين المحكمة ومعك خمر وتقربينه من أنف

القاضي ٠٠ والله لو لا أنني أيقنت أنك جاهلة لأدخلتك إلى السجن

هنا تداخل معيط دون أن يسأله القاضي عن اتهامه بالجركل :

-الظاهر أنها يا قاضي تقطع خمر في المقابر وتبيعه ، والله مشكلة يا قاضي ، كل امرأة

ترغب بالطلاق من زوجها ، تحضر جركل خمر معها وتتهمه ، وتأخذ ورقة الطلاق وتمشي .

امتعض القاضي من تهكم معيط فأمره بالصمت ، ثم نادى العسكري الواقف عند الباب :

-يا عسكري اسكب ما في داخل هذا الجركل في دورة المياه .

ثم التفت للبرصاء ء وأكمل مسترسلاً:

- يا يُمنى ٠٠ هداك الله ، هل لديك شهود عدول رأوه يشرب الخمر؟ .
- يا قاضي تريد من شهود عدول أن يأتو إلى طبال يسكر آخر الليل ، أو يدعوهم هو
ليشهدوا عليه ، يا قاضي الله يهدينا وإياك ٠٠ ألا تؤكد رائحة فمه الكريهة أنه يشرب الخمر؟ .
- يا يُمنى ٠٠ اذا كل زوج رائحة فمه كريهة تطلب زوجته الطلاق ، ما بقي نساء في ذمة
الرجال في ديرتنا ٠٠

- يا قاضي ليس فمه فقط رائحته كريهة ٠٠ بل كل جسمه ، فلم أره في يوم من الأيام
يغتسل بالصابون
تداخل معيط وهو يضحك :

- يا قاضي أنا اغتسل بالماء فقط ، لأن الصابون كما تعلم هو سعايبيل الشيطان.
غضب القاضي من تسميته للصابون بسعايبيل الشيطان ورد عليه بالحال قائلاً :
- حسن ألفاظك يا فتى قل لعاب الشيطان ولا تقل سعايبيل الشيطان ، تعبنا ونحن نعلمكم
أيها العامة ٠٠ المفردات الصحيحة ٠٠٠ قصر الكلام ٠٠ اسمعوا الحكم الآن ٠٠
رفضنا دعوى يُمنى آل مقصعة القمل ، لخلع زوجها معيط أبوخنز ، وذلك لعدم إثباتها لاتهامها
له بشرب المسكر ، وعلية تعود إلى العيش معه ٠٠ تحت سقف واحد .
أحبطت ولم تعرف ما تقول ، دنت منها أم دحمان وذكرتها بالمهر ، صاحت بصوت جهوري :
- يا قاضي مستعدة أن أرجع له مهرة بالكامل ويطلقني .
- هذا يرجع له ٠٠٠ هل توافق يا معيط ، أن تطلقها إذا أعطتك مهر ٠٠؟ .
- لو تدفع ملايين يا قاضي ، ما أطلقها .

- يُمنى يا بنتي ٠٠ هيا اذهبي مع زوجك الآن ولا تذهبي يمينا أو شمالاً ، فالمرأة في طاعة
زوجها أنى اتجهت - انتهت الجلسة .

قضي الأمر وعاد المنتصر يجر المهزوم ، عاد خائب الرجاء متأبطاً المتعوسة ، عاد وفي طريقه ،
عرج على محل الشايقي لإصلاح المفاتيح ، طلب قفل قوي لا يمكن لكائن من كان أن يبدله

بسهولة ، قفل جديد ، كي لا تستفيد البرصاء من نسخة المفتاح الذي بحوزتها ، فدخولها وهو غائب وأخذ جر كل العرق حاضر حتى الآن في ذهنه .

هذا يعني أننا ذاهبون إلى السجن مع تغير المكان ، فالمساجين في السجن يؤتى بهم من منازلهم إلى مبنى السجن أما بعض أزواج بني يعرب فيأتون بالسجن إلى السجينات .
أدخلت سجن المنزل مذلة مكرهة ، اقلل الباب بالقفل الجديد ، أخبرت أن عليها أن تكون زوجة مطيعة وإلا عليها دفع الثمن ، فالزوج يملك جميع الصلاحيات الإدارية والقضائية والأمنية وحتى الجنسية .

لم تعد ترى أحداً ، فالزوار لا يأتون إلا إذا كان معيط موجوداً ، صارت ترى الشارع عبر شبابيك المجلس فقط ، أما شبابيك الروشن فممنوعة من الوصول إليها ، فيبدو أن معيط قد قام بإقفال الروشن ليؤمن على محتوياته ، يمكن لقائل أن يقول أن بإمكانها الطلطة عبر جدار السطح ، ونقول نحن : أن هي فعلت ذلك فليعلم الجمع ممن ضمت حارتنا ، أن الثمن سمعة سيئة تلتصق بها ، فجميع من يلحقها وهي تظهر رأسها من فوق جدار السطح سوف يسأل راجباً متعجلاً ، من هي هذه العاهر؟ ، فالحرية بالنظر ، ممنوعة عليها ، سطحية كانت أم أرضية ، تقضي جل وقتها تحت شبابيك المجلس المطلة على الشارع ، تأنس لسماع الأطفال وهو يلعبون ، تستمتع لصراخ الجذعان (الشباب عندما تقارب أعمارهم الـ ١٥ سنة) وهم يسخرون من بعضهم البعض .

هناك قرع نعال قريب من المنزل ، لا يمكنها أن تراه ، فالقادم آت من جهة اليسار للمنزل ، ما يعني أن شبابيك المجلس التي تقع يمين المنزل لا تشرف عليه .

ركضت إلى الباب تبحث عن خرم يمكن من خلاله أن ترى زول الرجل .
أراحها من قلقها بطرقه للباب .

-من عند الباب

-أنا صليح ٠٠ وش لونتس يا يُمنى (كيف حالك) ٠٠ عسى ما شر ، ليه ما تجين تبيعين

عند المدرسة ، والله ضاق صدري يوم ما شفتس(لم ارك) ٠٠ أروح فدوه لتس .

جراءة غزلية لم يخطر على بالها أن تسمعها في يوم من الأيام ، لأول مرة يفديها رجل ، صحيح أن القائل عربي ٠٠ ولكن الكلمات أخلت بقواها وأجلستها خلف الباب أرضاً ،

كلمات أطربتها ولكن المغني غير مقبول، عليها نهره .

-وش تقول يا صليح وش ها الكلام أفاضي.

-أقول معيط موجود ؟

ضحكت في قرارت نفسها ، مترددة في صد هذا الصعلوك المندفع ، صد لا تراه ضروري وهي حبيسة ، وساوس ليست شيطانية صارت تعترتها عن ملاحقات هذا الصعلوك الذي لا يعرف اليأس لها ، هل يمكن الاستفادة من هذا الاندفاع في هذه المرحلة العصبية ؟ ، نعم أن الرجال الخساس أمثال معيط ، لا ينفع معهم إلا الصعاليك المندفعين أمثال صليح ، سألت نفسها وأجابتها ، تذكرت شرط القاضي لطلاقها من معيط وهو ضرورة إثبات حالة شرب المسكر عليه ، تكاد تجزم أن في مقدور هذا الصليح مساعدتها في ذلك .

-معيط غير موجود يا صليح ، أغلق علي الباب ، كأني في سجن ، ويمعني من البيع عند المدرسة ، ثم سردت عليه ما دار من مداولات في المحكمة ، ختمت كلامها بنخوة صليح بكلمة واحدة ترددها ، تكفي يا صليح مالي إلا أنت فزاع بعد الله .

هل قالت تكفي ؟ ٠٠ صاح صليح وهو يقول:

- ابشري بالفرعة وأنا ولد قبيلة الأطغس ، هاالحين أروح اجمع عيال قبيلة الأطغس كلهم ، ونجلده الين يعض الأرض(حتى يسقط أرضا).

-ما أبيه يعض الأرض ، أبيه يطلقني ، أبي تثبت عليه انه يشرب الخمر ، معيط أنكر عند القاضي .

-اثبت عليه وعلى أبوه وجده، ما هو شرب خمر بس ٠٠ أثبت إنه بياع ٠٠ مع السلامة.

غادر صليح ، ختامها خبر سار ، أعطاها الأمل بالفرج ، فهو أن قال فعل ، وهذه طباع الصعاليك وبالأخص مع المرأة ، وأي امرأة ، إنها الحبيبة ، حتى لو مات بسبب نخوتها فسيعتبر لدى العرابجه شهيد النخوة ، أما بعض شلة العقد والحل فسيشككون في اعتباره شهيداً ، يرون أن مصيره إلى جهنم وبئس المصير ، فهو شاب طائش اعتدى على نفس بشرية ، وجب بسبب هذا الاعتداء عقابه والله أعلم.

أن غدا لناظره قريب ، عشرة أيام فقط أوقعت الفار بالمصيصة ، أوقعه صليح ونفر من قبيلة الأطغس بالفخ ، بعد أن بلغ الجهات الأمنية عن الخمر المدفون في مقبرة العجلية والذي تعود

ملكيتة لمعيط ، مَثَل عليه صليح أنه وسيط لأحد المشتريين وعند ذهابهم لاستلام البضاعة ، أطبق عليه رجال الأمن، خطة محكمة لإلقاء القبض على معيط متلبساً ، وضع السيناريو لها رجال السلك البوليسي السري المتخصص .

علمت البرصاء بالحدث عندما أتى رجال الأمن إلى المنزل لتفتيشه ، علمهم يجدون أشياء أخرى تدينه .

لم تحزن وهي ترى يديه مكبلتين بالحديد ، ولكنها أيضا لم تشمت به ، رغم ما عانت منه في الأيام التي تلت انتصاره عليها في المحكمة و صدور الحكم له ورفض دعواها عليه بطلب الخلع ، عانت منه الأمرين بعدها ، ما أصعب أن تعيش مع عدوك بعد هزيمته لك ، خاصة إذا كان غير ذي عفة ، توقع منه الظلم عاجلاً ليس آجلاً ، ألم يقل شاعر رجال العرب

الظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فاعلة لا يظلم**

أيام سوداء عاشتها المهزومة البرصاء بعد هزيمتها عند القاضي والحكم عليها ببيت الطاعة ، أيام بدأت بالاعتراف بكل ما أخفى المهزوم عن المنتصر ، بعدها حبس وضرب وتجويع واغتصاب ، تخللها تذكير بالأخطاء التي حكم جوراً أنها ارتكبت سابقاً ، أسئلة بصيغة الاتهام ، تجعل السائل في حالة غضب ، بغض النظر عن إجابة المسؤول ، أكانت نفيًا أم تأكيداً ، من أكثرها إيلاماً :

” ما ذا قدمت لعشيقك اليماني عبده في ذلك الضحى الذي طُلقت فيه ؟؟ ، تصمت فيزداد غضبا ، ليسحبها بشعرها من الركن الأيمن في الغرفة إلى الركن الأيسر ،

“ هل أخبرت دحمان وصرار ، عن إدماني للشراب ، و صداقتي لابن العمدة ؟؟ في هذا الوقت تأتي

الرفسة بباطن الرجل على البطن وأن لم يكن متيسراً فتوجه الرفسة إلى أحد الجانبين

” هل تَكشفت على دحمان وأنت نائمة ، يوم كنت تسكنين في بيت أختك ؟؟ يعقب هذا السؤال بصقة.

” يوم أعطاك زعيط المبلغ ، هل رجع في وقت آخر ليقبض الثمن ؟؟ دائماً ما يتلو هذا السؤال كف من نوع راشدي .

” لماذا كنت تريدين شراء نفسك مني ؟؟ ٠٠ هاه ؟ يعقب هذا السؤال الانقضاض والضرب المبرح الذي ينتهي بالتوسل والاستسلام .

زيارة إعطائها الزكاة كانت وبالأعلى عليها ، ليتها لم تجبه عندما سألتها من أين أتت بالمهر الذي كانت ستدفعه له عند القاضي إن هو طلقها ، هي نقطة التحول الحقيقية لتعامل معيط أبوخنز معها ، زيارة شككته بحبها له ، الكلام عن أنها زكاة أموال الزحزيح وتعطى لامرأة صغيرة سن محتاجة كانت في يوم من الأيام أخت زوجته ٠٠كلام لا يفهمه ، فكل ما يفهمه عن الزكاة ، أنها صاع بر ، عن كل نفس مسلمة ، يدفع للفقراء من كبار السن وأحياناً إلى الأقارب والأنساب في ليلة عيد الفطر فقط ، لا يفرق بين زكاة الفطر وزكاة الأموال ، حاله حال كثير من العامة .

ذهبت البرصاء إلى بيت دحمان ومعيط ذهب إلى السجن ، فرجت وكنت أظنها لا تفرج ، هذا هو حالها ، فرج الله لها بالطلاق ، بعد أن ذهب دحمان إليه في السجن ، وأرضاه بخمس مائة ريال فقط ، مقابل تطليقها ، وإلا سترفع عليه قضية خلع ، مؤكداً له أنها ستكسبها لا محالة ، بعد ثبوت شربه للخمر ، باعترافه بنفسه ، اعتراف أقرب به ، كي ينفي عن نفسه تهمة صنع العرق وبيعه .

زواج فطلاق ٠٠تلاه زواج فطلاق ، رجلان سيئان ، من الثالث يا ترى ؟ وهل سيكون الثالث ثابتاً؟ .

أنساك دا كلام / انساك يا سلام / أهودا الي مش ممكن أبدا ٠٠

بعد كل مرحلة طلاق تستنشق الحرية ، تصعد إلى سطح المنزل ، تنثر جدايلها ، تستقبل الهواء ، تجر نفساً عميقاً وتصيح بأعلى صوتها : لا قهر بعد اليوم ، تعود وقد سرت سرائرها ، تنفذ ما يطلب منها وهي تبسم ، تستطعم الأكل والشراب ، لا تحرص على النوم ، وإن نامت يكن نوماً هائناً وعميقاً ، تبدأ بعد ذلك التساؤلات التي كانت محرمة عليها ، ولا تسمح لنفسها أن تسألها وهي في ذمة رجل آخر .

أما آن الأوان أن أراك أيها اليماني الجميل ٠٠ هل يا ترى عاد اليماني عبده شايف من غيبته ، هل هو فوق الأرض أم تحتها؟
أين ذياك الرقيق ٠٠ اللطيف الذي لطالما سأل عن حالها بعبارة كيف حالش يا حلوة ٠٠ أين الحبيب الهارب؟.

لا بد أن تسأل عنه ، علها تجده وتعرض نفسها للزواج به ، حتى ولو دفعت المهر هي له ، لن تصل إليه إلا بمساعدة صديقتها أم حسناء ، فهي تملك من الخبرة والجراءة ما يجعلها تصل إليه ، إن كان هنا أو في بلده الأصلي .

طرقت باب أم حسناء ، فتحت الباب لها الابنة الحسناء ، وجدت في المدخل حقائب ، وأغراض شخصية.

بعد السلام سألتها عن أمها ، فأخبرتها أنها ستعود بعد ساعة ، سألتها عن هذا الذي أمامها ، فأجابتها حسناء بخجل ، إنه مهرها من الزحزيع ، آه ٠٠ أخيراً وافق الزحزيع على الزواج من الحسناء زواجاً أصيلاً ، زواج بنية الزواج وليس بنية الطلاق ، يبدو أن المندوبة التي أرسلها الزحزيع لرؤية العروس قد نقلت له الصورة الصحيحة ، فالفتاة ملكة جمال ، ٠٠ وجه ٠٠ بياض ٠٠ جسم ٠٠ شعر ، ما جعله يسرع بالدخلة ، وصدق الشاعر حين قال :

ألزين مثل الحياء متبوع ٠٠٠٠٠٠ لو ما تلا الناس يتلونه

والشين مثل الدهر مقطوع ٠٠٠٠٠٠ يمشون لين يتعدونه

محظوظون بعض هؤلاء التجار ، مال وبنات جميلات ، عكس بعض الفقراء المساكين ٠٠ شح

بالمعيشة ٠٠ وزوجات دميمات ، ويضحكون على أنفسهم بترديد عبارة الجمال ما يفيدك بحاجة
٠٠٠٠ المهم الراحة النفسية ، أي راحة نفسية وأنت مقابل معدومة جمال والفقير قد خيم في بيتك .
أخبار متناقضة في هذا الأسبوع ، أناس تتال الحرية وأناس تتنازل عنها بطيب خاطر ، هذه هي
الدنيا على كل حال ٠٠ وكل بعقله راضي .

عادت أم حسناء ، تعانقتا وهنأت كل منهن الأخرى ، أم حسناء تهني البرصاء بالطلاق والبرصاء
تهني أم حسناء بزواج حسناء ، والفضل بعد الله يعود لصليح في طلاق البرصاء وللبرصاء في زواج
حسناء ، دخلت أم حسناء الغرفة الداخلية ، أحضرت مبلغاً من المال ومدته إلى البرصاء وهي
تقول :

- هذا حقك من الخطبه ٠٠ أرسله الزحزيح وأمر بإعطائك إياه حسب اتفاقك معه .

- والله ما آخذ ولا قرش ٠٠ اعتبريه هديه مني للحسناء.

أيقنت أم حسناء أن لا فائدة من الإصرار عليها أن تأخذ المبلغ ، فليس بعد الحلف بالله تراجع ،
شكرتها وأخذتها إلى المصباح (وسط المنزل) وأجلستها بجانبها ، همست البرصاء بصوت خافت
لأم حسناء بعد أن غادرت الحسناء للمطبخ ، طالبة منها أن تبحث لها عن اليماني ، فهي لم
تسأه وإنه يعيش في روحها وعلى استعداد للعيش معه في اليمن ، حتى لو أجبرها على أكل
القات فستخزن فالحبيب يأمر ونحن ننفذ .

ضحكت أم حسناء على عبارة تخزين القات ، مع قناعتها بأنها لا تعنيها وإنما لإيصال رسالة
قويه عن الحب الذي يختلج فؤادها له وعلقت قائلة :

-ماذا عن صليح ، كل يوم يسأل عنك ، يجلس في ظلال المدرسة من الصبح إلى الظهر ،
يقطع القلب ، عتبان عليك ، يقول أنها لم تأتني وتشكرني ، وأنا السبب في خلاصها من
معيط.

- صليح يا أم حسناء مثل العلاج ، تطلبه حينما تمرض ، وإذا شفيت لابد من الاستغناء عنه
، لأنك لو استمررت على تناوله ، لسبب لك مرضاً أخطر من المرض الأول .
سكتت أم حسناء عن أي تعليق ، يبدو أنها أعجبت بهذا الوصف الدقيق لكيفية التعامل مع
أمثال صليح .

أحضرت القهوة والشاي وانضمت الحسنة إلى الجلسة ، والتي كان أغلب الحديث الدائر بها عن الزحزيع والنصائح غير المباشرة للحسنة لضمان سلب لب هذا الشائب المزواج ، وجعله يتوقف عن الزواج من غيرها ، غادرت البرصاء بعد أن أكدت لها أم حسنة ، إنها سوف تعمل جهدها للوصول إلى عنوان عبده شايف ، ودعتها لحضور حفل الزواج المختصر الذي أصر الزحزيع على أن يكون كذلك ، خوفاً من أم العيال ، فحضورها ضروري ، لا سيما أنها صاحبة المعروف في هذه الزيجة أولاً وأخيراً.

زفت الحسنة للزحزيع ، وهل غير الزحزيع يستحق الحسنة ، حتى وإن كان شاباً عصامياً ، وسيماً ، حاصل على الشهادة الجامعية ، فالزحزيع ومن على شاكلته أولاً والمستحقون أخيراً . بعد انتقال العروس لبيتها الجديد ، تمنى أم حسنة وبإصرار على البرصاء أن تؤنس وحدتها ، والمكوث معها أكبر وقت ممكن والعيش معها إن أمكن ، وافقت البرصاء رغم علمها برفض أم دحمان وتحفظ دحمان ، لكن البرصاء لا تولي اهتماماً لذلك ، طالما أن البيت خالي من الرجال ، فليس لهم كلام هنا ، البيت بلا رجل = اختلاط معدم ٠٠ معادلة لم يكثرث بها صرّار ، وأصر عليها أن تعيش في بيت أختها ، وليس في بيت الأعراب ، ولكن الخبرة في التعامل مع البخلاء تضع حلاً جذرياً وعاجلاً للولي ، مبلغ زكاة الزحزيع ما زال متوفراً ٠٠ وضعت في يده خمس مائة ريال فأخرسته إلى الأبد ،

عادت إلى بسطتها صباحاً ، ومدرسة محو الأمية عصرا التي التحقت بها لتتال العلم والمعرفة . للأسف لم تعد تذهب أم حسنة معها للبيع ، فالحسنة أعفت أمها بقرار من الزحزيع مقابل صرف أضعاف ما كانت تربحه من المال .

البرصاء تعيش هذه الأيام استقراراً نفسياً لا مثيل له ، فالسكنى بلا رجال تكون أهدأ ، حتى وإن عكر مزاجها صليح في بعض معاكساته القولية عند جلوسها للبيع .

يا ناس خلوني على ما جرى لي / يكفيني الماضي عن اللي مقابيل ٠٠

أيام طويلة مرت والحال متأرجحة ، الأفراح فيها تطفئ على الأحزان ، باستثناء هذا الأسبوع ، فأمواج الحزن بدأت تحركها رياح آتية من مدينة الفطيان التي ينتمي لها يابس الدفش، الأخ غير الشقيق لدحمان الدفش، ماتت زوجته أم ذيبان ، يا للمسكينة ، قضى عليها السكر والضغط ، والأسباب ثلاثة ، الأول أم يابس المخرفة ٠٠ والثاني عنف يابس ٠٠ والثالث أبنائها العشرة الأشقياء ، تقدمهم كبيرهم الذي علمهم الشقاوة ، اسمه ذيبان ، سمي بهذا الاسم تيمناً بشجاعة الذئب ومكره .

كيف لامرأة أن تصمد وتعيش وسط هذا الثلاثي المرعب ، عجوز مصابة بالزهايمر وزوج يتحلى بالجلافة والدجل وأبناء شرسين يتصرفون بغباء اعتقاد منهم أنه ذكاء ، هذا إضافة إلى الاعتناء صباح مساء بعنزة حلوب ، إذا لم تطعم بشكل جيد لم يأت منها حليب ، وإذا أطعمت جيداً وامتلأ الضرع بالحليب وجب حلبها ، وإذا لم تحلب ورم الضرع ، تسكن هذه العنزة في العلالى ، عشة في سطح المنزل ، برد في الشتاء قارس ، وحرارة بالصيف لا تحتمل.

اضطرت البرصاء إلى المغادرة إلى بيت دحمان للمشاركة بالحزن وتقديم العزاء ، أصر دحمان على السفر إلى مدينة الفطيان، لتقديم العزاء لأخيه يابس ، الذي يعيش فيها منذ ولادته ، طلب من عائلته المكونة من السبعة يسرى وابنتها رجوى وأمه الشمطاء أن يرافقه في سفرته هذه ، وإن رغبت البرصاء السفر معهم فأهلاً وسهلاً ، وافقت البرصاء على مرافقتهم ، حباً في قضاء وقت ممتع مع شقيقتها يسرى وابنتها ، ومنها التعرف على مدينة الفطيان وأهلها .

وصلوا بعد ثلاث ساعات ، وجدوا ترحاباً مميّزاً وكرماً فاق الوصف ، وهذا ليس بغريب على سكان مدينة الفطيان .

بيت العزاء مليء بالمعزين ، من داخل المدينة وخارجها ، شمרת البرصاء عن ساعديها بحكم أنها ليست من أقارب المتوفى وليس مطلوباً منها أن تكون حزينة ، صارت لا تفارق المطبخ هذا شاي وهذه قهوة ، مهمة طبخ الغداء مسؤوليتها ، حتى لو كانت ذبيحة كاملة ، عمل يواكبه نظافة ، تتحلى بالستر ، تصلي ، صفات لفتت الأنظار لها وصار النسوة يهمسن بالإعجاب المفرط بهذه الفتاة الشقردية(الشاطرة) .

انتهى العزاء ودحمان ليس مستعجلاً على العودة إلى العاصمة ، بدأت البرصاء تتلملم ، فأمر حسناء لوحدها ، قلبها غير مرتاح لهذا التأخير في العودة ، وقلب المؤمن دليله ، يبدو أن هناك مؤامرة تحاك ضدها ، نعم ٠٠ فيابس الدفش بلغه الشاء والمديح على المطلقة التي لم تنجب قط ، وقرر الزواج بها ، هو يابس وشقردي ولا يرغب في الزواج إلا من فتاة مواصفاتها شقردية ، وهذه هي بين يديه ، **جاك يا مهنا ما تتمنا** ، فأمره المخرفة وعنزته الحلوب وأبناؤه الأشقياء يحتاجون إلى امرأة كالبرصاء يُمنى ، وعلى أخيه من أبيه دحمان الدفش ووالدة أخيه ونسيب أخيه صرّار آل مقصعة القمل وزوجة أخيه السببة يُسرى ، كلهم عليهم بذل كل ما في استطاعتهم لتحقيق رغبته ، وعمل الضغوط المناسبة على البرصاء لكي تقبل به زوجاً ثالثاً لها ، وإلا سيسلط عليهم جن مدينة الفطيان لتدخل في أجسادهم ولا يمكن لأحد غيره فصل أرواح الجن عن أرواحهم ، فالتداخل مسألة معقدة وتحتاج لبروفسور في علم صراع الجن والإنس وحربها الضروس التي امتدت قروناً خلت ، هذا إذا استثنينا الأحلام التي سيحملونها ، لن نجدوا من يفسرها لهم التفسير الصحيح ، عندها لن يسعفهم الوقت ليأخذوا حذرهم من الرسائل المشفرة التي تصلهم ليلاً وهم نيام ، بعد أكل المرقوق ، هذه رسائل فوق صوتية لا يحسن فك رموزها إلا يابس الدفش .

اتفق الجميع على ممارسة الضغوط على البرصاء ، تارة بالعصا وأخرى بالجزرة . هذا يقول لها : إنه رجل صالح ، وذلك يقول لها بأنه ذا سمعة وشهرة واسعة بين أوساط الجن والإنس بقرية الفطيان وعليه لن يستطيع أحد من الجن مسها . من ضمن لك أيتها البرصاء سلامتك ، وسلامة شقيقتك السببة يُسرى إذا أنت قررت رفض الزواج منه ، أضمنين أن لا يأمر أحد الجن لحظة خروجه من أحد الأجساد ، بأن يذهب إلى جسدك أو جسد أختك يُسرى ويسكنه دون أن يدفع أجار . لا عذر لك أيتها البرصاء ، ليس لك ضرة كزوجك الأول زعيط ، ولم يشرب الخمر قط كزوجك الثاني الطبال معيط ، ونظن أن مجال العمل الذي يعمل به مختلف عن مجالي عملي زوجيك السابقين ، فبينما زوجك الأول قهوجي يغسل الفناجيل ، وزوجك الثاني طبال ، يابس يعمل قائد معارك ضد الجن ، يجني منه كثيراً وهذا تميز يجعلك لا تترددين ، ومفسر أحلام من الطراز الأول ، يرقى إلى مستوى الزمالة في التفسير العلمي الدقيق للأحلام الطويلة .

إن دَفَع صاحب القرار كي يتخذ قراره ، يتطلب بيئة ملائمة ، بيئة أفراح لا بيئة أتراح ، بيئة مكشآت (نزهة) ، اقترح يابس أن يقضوا بعض أيام في البرية ، تتسي الأطفال أحزانهم على أمهم ، وتعطي صورة حسنة عن وناسة الحياة في كنف يابس ، استشارهم جميعا وهو يشربون الشاي بعد العصر بما فيهم النساء ٠٠ غريبه والله ٠٠ النساء يستشرن في مدينة الفطيان:

- أقترح عليكم نقضي ثلاثة أيام في البر ، نريكم يا أهل العاصمة جبل التوباد بالغيل ، وهو الجبل الذي خلد ذكره قيس ، وفيه غار (قيس وليلى) حتى تعرفوا أننا في هذه الديرة أهل حب صادق .

قال ذلك وهو ينظر إلى البرصاء نظرة إيحائية ، ومعها ابتسامة الأذكيا .

ضحك دحمان وعلق تعليق المعارضين لمجرد المعارضة :

-ومن يقول أن قيس وليلى عاشا عندكم ، هذا الكلام غير مؤكد ؟

غضب يابس من التشكيك في رواية يفتخرون بها منذ مئات السنين ، وطلب من ذبيان أن يحضر كتاب قيس وليلى ، ويقرأ قصيدة التوباد ، نفذ الابن الأمر ، أحضر الكتاب وصار يقرأ قصيدة التوباد بصعوبة ، فاللغة العربية الفصحى تحتاج إلى التشكيل وذبيان لا يعرف الفرق بين الضمة والفتحة .

وأجهشت للتوباد حين رأيت / وكبر للرحمن حين رأني

قصيدتك لا تعني ما ذكرت ، لربما توباد قيس غير توبادكم ، حتى وإن صدقت الرواية ، فقيس بن الملوح لا يُفتخر به يا يابس ، رجل مجنون ٠٠ أعطى قلبه لإمرأة ، والمرأة لا أمان لها ٠٠ تركته يهيم بالبراري وتزوجت غيره حتى خاس ومات ، وعلى العموم لا نريد أن نخرج لرحلة لمنطقة وعرة كلها جبال ، نريد رياض خضراء ، نريد أن نرى نبات الربيع وقد أزهر فيها .

وافق المضيف على مقترح الضيف ورغبته ، وبدأ الاستعداد لذلك.

في صباح اليوم التالي أحضرت سيارة لتقلهم إلى الخلاء ، خيمة وذبيحة ومعامل (أدوات الرحلة من أواني وسواها) .

استقر الرأي على المنزل ، إحدى الفياض المزهرة ، لا تبعد كثيرا عن المدينة ، بُنيت الخيمة لتكون مقراً للنساء ، حتى وهن في البرية ، يضرب عليهن أربعة حيطان ، في المدينة حيطان من الطين أو الخرسانة ، وفي البرية حيطان من رواق الخيمة ، البرصاء ما زالت تقوم بدور الشقردية ، فأختها السببه يُسرى ما زالت تتسم بالبرود . أقل النهار وأقبل المساء ، أصرت البرصاء أن تنام النساء في الهواء الطلق ، لا كما يراد لهن داخل الخيمة ، عارض دحمان هذا الرأي بشدة ، لكن يابس أقنعه بأن لا بأس ، تكون النساء في الجهة الأخرى من الخيمة وإذا شعرن بأي خوف ، ما عليهن سوى أن يستجدن بالرجال ، فالليل في البراري يحتوي على مخاوف ٠٠ جن ٠٠ إنس ٠٠ حيوان مفترس ٠٠ قوارص ، وأخطر هذه المخاوف هو الجن ٠٠ فهم لا يُرون بالعين المجردة ، ولتجنب ضرر الجن ، على الجميع اتباع ما يلي : "والمحاضرة هنا للبروفسور يابس الدفش" ألقاها على الجميع ٠٠ وهم وقوف ٠٠ قبل أن يُنزلوا عفش الرحلة من السيارة كأنه خطيب في حديقة الهايد بارك **Hyde Park** في لندن ، يقول :

عند جمع الحطب سلم على الحطب لكي يستيقظ الجني ولا تفاجئه ، فوسادة الجن المفضلة دوما الحطب ، وعلينا أن لا نأخذ وسادته من تحت رأسه وهو نائم دون أن نشعره (إذا كان ينام وتحت رأسه وسادة من حطب ، ماذا عسانا نتوقع فراش نومه ٩٩)

"عليكم ترك النار وعدم دفنها إذا أردتم النوم ، فوجبة الجن المفضلة الجمر المشتعل ، وتعتبر ضيافة منك لجميع من هم حولك من الجن ٠٠ (على هذه الحال فإن جن الأمازون سيكونون بدينين ، من كثرة أكل الجمر بعد حرائق الأشجار ٠٠ فطور وغداء وعشاء ٠٠ وبالمجان)

"عليكم التأكد من خلو المكان من القبور وجحور الخنافس وما شابهها ٠٠ فهي مساكنهم ٠٠ (السؤال الذي يطرح نفسه هل يدفع الجني أجاراً للخنافس إذا سكن معه في جحره) ؟

"إذا تعرض أحد منكم لحذف الحصى أو القشعريرة في الجلد ، أو استدارت الرياح ٠٠ فعليه الرحيل فوراً ٠٠ وترك المكان ، فأنت في هذه الحالة تقف على منازلهم (وإذا أتانا إعصار فماذا يعني هذا ٩٩ ٠٠ ربما دخلنا غرف نومهم)

” لا أحد يقضي حاجته نهائياً في حجر ٠٠ لانه المسكن ٠٠ (حلقها عاد) !!
” ستسمعون في آخر الليل أصواتاً ، مثل صياح الأطفال أو الهجيني أو غيرها فلا تخافوا فهذه
محاولة منهم لتخويفك ٠٠ (إذا كان الجني ألمانيا ، هل سنستمع إلى سيمفونية بيتهوفن البيت

السعيد ؟

تلقي الجميع تعليمات يابس على محمل الجد باستثناء بعض الشكوك لدى البرصاء يُمنى ، لم
تأبه به ، فرشت فراشها تحت النجوم ، الهواء عليل والسما صافية ، هجع الجميع ، رجال
وأطفال ونساء .
بعد ساعة تبتهت البرصاء على صوت حجر صغير يرمى على مكان تواجدهم ، لم توقض أحداً ،
دقت في الأمر فرأت أن الحجر يرمى من مكان تواجد الرجال ، أخذت ترد على الحجارة
الصغيرة بحجارة كبيرة وبعده أكبر ، رمية برمية ، ما دعا إلى استيقاظ دحمان وهو يقول :

- خير إن شاء الله ٠٠ من رجمنا بالحصا ؟

ردت البرصاء بصوت أعلى:

-أنتم رجمتونا أولاً ٠٠ قبل أن نرجمكم .

ضحك خفيف الدم يابس وقال لدحمان :

- صحيح أنا من كان يرمي الحجر عليهم ، كنت أريد تخويفهم من الجن ، عاد الجميع

للنوم .

تم الاستيقاظ صباحاً ، ما أحلى الصباح بعد نوم هانئ في هواء طلق ، جاءت السبحة يُسرى على
نفسها هذه المرة وعملت القهوة والشاي والحليب ، أما البرصاء فطلب منها عمل قرص البر الذي
يدفن في الرماد ، وهذا هو الإفطار المفضل ، الخاص بالرحلات البرية .

أطلقت العنان لقدميها بعد ذلك ٠٠ بالسير فوق النبات وقطف ما يوكل منها ، وهكذا ٠٠ نهار
ممتع وليل سكن إلى أن انتهت أيام الرحلة ٠٠ كانت رحلة ممتعة ، أراحت أعصاب البرصاء
كثيرا .

أثناء العودة ، أُعيد فتح موضوع زواج يابس منها ، طلبت مهلة من الوقت للتفكير ، والحقيقة
أنها كانت تأمل بأن تأتي لها أم حسناء بالخبر اليقين عن عبده شايف ، فقد أقسمت في قرارة

نفسها أن لا تفرط في حبيب القلب هذه المرة ، أن هي وجدته ، فالشوق لهذا الغلام يكبر
ككرة الثلج ، ومن يدري ٠٠ ربما هو الآن هائم في البراري ٠٠ يعاني من جنون حبها كقيس ابن
الملوح ٠٠ فالأساطير في الجزيرة تتوارث كالتناسل .

انتهت المهلة ولم تأت الركبان بخبر عن الغائب ، إبرة ضاعت وسط قش من تب ، فص ملح
وذاب ، أعلنت أم حسناء استسلامها وعدم قدرتها على معرفة أين هو عبده شايف ، وعليه فإن
على البرصاء أن ترى مستقبلها ولا تضيعه في الانتظار ، وبالأخص ٠٠ إننا نحن أم حسناء ٠٠ لا
نضمن أن نعيش معها طويلا .
أحببت البنية للمرة الثانية .

أكثرت أم حسناء من النصح لها بالزواج ، صارت تماطل بحجج واهية ، ما دعا مجلس العائلة
المصغر إلى إرغامها على القبول بالزواج من الخاطب الوحيد والمقبول بالتركية يابس الدفش ،
وبناء عليه أبلغت بما لها وما عليها وأن لها الحق في الامتناع عن الكلام ، وأن أي كلام تتفوه به
ستحاسب عليه ، وكذلك أبلغت أن عليها تحمل جميع ما يترتب على هذه الزيجة من مسؤوليات
جسام ومن أهمها :

” مسؤولية العناية المركزة بأمه المخرفة ٠٠ إطعامها ٠٠ وتنظيفها وحماية أمنيته .

” السهر على أبنائه العشرة ٠٠ أكل وملبس وتطبيب .

” خبز الخبز في المنزل ، فالخبز هنا صناعة محلية .

” حلب العنزة ٠٠ وهذه تعتبر أسهل المهمات التي أوكلت إليها ، حلبه صباحا وحلبه عندما يأتي
المساء .

وافقت تحت توصية أم حسناء ، وليس امتثال لضغوط مجلس العائلة المصغر .

مقبرة الفطيان



قص ولزق هذا هو الوصف المناسب لزواج البرصاء من يابس الدفش، ولا راد لقضاء الله ،
(تكفير ذنوب إن شاء الله) هذا ما يختلج في نفسها وهي تعلن حالة القبول .

أصرت على أن تكون الدخلة في بيت أم حسناء بحي العجلية ، تقديرا لمن تعتبرها كأماها ،
عملت الدخلة وقت القيلولة ، غداء تلاه إناء لبن رائب ، دخل به العريس يحمله ، شرب منه ثم
تجشأ بداخله ، وضعه جانبا ، وضع الشماع الأحمر القاني جانبا دون أن يعلقه ، كشف عن
الرأس ، رأسه كزبيبة ، رغم ضخامة جسمه إلا أن رأسه صغيرة كأنها علبة ببسي ، صار
يتغزل بترديد بيت الشاعر محسن الهزاني:

أربع ليالي مرقدي وسط جوفه // البارحة واليوم وامس وقبل امس

أحضرت سيارة ونيت نوع داتسون ، لنقل العروس مع عفشها إلى بيت الزوجية ، ركب العريس
يابس في الغمارة (مقدمة السيارة) ، بجانب السائق ، أما العروس فركبت في الصندوق ، شمس
وهواء ، البارحة عروس واليوم على ظهر ونيت ولسان حالها يقول :

نزلناها هنا ثم ارتحلنا ٠٠٠٠٠٠٠ كذا الدنيا نزول و ارتحال .

انتقلت إلى العيش في مدينة الفطيان ٠٠ مدينة الطرافة ٠٠ مدينة الأفلام الكاريكاتيرية ،
استقر بها الحال في بيت يعتبر أقرب البيوت إلى مقبرة الفطيان ، المقبرة الرئيسية في المدينة ، يا
للحظ السيئ ، مرة أخرى سكنى بجوار مقبرة.

ما هذه الزيجات وسكناها ، من زوج يسكن بجوار مقبرة إلى زوج آخر يسكن بجوار مقبرة أخرى ، وألآن ينتهي الحال بها إلى زوج ثالث ، يُسكنها بجوار مقبرة ثالثة أيضا ، هل هو الحظ السيئ أم الاختيار الخاطئ أم كلاهما معا ، إنه حظ ، لا يختلف كثيرا ، عن حظ من قال:

أن حظي كدقيق فوق شوك نثروه/ ثم قالو لحفاة يوم ريح اجمعوه

على كل حال ، البيوت هنا متفرقة وليست ملاصقة للمقبرة كما هو حال بيوت جيران مقبرة العود ومقبرة العجلية ، هنا تجد أراضي بين المنزل والمنزل لم تبعد ، ونخيل بعضها مهمل ، مات صاحبها قبل عقود ، ما يعني فسحة من الفضاء ، تستطيع المرأة من خلاله السير بعيدا عن جدار المقبرة ..

إرادة مسلوبة + مهر مسلوب + طاعة عمياء للزوج + سكنى بجوار المقابر = سعادة الحياة معادلة صحيحة ومن يقول أو يروج لغير ذلك فنحن غاضبون عليه إلى يوم الدين ، وسنجعل الجنة عنه أبعد عليه من لحس أذنيه ، وسنعريه أمام خلق الله ، ونقول : انظروا إلى من يريد إفساد محارمنا ، أما أنت أيتها المرأة ، إن ذُكر لنا ٠٠ أنك حفظت هذه المعادلة دون قناعة ، فسنتعك بعبارة قليلة حياء ما حييت .

بدأت يومها الأول بعد الزواج بتأمين مكان لإخفاء عشبة عززت ، المانعة للإنجاب ، مكان لاتصل إليه يد يابس فيمنعها من أكلها ، فالرجل يريد إكمال عدد الأبناء إلى الرقم اثنا عشر (درزن) ، ستأكلها غير أبهة بتحذيرات الطبيبة الشعبية هلة من خطورة الاستمرار في تناولها . الحياة في مدينة الفطيان تختلف عن الحياة في حي العجلية ، الفوارق في الأكثر سوء ، لا في الأكثر إيجابا ، فالإيجابيات شبه معدومة في كلا الحالتين .

” الأكل لدى معيط فيه شح ، بينما لدى يابس لا يأتي في وقته ، فمن يحدد متى تتناول الزوجة الوجبة ، هو الزوج يابس ، وليست الزوجة البرصاء ، فالرجال أولا وبعدهم النساء ، ومن لديه أفكار تقول **Together** (مع بعض) أو **LADY'S FIRST** (المرأة أولا) فهو ضال تغريبي يجب تعريته أمام النساء الصالحات المطيعات لبعولهن.

” الحشمة سواسية ، إلا من احترام قليل لدى يابس ٠٠ عندما يريد غرض .

” النوم في حي العجلية غير مرغوب فيه ، أما في الفطيان فمجبورة عليه .

’الالتزام الديني ، لا وجود له عند معيظ وموجود في مكان آخر لدى يابس.
الخلاصة تقول الحالتان **droop** (انحدار) ، شتاء قارص وصيف حارق ، وما علينا فعله نحن
حرائر الجزيرة ، سوى القبول بالآتي من الذكور الشهماء ، قبول ينتج عنه زواج ، زواج يتناغم
مع استمرار الحياة ، حياة حلوها بالقطارة ومرها بالكوم ، وليس لأفكارنا حق الصدع بالأم
آليات هذه الحياة.

وإن مكاننا بين النساء / مكان الليث من وسط العرين ٠٠

هكذا جهر يابس بأبيات الشاعر سحيم بن وثيل وهو يتوسط مقبرة الفطيان ، فنحن لسنا اقل شأن من الحجاج يوم استعارها لتأديب أهل العراق ، ها نحن ننتظر المساء لنؤدب الجن المعتدين الذين يرمون المواطنين العزل ليلاً بالحجارة ، لم يراعوا حرمة الجيرة فهؤلاء المواطنين يجاورونه في السكنى ٠٠ سنين طوالاً خلت ، أنا لها وأنا ابن جلا ، فما على المواطنين الكرماء سوى تأمين الدعم اللوجستي من الغذاء ، جريش - رز - مرقوق - وكلها بطبيعة الحال مع اللحم ، يؤمنونها لي ٠٠ ويتركون الباقي علي .

يتسابق الضعفاء في تقديم ما لذ وطاب ليابس ، يا للسذاجة ، فهم لا يعلمون أن من يرمي بيوتهم بالحجارة ، آخر الليل ، هو يابس ، وفي الصباح يطرح عليهم تفسيراً مقنعاً جداً ، صحيح أن من لا يستطيع أن يقنع عليه أن يقتنع .

الجن تمردوا في الفطيان ، اليوم يرمون المنازل بالحجارة وغداً ربما يعتدون على المحارم ، حان وقت قطاف رؤوسهم وقلع ثناياهم ، وابن جلا موجود ، بعدها يمكن لمدينة الفطيان أن يستقر بها الحال وينام الناس في ليالها طويلاً ويحلمون ، ويأتون في الصباح لطلب تفسير الأحلام من يابس أيضا ، فكل الطرق تؤدي إلى يابس ، وهل هناك غير يابس يعلمنا التقنية التراثية ؟ ، انه دليلنا في هذه الحياة ولا نعتد بقول الشاعر

إذا كان الغراب دليل قوم . . يمر بهم على جيف الكلاب.

البرصاء اكتشفت السر وما خفي ، لاحظت تكرار صعوده إلى السطح بأعذار مختلفة ، تبعته ليلة البارحة وهو يصعد بحجة الاطمئنان على العنزة الحلوب من هذا البرد القارس ، رآته من غير أن يشعر وهو يرمي المنازل المجاورة للمقبرة بالحجر المتوسط ، من خلال مقلع كبير صنعه بنفسه .

ماذا يعمل هذا المجنون يرمي بيوت جيرانه بالحجارة ، وليتها حجارة صغيرة ، حجارة بعضها بحجم فنجال القهوة ، يرمي الحجر ثم يتوارى ، الناس في موسم شتاء ، نائمون في حُجرهم ، ماذا يهدف من رمي الأحجار في أحوشتهم الداخلية ، سألته باستغراب :

- لماذا تُرجم بيوت الناس بالحجارة ؟

- أصيد عصافير .

- عصافير في منتصف الليل والبرد يقص المسمار، اين العصافير؟ ، لا أرى أي عصفور.

- متى عرف عن النساء إنهن يرون العصافير؟ ، إنتن لا تدقن النظر إلا في الرجال ، انزلي عند أمني دون أي كلام زائد.

تقبلت نهر أحد أهم أركان الحكومة الذكورية ، إلى أن يفرجها الله من عنده ويتم النظر في العمل بالحكومة الالكترونية ، فالشاشة أجمل منظرا والأسلاك التي تمر عبرها الكهرباء خير من الشرايين التي تسري بها بعض الدماء الفاسدة

في اليوم التالي ظهرت النتائج لمقلاع يابس ، أضحينا وأضحى الملك لله ، بدأت الجموع الشعبية بالتوافد على منزل يابس ، تطلبه النجدة بأسرع وقت ممكن لإنقاذهم من حَجْر الجن ، الذين يتسلطون عليهم في ليالي الشتاء وقيلولة الصيف ، وكلا التوقيتين يكون سطح يابس مهجوراً .

الليلة ستحسم المعركة في أرض المعركة ، قبل الرجل الوجاهة والدخول في حوار مع الجن ليوقفوا رميهم لبيوت الجيران المسالمين بالحجارة ، وإلا سيضطر لاستعمال العنف معهم وليتحملوا نتيجة أفعالهم الجنية .

مكان المفاوضات مقبرة الفطيان ، تم اعتماد مئونة المعركة ، نوعها مرقوق باللحم وجريش بالسمن ، يصلانه بعد العشاء مباشرة ، فما على الفارس المغوار سوى الاهتمام بالنزال .

تم توقيع الاتفاق شفوياً بين الجن ويابس، يتعهد فيه الجن بعدم الرمي على البيوت بالحجارة مقابل شروط ٠٠ حاول يابس اختصارها قدر المستطاع

”الشرط الأول عدم سكب الماء إذا كان حاراً يغلي في أي مكان ، تحسب لوجود أحد أبناء الجن هنا أو هناك فيحترق

”الشرط الثاني عدم التعرض لأي قط أسود حتى وإن أكل دجاج أو حمام أحد منهم ، من يدري فلربما هذا القط الأسود أحد أبناء الجن وتشكل كقط ٠٠ لحضور حفلة تنكرية.

”الشرط الثالث عدم الشعور بالفرح أو الحزن بشكل فجائي .

شروط يكررها اليابس على الجيران منذ سنوات ويقبلون بها ٠٠ ولكن تحصل بعض الأحيان خروقات لهذه الشروط منهم ، تجعل الجن يعاودون رمي الحجارة من السطح ، خروقات لا يتذكر المساكين أنهم قاموا بها.

تكررت خدعة يابس لجيرانه ورميهم بالحجار واتهام الجن بعمل ذلك ٠٠ ليطلبوا المساعدة عدة مرات ، في أزمان مختلفة ، خاصة عندما يجوع البطل ٠٠ أو تقل المئونة و يخلو بيت السبع من العظام .

البرصاء ترقب هذه الأساليب الحياتية بازدياء ، فالحياة المزيفة لا تروق لها ، يقول أمي أهم ما علي في هذه الدنيا ٠٠ وهو يمر بجانبها عشرات المرات دون أن يلتفت إليها ، يطلب الصدق لأبنائه وهو كذاب ، يدعي الورع وهو عكس ذلك ، يثني على أبنائه العشرة بالشجاعة والخلق النبيل وهم جناء أمام الأقوياء ٠٠ سيئو الخلق ، وبالأخص الابن الكبير ذيبان، الذي يكره البرصاء بشكل غير عادي ، يقصد إحراجها وأحيانا إيذائها ، يتعمد إرهاقها بالأعباء المنزلية ، ما الحيلة ما العمل ٠٠ ما عليك يا بنت آل مقصعة القمل سوى الصبر ، ألم تردد جداتك (سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري) .

اليوم هو يوم الجمعة ، يوم الراحة ، يوم الإجازة ، ولكن ليس هنا ، في بيت يابس وسلالته يسمى هذا اليوم بيوم العناء، عناء يبدأ بإشعال النار وعمل خبز الصباح ، أه ٠٠٠ يا خبز الصباح ، ذكريات داعبت أفق خيالي ، ذكريات تحبب من هذا العناء ، يأتي بعده عناء حلب العنزة ونثر الحب لحمام ذيبان ، حمام يربيه في عشة العنزة ، ثم المرور على أم ناصر(لقب الدجاجة عند العرب) وسحب البيض من تحتها بكل أدب ، تلاه إطعام العجوز المخرفة ، ثم التنظيف ، فطبخ الغداء ، فغسيل الملابس عصرا والبدء بإعداد العشاء ، بعدها يأتي دور إطعام العجوز وتنظيفها ، فتقديم العشاء ، لتختم هذا كله بلقاء الزوج مساء ، مع رائحة جسده الكريهة .

ذهبت بعد ذلك كله إلى الحمام لتغتسل ، وجدت ليفة تنظيف الجسم الخاصة بها وبداخلها الصابونة ، وجدتها ملقاة على الأرض ، ذلك يعني أن الابن الأكبر ذيبان قد استخدمها لتنظيف جسمه ، فهو للتو خرج من الحمام وجسمه بالكامل لم ينشف ، اغتسلت بالماء دون ليفة وصابون ، خرجت غاضبة ، دخلت عليه في غرفته ، صاحت به :

-ألف مرة ٠٠ أقول لك ٠٠ لا تستخدم ليفة جسمي .

-- هل أنا قذر يا البرصاء ؟

قالها ثم انقض على البرصاء ، تبعه غلوات يابس بعد أن استيقظوا لمشاركة أخيهم الأكبر ذيبان تأديب البرصاء ، كل ينهش من جهة ، أحد يضرب بيده ، والأخر بالملاس والثالث بالشبشة والرابع بالعصا وكأنهم يقولون :

وينشأ ناشئ الفتيان فينا ٠٠٠ على ما كان عوده أبوه

سمع الأب صراخ البرصاء ، أتى وليته لم يأت ، صار يشجع :

-بعدي عيالي ٠٠ أدبوا الحرمة ، فهي لا تعرف الأدب إلا إذا ضربت بالعصا ثم أنشد :

لا تشتري المرأة إلا والعصا معها ٠٠٠٠ أن النساء لأنجاس مأكيد

هذا هو البيت الصحيح الذي أنشده المتبني ، أن أنصار المرأة التغريبيين ، حرفوه إلى ٠٠ لا تشتري العبد إلا والعصا معه ، رغم عدم الفارق في نظرنا ، بين دور المرأة ودور العبد ، فالعبد يكد نهاراً والمرأة تكد ليل نهار ، وللأسف كلاهما لا يكونان مطيعين ، وللإنصاف هنا نقول أنهما عاصيان في بعض الأحوال ٠٠ وليس كل الأحوال ، وهنا يبرز دور العصا التي أشار لها المتبني ، فلن نصغي لمن ينطق هنا أو هناك .

انهارت المسكينة من شدة الضرب ، دخلت ما يشبه حالة الغيبوبة ، توقفوا بأمر القائد الزوج يابس الدفش.

بعد دقائق استعادت وعيها الكامل ، صارت تردد :

-لا يطاق العيش في هذا البلد .

صممت لتفكر : ما الحل ٠٠ ما الحيلة للتخلص من هذا الذئب وغلواته العشرة وأمه المخرفة ، التفتت إليه وبصوت يسمعه من بمقبرة الفطيان :

-طلقني يا يابس ، ما أبيك ، ما أوطنك بعيشة الله.

-إذا أنت لا ترغبين بي فأنا كذلك ، أنا لم أتزوجتك إلا لخدمة أمي ، وإلا من يتزوج

برصاء ، وفيها وشم على جبهتها ، وطليقة لزعيط ومعيط.

-يا أخي هي أمك ، ليست أمي ، اخدمها أنت وأبناؤك .

-أمي هي أمك ، أما أمك فهي ليست أمي ، أنا الزوج وأنت الزوجة ، أنا الأمر وأنت

المأمورة ، عليك خدمتها طول العمر دون نقاش ، وهذا ليس رأيي لوحدني ، إنه رأي الجماعة في

القطيان والعود والعجلية ، ولو توقظين مدفوني المقابر الثلاث لقالوا لك الكلام نفسه ،
فأنصحك أن تبلي العافية وتقومي لحلب العنزة :

هنا أردف الابن ذبيان بلغة المنتصر :

- لا تتسي أن تتشري الحب للحمام ، وتتأكدي من أن الحمامة سلوى قد باضت ، فهي تجمع

عش البيض تحتها منذ مدة .

ختم الكلام وتفرق الجميع ، ذهب لغرفتها تلملم إصاباتها الجسدية والنفسية ، أقفلت الباب
عليها ، الخصومة مع الجميع قد بدأت ، وقد تطول أياماً ، يمتنع فيها المعتدي وأبناؤه من
التحدث أو الطلب من البرصاء باستثناء الغداء ، فهذا خط أحمر ربما تتعرض للضرب مرة أخرى
إن هي تجاوزته ، فأكل الرز ظهراً مسألة حياة أو موت للأسرة بكاملها .

رأت وجهها في المرآة ، تألمت للتشوهات التي حدثت لها من آثار الضرب ، قررت الخلاص من
هذا الزوج وحاشيته ، جميع الظروف تقف ضدها ، ما أصعب أن تكون ضعيفاً وتهان ، القوة
منعدمة ، العاصمة بعيدة المنال ، السفر إليها مستحيل ، لا أمان في سفرها هرباً دون علم زوجها
، لا معارف هنا ، حتى وإن وجدوا ، من يتجرأ وينقل زوجة يابس إلى العاصمة دون علمه ؟ لا
وسيلة ممكنة لإبلاغ السببة يُسرى بحالها السيئ ، حتى وإن علمت بعملية الاعتداء الجسدي
الجماعي على أختها ، هل تراها تفعل شيئاً ، ستفتح فمها وربما لا تغلقه ، لن تتمكن من إقناع
دحمان للمجيء إلى مدينة القطيان ليأخذها ، الأبواب مغلقة ، ماذا يتبقى إذن ، الحيلة يا
برصاء ، ليس لك سواها ، ومن له حيلة فليحتل ، يقولون أن الحيلة هي سلاح الثعالب ، ولكن
ماذا تعمل الغزالة عند وقوع الخطر ؟ ألا تراوغ كي تتجو من الموت ، أليس من حقها أن تهرب
إلى الخلف كي لا تقع بين الأنياب أو المخالب ، أو يصطادها الصياد ويتم شي لحمها فوق نار
ملتهبة ، أو تؤسر وتمضي بقية حياتها سجينة في حديقة المنزل أو في حديقة الحيوانات .

- طيب يادحمان الدفش ٠٠٠ ليس لي أهمية لديك ٠٠ وتزوجتني لخدمة أمك ٠٠٠ إذا ما

شربتك المر وجعلتك تنادي بأعلى الصوت : الحقوا علي يا الأجواد ٠٠ ما أنا يُمنى بنت آل مقصعة
القمل .

البرصاء تحدث نفسها عن قرارات ستتفذهها ، تعتمد عدة إجراءات ، جنحية وليست جنائية ، الأكد أنها سرية ، خارطة طريق ستوصلها في النهاية إلى إقناع أسرة يابس الدفش إنها زوجة فاشلة ويجب استبدالها بزوجة تخدم بالشكل المطلوب .

بعد أن غط الجميع في سبات النوم العميق ، تسللت وكأنها ستذهب إلى الحمام ، صعدت إلى السطح ، فتحت باب العشة للحمام ، كي يهرب وينطلق إلى الحرية ، يغادر ليعيش الحياة التي خلقه الله ليعيشها ، أقبلت إلى العنزة ، نزعت منها ألسماله ٠٠ وهي خرقة يغطي بها ضرعها وتربط فوق ظهرها ، تقوم بمنع صغيرها من أن يتمكن من إرضاع حليب أمهما ، ما أن رأيا الصغيران ضرع أمهما بلا شمالة حتى انطلقا بكل شراهة ، يرضعان حليب الأم الذي خلقه الله كي يشربا منه ، لن يبقيا منه شيئاً لمن ينتظر في الصباح إبريق الحليب المليون .

نزلت من الدرج لتمر عبر الباب الرئيسي المؤدي إلى السكة ، وجدته مغلقاً ، فتحتة وتركته مفتوحاً ، عادت إلى فراشها وكان شيئاً لم يكن .

لم تستيقظ في الصباح إلا على صيحات تدوي في جنبات المنزل ، نظرت من فتحة في الشباك المطل على وسط المنزل ، رأت اليا بس يرفع أمه من الأرض ، يساعده أبنائه ، وهو يصيح فيهم :

- بسرعة ٠٠ كي نقلها إلى المستشفى ، يبدو أنه ٠٠ قد عطاها كلب مغلوث (مسعور)

آلم البرصاء ما رأت ، رفعت رأسها إلى السماء ، تستميح خالقها العذر :

- يا رب سامحني على تعمدي فتح الباب الخارجي ، ما كنت أعتقد أن العجوز ستخرج إلى الشارع ليعضها كلب مغلوث ، كنت أنوي من خروجها تعريف هؤلاء الجاحدين قيمة عملي والجهد الذي أبذله في منعها من الخروج .

حُملت الأم المخرفة إلى المستشفى وأعطيت الحقنة اللازمة لعلاج عظة الكلب .

عادوا بها وهم يسنون سكاكينهم على من كان السبب في خروج الأم، إنها عملية مدبرة للقضاء على أم الخير أم يابس ، والمتهم الأول والأخير من فتح الباب ليلا ، والشكوك تدور حوله بنسبة ٩٩.٩٪ هي البرصاء .

كل من على رأسه بطحاء يحسس عليها ، وكاد المريب أن يقول خذوني.

أقفلت البرصاء على نفسها الباب ، خوفاً من العقاب ، لا دليل قاطع عليها ، أنكرت ضلوعها في القضية ، عندما وجه لها يابس ٠٠ الاتهام بالتعمد بفتح الباب الخارجي ، بعدما رأى إصرارها على الإنكار ، حوله إلى اتهام بالتهاون ، عندها فتحت الباب لتدافع عن نفسها :

وهم في تداول قضية العجوز وعضة الكلب إذا بالابن الأكبر ذيبان ينزل الدرج، يقفز الخطوة بدرجتين، قادما من السطح ، ينادي والده بأعلى صوت :

- ييه ٠٠ ييه ٠٠ القطوا الأسود أكل الحمامات كلهن .

- عسى الحمامة سلوى سالمة ؟ .

- وين سالمة ييه معه ؟ ، شكله أول ما بدا فيها ، ما بقى منها إلا الريش .

- يا خسارة الحمامة سلوى .. آه .. يا للقهر.. قبل يومين عرض علي تاجر الحمام هميس

الحوس يشتريها بخمسين ريال ورفضت ، يا ليتني بعثتها إياه .

الحسرة تكاد تقتلها ، الأب وابنه ، أما البرصاء فقد شعرت بتأنيب ضمير ثاني بعد تأنيب الضمير الأول الناتج عن ما تعرضت له العجوز من عضة الكلب المغلوث ، تأنيب ضمير على مصير الحمام المسالم ، تأنيب جعلها تخجل من نفسها ، تنظر إلى الأرض ، لم تتحمل ، دخلت غرفتها بسرعة ، توجهت بالدعاء إلى بارئها : يا رب سامحني ، عندما فتحت باب العشة لم أكن أقصد السماح للقط الأسود أن يدخل ويأكلهن بهذه الطريقة البشعة ، كان القصد أن يطير الحمام إلى الحرية وينجو من حبس ذيبان ، لم أكن أعلم أنه لا يغادر مكانه في الليل وينتظر حتى يأتي القط الأسود ويلتهمه .

مسكين طائر الحمام هذا ، يسمونه رمز السلام ويقتل بأبشع الصور ، عندما تكون الأنثى منه جميلة يأتون بذكر لها لا تعرفه ويجبرونها على تقبله كولييف ، الواحد تلو الآخر ، يريدون منتجاً مميزاً يباع في سوق الحمام بأعلى الإثمان .

حمام يقتنيه من هب ودب ، والدليل ذيبان ، اسمه ذيبان ويربي حمام ، تتناقض مخزي بين الاسم والفعل ، بين المربي والمربي بفتح الباء ، وهذا التناقض ليس حصراً على طائر الحمام فقط ، فالأمثلة كثيرة ، هذا ابن الجيران اسمه جعري ويربي أرانب ، والأخر اسمه شاهين ويربي دجاج ، شاهين ويربي دجاج يا لشجاعة الشجعان .

كان تأثرهم من موت الحمامة سلوى أشد من تأثرهم لعض الكلب المغلوث لأهمهم ، ولذلك سيكون عقاب المتسبب بفتح باب العشة ودخول القط عقابا عسيرا ، وسيفتح التحقيق الآن ، أول المتهمين وآخرهم البرصاء ، هي من يدخل العشة لإطعام الحمام وحلب العنزة أكثر من مرة في اليوم ، وقف يابس وغلواته جميعاً يتشاورون ، أيديهم على أكتف بعضهم البعض ، على شكل دائرة ، منظرهم يذكرك بلاعبي فريق كرة القدم وهم يقرؤون الفاتحة قبل انطلاق المباراة ، استشعرت خطر العقاب ، أغلقت الغرفة بالمفتاح .

- اخرجي يا برصاء من الغرفة ٠٠ اخرجي يا برصاء .

كلهم يرددون ٠٠ مع قرع على الباب متكرر ، صارت ترتجف من الخوف ، ما الفرق بينها وبين الحمامة سلوى ليلة البارحة والقط الأسود يفترسها ، في العشة قط واحد وهنا أكثر من قط ، أين آل مقصعة القمل عن هذا الموقف أليسوا من يرددون :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ❖❖❖ حتى يراق على جوانبه الدم ؟

الشرف محاصر والدماء سالت وستسيل منه أكثر من مرة ، والمؤشرات سابقا وحاليا وعلى المدى المنظور ، تقول إنه سيراق من جوانبه قطرات دموع التماسيح ، ما بال آل مقصعة القمل يقولون ما لا يفعلون ؟.

محاولة إقناع البرصاء بفتح الباب ، والخروج لتنفيذ حكم العقاب عليها ، باءت بالفشل ، الوقت يمضي والحاجة إلى الإفطار تزداد ، لا إفطار دون حليب ، من يحلب العنزة ، طُلب من ذبيان أن يقوم بالمهمة ، صعد إلى السطح وجد العنزة بلا شماله ٠٠ والتيس والعناق يرضعان أمهما ، نهرهما ، بدأ بالحلب ، يبدو أن الصغيرين مستمران برضاعة أمهما منذ ليلة البارحة ٠٠ دون توقف ، لم يتبق في ضرع الأم مخزون ، عاد الحالب ذبيان ٠٠ محزوننا مكسور الوجدان ، انعدام حليب الصباح مصيبة ثالثة أضيفت إلى المصيبتين السابقتين عضه الكلب المغلوث وافتراس القط للحمام ،

- بيه ٠٠ شماله العنزة مشيوله ، والتيس والعناق رضعوا الحليب كله .

انفعل يابس بشكل جنوني ، توجه إلى باب الغرفة وصار يركله بيده وبقدمه بقوة ويصرخ بصوت عال :

-أمي وعضها الكلب ٠٠ وحمّامنا وأكله القطو ٠٠ وحليبنا وشربه التيس والعناق ، كله بسببك يا برصاء إبليس ٠٠ روحي وأنت طالق ، لم يتحمل يابس تلاحق أخطاء البرصاء ، ثبت فشلها في نظره في القيام بدور الزوجة المطيعة ، واستقر رأيه على التخلص منها واستبدالها بزوجة تطبخ وتحلب وتنظف وتتفد ما يطلب منها ليل نهار ٠٠ صبح مساء ٠٠ بكل إتقان ٠٠ وبلا أخطاء .
استبشر أبناؤة بالطلاق ، وبصوت واحد صاروا يغنون :

-ابرك ساعة وأسعد وقت ٠٠ أبرك ساعة وأسعد وقت .

ما أن سمعت البرصاء كلمة أنت طالق حتى راحت تدور في الغرفة ٠٠ فرحاً واستبشارا بالحرية للمرة الثالثة وتردد :

-يا رب لك الحمد والشكر فرجتها من عندك يا كريم .

رمت بنفسها على الفراش ووجهها إلى السقف ، راحت تتأمل ما تم وما صار ، لم تكن تعرف أن أفراد عائلة الدفش يفقدون التحكم بأعصابهم بهذه الدرجة ، هل هذا هو الحمق المتداول بين الناس عنهم ، صحيح أنك كلما اتجّعت إلى الجنوب يطغى الانفعال على الحلم ، في جميع النواحي السلوكية ، إلا أن ما حصل كان غير متوقع ، صارت تحزم أمتعتها للرحيل ، يا للمفاجأة شنطة ملابسها مبعثرة ، يبدو أن هناك من تعمد الضرر بها بعد حادثة ضربها ، قلادتها الذهبية الوحيدة التي تملكها مُقطعة إرباً إرباً ، أووه ٠٠ تابعيتها (الجنسية) أيضاً أتلفت بالتمزيق .

هل هناك غيرة ٠٠ إنه ذبيان فهو من يعرف قيمة القلادة المالية وأهمية التابعة الرسمية ، لا باس الفرح يطفو على ألم الإساءة ، فالقلادة يعيدها الصائغ إلى حالتها الأولى والتابعة تستبدل لدى الجهات الرسمية بدفتر آخر .

أكملت تجهيز عفشها استعداداً للسفر .

تجربة زواج ثالثة ، لم يكتب لها النجاح ، مثل سابقتها ، ومع ذلك هي سعيدة ، تود الخروج إلى الهواء الطلق ، لكن الأجواء ما زالت مشحونة ، والغطاء للوجه وجب عن اليابس بعد الطلاق ، ولكن غطاء الفكر أجيّز رفعه الآن ، لا باس سنظل تحت الحصار جسدياً أما الخيال فيذهب ،

أنى شاء ، يبحث عن الحبيب التائه ، الغائب بجسده ، الحاضر بالشوق إليه والتمتع بذكرياته
٠٠ آه ٠٠ يا عبده شايف ٠٠ آه ٠٠ ما أحلى كلمة : أحبش يا يُمنى من فمه .
أُبلغت يُسرى بخبر طلاق شقيقتها ، ضحى اليوم نفسه ٠٠ عبر أحد المعارف المسافرين هذا
الفجر ، عند ورود الخبر ، بادر دحمان وأمه ومعهم السببه يُسرى بالسفر إلى الفطيان ، والعودة
بالمطلقة ، حزنوا وفرحوا بنفس الوقت ، فالخبر ضار ونافع في آن واحد ، والمنفعة تعلق نسبتها
لدى أصحاب المصالح الدنيوية والتمتع الغريزي ، ولو كان تمتع مع وقف التنفيذ .
انتهت المرحلة اليابسية ، فرحت أم دحمان لهذا الطلاق ٠٠ ليس حبا في عودة البرصاء بل كرهاً
وغيره من أم يابس ، التي كانت في يوم من الأيام ضررتها عند الدفش الكبير ٠٠ والد دحمان
ويابس ، فقد كانت تغار منها وهي ترى البرصاء تعتني بها وتؤكلها وتختم بمداعبتها .
نهاية سلسلة ، والثمن لم يكن غالياً ، ضرب ، نتج عنه كدمات يمكن أن تبرا مع الوقت ،
والسبب المعلن للمشكلة الأساس ولله الحمد ، لا يمس الكرامة والشرف .

آه / يا ما أحلى الرجوع / لا لا تطفوا الشموع ٠٠

عادت إلى العاصمة ، دخلت غرفتها التي قُدر أن تكون مكان نومها في بيت دحمان ، وقفت أمام المرأة ، صارت تنظر لنفسها ، تتحسس آثار الكدمات ، كلها لم تصل إلى مستوى ضربة زعيط بيدها الحاقدة وخاتمه الحديدي ، أبقّت إصبعها على إثر ضربة زعيط ، فكرت بصوت عال :

- يا للحسرة ٠٠ هذا الوشم فوق جبھتي لن يذهب ما حييت ، ما لحظي وهؤلاء الأزواج ، من كمخة إلى كمخة ، يجب أن أتوقف عن الزواج طول العمر ، علي أن لا أنزل نفسي لكائن من كان ، أصرف على نفسي من أي عمل يدر على ولو بربح يسير .

يبدو أن الأمل تسلل إلى النفس في الزواج من الحبيب عبده شايف ولو بعد حين ، أمل يخالج النفس دون اتخاذ قرار داخلي بذلك وعليه فلا زواج بعد اليوم لأزواج غير مقبولين روحياً وجسدياً . قرار التوقف عن الزيجات العشوائية لن تستطيع الإفصاح به ، كونه لن يجد قبولاً عند الجميع ، فالقاعدة هي الزواج وليس العزوف عنه .

بعد أسبوع من الطلاق استيقظت مبكرة ، تنهدت تنهيدة أهل العشق : الأنفاس تقول : آه ٠٠ وينك يا عبده شايف كيف السبيل إلى وصالك دنني ؟

استحمت ، ثم استعدت للمغادرة ، كل ذلك وأم دحمان ترقب ، سألتها :

- وين على ها الصبح ٠٠ الناس نيام ؟ .

- إلى الجوازات لاستخرج تابعية (جنسية) بدلا عن تابعيتي التي مزقتها ذيبان ، ثم سأذهب لزيارة أم حسناء ، اشتقت إليها .

- أين ستزورينها ؟ عند بسطتها في العجلية ؟ المكان بعيد ، لا بد من تاكسي ، وركوبك

لتاكسي لوحدك عيب يا يُمنى ٠٠ لا تتسي أنك مطلقه ، وكلام الناس لا يرحم .

- من راقب الناس مات هما ٠٠ مع السلامة .

غادرت ٠٠ فضلت أن تذهب مشياً على الأقدام رغم طول المسافة بين العود والعجلية ، لم تستقل تاكسي ، ليس خوفاً من العيب وكلام الناس كما قالت أم دحمان ، لكنها كانت بشوق

للنظر إلى الطرقات والشوارع بعد غياب ، يؤنسها مشاهدة أماكن سبق وأن عبرتها ، تتمنى أن تسلم على كل من تراه ٠٠ ما أحلى الحرية عندما نستشعرها بسمو أخلاقي ورقي فكري .

قصدت أول ما قصدت الجوازات وأنهت إجراءات إعطائها بدل تالف لجنسيتها ، دفتر أستبدل بدفتر ، بعدها قصدت موقع البسطات أمام المدرسة ، فرحوا بها ، سألتهم عن أم حسناء ، أفادوها بأن لها عدة أشهر لم تأت ، فبعد زواج ابنتها حسناء انقطعت عن البيع ، هنا تذكرت شرط الزحزيع على حسناء بضرورة توقف أمها عن البيع أن هي تزوجته .

آه ٠٠ الحمد لله ٠٠ ذلك يعني أن الحسناء ما زالت في ذمة الزحزيع ٠٠ ولم يطلقها كما فعل بأختها السببة يسرى ، فالزحزيع يقدر الجمال والجماليات ، ولن يفرض في الحسناء ، فهي أميرة في كل شيء ٠٠ جمال وجه ٠٠ وقوام يسبي الناظرين ٠٠ ولون بشرة ترى الدم فيها كلون إشراق الصباح ، حسناء ستجعل من الزحزيع دحديج .

توجهت إلى بيت أم حسناء ، طرقته ، لا مجيب ، الأمر مقلق ، المنزل يبدو مهجوراً ، سألت الجيران ٠٠ عسى الأمور سلامات ، أخبروها أن أم حسناء ٠٠ وبعد زواج ابنتها بفترة قصيرة ، صارت لا تسكن البيت ، فهي تعيش مع ابنتها ، ارتاحت قليلاً على عتبة الباب ، فالمشي المستمر كل هذه المسافات أتعبها .

عرفت عنوان بيت الحسناء من الجيران ، استقلت تاكسي ، وصلت المكان ، ما هذه البيوت الجميلة؟ ، ما هذه الأشجار التي تعانق أسوار هذه الفل؟ هل أنا في العاصمة؟ هل حي شمال المربع ضمن حدود العود والديرة والعجلية؟ انه حي مختلف ، لا نفايات ٠٠ لا أطفال في الشوارع يلعبون ، لا حرائق هنا ولا حفرة هناك ، أوقفها التاكسي أمام فلة ٠٠ بوابة بابها الخارجي بحجم واجهة بيت العجلية بكاملة .

يا سبحان الله ، هل حقاً أن حسناء وأمها تسكنان هذا القصر المصغر ، ما هذا العز الذي تتعمان به ، عز يحسدهما عليه جميع الخبثاء من سكان قريتهم ، الذين كالوهم بالإشاعات الكاذبة ، أم تتهم بشرفها وبنيت شكك بنسبها .

سُمح لها بالدخول ، فرحتا بلقياها بدرجة عاطفيه جياشة ، الأم لم تترك يدها ، أجلستها بجانبها ، بشرتهما بطلاقها من يابس الدفش ، لم تفرحا ولكنهما لم تحزنا ، فصاحبة الشأن تقول الخبر وكأنه حدث سعيد ، سألتها أم حسناء عن ما سوف تعمل وأين ستسكن ، أخبرتهم

أنها تعيش أزمة مستقر ، فأم دحمان ، تستغل اضطرارها للسكنى في بيت أختها في الأوامر والنواهي عملاً وخدمة عامة ، ودحمان يضايقها بتحرشاتها التي لا تمسك عليه فيها دليلاً ، يؤلمها تلقي أختها الإهانة تلو الإهانة أمام ناظرها ، والمسكينة لا تحرك ساكناً ، كل ما تفعله فتحها لفمها حتى ينجلي الموقف .

تعاطفت الحسنة الرقيقة معها ، دنت منها جلوساً ، ثم اقترحت عليها أن تسكن بيتهم الطيني السابق في حي العجلية ، فهو لم يعد يليق بمقام حرم معالي الزحزح . قبلت بعد تردد خجول ، فالحاجة ترغمها على التفاوضي عن بعض الكبرياء ، والمكان قريب من موقع البيع الذي تعودت عليه . مصدر الرزق الوحيد .

انتقلت إلى العيش في حي العجلية بعد صراع وصل مداه مع دحمان وأمه ، كيف لامرأة أن تعيش لوحدها ، وقفت بوجههم بعبارة واحدة : هي أنهم ليسوا من آل مقصعة القمل ليطرحوا مثل هذا الطرح ، هددوها بموقف صرّار ، الذي سيبلغ عاجلاً ليمنعها ، لم تلق بالأل لذلك ، فخمسمائة ريال كفيلة بلجم تهكماته النسبية والشرفية والاجتماعية .

سكنت بيت أم حسنة ، ذاقت طعم الاستقلالية لأول مرة ، رغم ما ينغصها في بعض الأحيان من أعباء إضافية ، عادت إلى زميلاتها للبيع أمام المدرسة ، ما يقلقها الآن ، الخوف من مغازلات الصعلوك صليح لها ، المعلومات التي وصلت إليها تقول : انه كثير السؤال عنها ، يبدو أن عشقه لها يكبر معه ، لا بأس كل ذلك أهون عليها من العيش في كنف أم دحمان ، أو العيش في عصمة اليابس وأبنائه الشياطين .

علم صليح بعودتها إلى الجلوس أمام المدرسة ، أقبل يلبس نظارة شمسية اشتراها من سوق البطحاء بنصف ريال ، جلس أمامها كمشتري يمسح على شاربه الخفيف كرسالة إلى البرصاء أنني أصبحت رجلاً مكتمل الرجولة ، فالمؤشر الرئيس لدى الذكور العرب ومنذ نشأتهم ، هو الشارب ، لك شارب فأنت رجل ، كلما كبر الشارب . كلما زاد الإيحاء أن صاحبه ازداد رجولة .

أوقفف ٠٠ الغترة فوق الرأس ولم تعد على الكتف ، هذا مؤشر آخر على بلوغ الرجل سن الرشد .

قال وعيناه مسلهمتان ٠٠ يعني حبيب الولد .

- يا يُمنى ٠٠ أنا أعشقتك ٠٠ وأرغب في الزواج منك دون علم أهلي ، أعيش معك في بيت أم

حسنا ، لدي أخبار انك تسكنينه دون أجار ، هاه وش رايك ٠٠؟ لا من شاف ولا من دري.

- أقول يا صليح ٠٠ تقلع الله يرحم والديك ، زعيط ثم معيط ثم يابس وتبيني اختمها بصليح

، أقول لا عاد تشوفك عيني عند بسطتي وإلا والله أني لأبلغ عنك كل عرابجة آل مقصعة القمل

وأخليهم يتحالفون مع عرابجة قبيلة آل أبو أذاني ضد عرابجة قبيلة الأطفس ٠٠ ويضربونهم

ضرب سنة بساعة ٠٠ طق بنشر ٠٠ وانت أولهم ، أعرف الشرطة ما تخوفك .

قالتها وكأنها جادة ٠٠ ما دعاه إلى الخوف والمغادرة فورا ، فعرابجة آل مقصعة القمل لا وجود

لهم في الأصل ليخيفو ولم يسمع عنهم من قبل ، ومع ذلك خاف ٠٠ يبدو أنه هاب من الاسم ،

صحيح أن الصعلوك لا يهاب إلا من الصعاليك.

استقر الحال ، عادت للدراسة عصرا في محو الأمية ، السنين تمر ، تجاوزت مرحلة الكتابة

والقراء إلى تعلم الحساب والفقهِ والتاريخ والجغرافيا ، الحالة المادية بين صعود ونزول ، الحسنا

الكريمة لا تبخل عليها ٠٠ كل زيارة تجزل العطاء لها ٠٠ تبحث عنها في رمضان لتعطيها زكاة

الطبقة الارستقراطية المرتبطة بالزحزيح.

أدمنت العيش لوحدها ، لو لا أن أختها السببة يُسرى ، تدعوها بين وقت وآخر ٠٠ لتناول طعام

الغداء ، بمناسبة ودون مناسبة لما غادرت عتبة الباب لغير حاجة .

” دحمان ، يجلب لها من الخُطاب وهي ترفض .

” أم دحمان ، أكلت تبين بعد أن أغدقت عليها البرصاء الهدايا العينية - قطعت قماش - دهن

عود ، شيلة جديدة - حنا لتحني كشتها البيضاء.

” صرّار ، لا تسمح له بزيارتها في البيت وهي لوحدها ، حتى ولو كان ابن عمها ووليها ،

فسمعتها في العجلية ممتازة ولا تريد أن يشوبها شوائب .

راحت ولا ودعتني ٠٠

عداد الأيام يعد ٠٠ وهي واقفة ، ليست حزينة ولكنها ليست سعيدة ، إلى أن أتى الحزن ليطلق قلبها بعد أن عم هذا الحزن حي العجلية كلها ، ذهبت من كانت تتصدق على المحتاجين في رمضان ، بكى فقراء الحي ، توفيت الكريمة ، ماتت أم حسناء ، وقع الخبر على البرصاء كالصاعقة ، المصاب جمل ، فالرابط مع الفقيدة روحيا وماديا .

نديمة الضرر من ظلم الرجال ماتت ، خدينة الوناسه توفيت ، صاحبة النزل انتقلت إلى بارئها ، وعليها المغادرة إن عاجلاً أو في الآجل القريب ، ستخسر هذا البيت الذي أعزها ٠٠ بعد أن أذلها من لا يخاف الله في السراء والضراء .

البيت ليس هو الأهم ، المهم الحقيقي هو فراق الطيبة - يا لحزن البرصاء ، إنها أختها الكبرى - صديقتها - شبيبتها بالسلوك الإنساني الرحيم ، تكاد أن تقول كما قال روديارد كبلنج (هي التي علمتني ما هي المرأة) ..

امتصت الصدمة ، قررت الذهاب للحسنة وتقديم العزاء والمواساة لها ، لم تنتظر إلى الصباح ، استأجرت تاكسي ، وصلت بيت الحسنة ، زوجة الزحزيع الأخيرة ٠٠ الصغيرة ٠٠ المدللة . ما أن رأتها البنية الحزينة حتى أرخصت الدمع الغالي ، تعانقتا وكان كل منهما ستتعذ الأخرى من هذا الحزن ، اختلطت الأطلال بالآمال .

- أحسن الله عزاءك

ولم تنتظر الرد وأكملت :

- أخبريني كيف ماتت - لم تكن مريضة - بشريني عساها تشهدت ؟؟

- زادت سخونتها في الليل ٠٠ وطلبت مني أن أعصب رأسها ، وبعد منتصف الليل رأيت العرق يتصبب منها ، أسقيتها شربت ماء ، ثم صارت تتحدث بلسان ثقيل ، أوصتني أن أحافظ على حملي من الزحزيع ، قالت أن الذي في بطني سيجعل أخواني وأقاربي يأتون إلي ذليلين يطلبون رضاي .

تعانقتا مرة أخرى مع بحر من الدموع ، ثم أكملت رواية اللحظات الأخيرة :

- سكتت قليلاً ثم أمسكت يدي وقالت : أشهد الله وأشهدك يا حسناء ٠٠ انني أعطيت

بيت العجلية ليمنى بنت آل مقصعة القمل صدقة لوجه الله ، يكتب باسمها في المحكمة .

صارت يُمنى تضرب على خديها بيديها والدموع أربع أربع .:

-يا ليتني ودعتها قبل أن تموت ، ما أبي بيوت أبي شوفتها ٠٠ البرصاء تكاد أن تنهار ،
صارت حسناء تهدي من تفاعلاتها الحزينة ، أحضرت لها ماء ، شربت ، تعوذت من الشيطان .

قضتا بقية النهار في تذكر محاسن المتوفاة إلى أن أتى المساء ، همت بالمغادرة ، ولكن هيهات ،
فالحسناء لن تسمح لها ، لا بل ستنام معها في نفس الغرفة ٠٠ فالزحزيع هرب من الجو الحزين
الذي عم البيت عند زيارة البرصاء إلى زوجته رقم ٣ ، فكما نعلم أن لدى الزحزيع أربع زوجات ،
كانت الحسناء مسك الختام .

أمضت البرصاء يومين في ضيافة الحسناء ، وفي اليوم الثالث أصر الزحزيع على النوم في غرفته
مع الحسناء ، فمشاهدة الزحزيع الكبار للحسناوات مساء ، لا يحتمل تأخير، وإعادة جدولة
ليالي الزوجات يحتاج جهداً مضاعفاً فتوافق الزوجات في هذا الشأن أمر صعب.

استشعرت البرصاء رغبة الزوج ٠٠ فقررت المغادرة إلى مسكنها في العجلية ، والذي أصبح ملكا
لها من اليوم وصاعدا ، رزق من عند الله ، فقط يُنتظر أن يقوم رجال الزحزيع المختصين بتوثيق
الوصية الشفوية لدى القضاء وكتابة البيت ملكا للبرصاء رسمياً .

لم تفرح من عطية البيت، إن حزنها على فراق أم حسناء أكبر، هكذا هي الحياة تأخذ منك
لتعوضك بعد ذلك، إنه كرم الخالق سبحانه.

وحداني / حعيش كدا / وحداني ٠٠

الحرية نالتها والخلاص من تحكّم الزوج صار.

خبرة العيش الحلال اكتسبتها.

تمكّك المنزل أصبح حقيقة.

عادت عجلة الحياة الكادحة إلى الدوران ، ولكن هذه المرة بلا منغصات ذكورية .

حالة الاستقرار هذه لم تعجب العاذل ، أولهم أسرة دحمان الدفش، وثانيهم الوكيل الشرعي

والولي ألحصري صرّار آل مقصعة القمل ، إن هذا الاستقرار بني على الاستقلالية ، وهذه

الاستقلالية جعلت البرصاء أقوى ، والقوة للمرأة أمر خطير، ربما يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه ،

فالمركب الاجتماعي له ربان واحد ، مواصفاته الفسيولوجية ذكورية فقط .

اتفقت الأسرة على زيارة للبرصاء ء في منزلها ، وقضاء يوم عمل يتخلله تناول وجبة غداء ، بعدها

يتم تقديم الاحتجاج شديد اللهجة ، عن وضع البرصاء وحياء العزوبية التي تعيشها ، فالعزوبية

للرجال ، اسماً وممارسة ، أما النساء فعندما تتعت بالعزباء كاسم ٠٠ فعليها اعتبار الممارسة

لهذا المفهوم خطأ أحمر .

إن الاكتفاء الذاتي يجعل المرأة نداءً للرجل ٠٠ وهذا ما لا نسمح به ، أما امتلاك السكن فهذا

هو الخطر العظيم ، وخطورته تكمن في أن الطلاق والطرّد إلى الشارع سلاح غير فاعل

٠٠ لجعلها مطيعة لبعها .

بعد أن تليت مذكرة الاحتجاج شفويا ، تلاها غاسل الموتى ومدمن التحرشات دحمان

الدفش، وقفت البرصاء على عتبة الدرجة الداخلية وسط المنزل ، وكأنها الحجاج بن يوسف

الثقفي يوم يخطب في أهل العراق خطبته الشهيرة ثم قالت :

-أنا أكرمتكم وخدمتكم ما فيه الكفاية، رغم أنكم لم تقفوا معي في أزماتي

المتتالية، المادية منها والزوجية، واليوم أرجو أن تضعوا ما أقوله حلقاً في أذانكم :

”لا زواج إلا على من يرغب فيه قلبي .

” لا أسمح لأحد أن يشكك في سلوكي ، بحجة السكن لوحدي ، ومن سمعت منه مثل

هذا الكلام ، سأرفع عليه شكوى عند القاضي ٠٠ يثبت اتهامه لي ٠٠ أو يتحمل العقوبة

الشرعية ويجلد بميدان الصفاة .

بهر الجميع من هذا الانقلاب الداخلي ، في تعامل البرصاء مع المحيطين بها ، كلامها قوي يخيف الضعفاء ٠٠ محترم يحرص المتطفلين ٠٠ إنذار يردع المتهورين .

لم يعلق أحد ، صاروا ينظرون لبعضهم البعض ، نزلت من على عتبة الدرج ، أحضرت الشاي ، أخذته منها أختها السببه يسرى ، التي لا نعلم وقع كلام أختها عليها ، وهل فتحت فمها أم لا ، فقد كانت متغطية الوجه ٠٠ لوجود صرّار ، أما صرّار نفسه ومعه دحمان ، فقد أحسا بالإهانة ، فضلا عن شرب الشاي ، محتجين ، كيف أن امرأة مطلقة ، بلا أب أو أخ أو ابن ، تقف هذا الموقف ، كيف لبعوضة مثل هذه أن تجرح رجلاً بأشنانهم ، لا بأس أيها الرجل الأسد ، علك تعي معنى قول الشاعر :

لا تحسبوهم صغارا في مهمتهم ٠٠ إن البعوضة تدمي مقلة الأسد

الاستقرار + الاستقلال = خلطة ينتج من طياتها التفكير الحر ٠٠ القرار المثمر ٠٠ التعامل مع الأشياء بأريحية ، صارت البرصاء تبتسم للجميع ، تصلي الفروض في أوقاتها ، تحمل في جيبها حلوى ، تهديها للأطفال الذين يمرحون أمام منزلها ، برنامج لا يتغير .

” تجهيز البضاعة ليلا .

” البيع في النهار حتى وقت خروج الطلبة من المدرسة .

” الالتزام اليومي بالذهاب عصرا إلى مدرسة محو الأمية .

” الجمعة يوم آخر للكسب ، يختلف مكانا ونوعا وكما ، المكان الديرة ، النوع ٠٠ ملابس نسائية كبار وصغار ، الكم قطع بالعشرات .

بهذا طويت صفحة من صفحات الذل والمهانة ، دون التأكد على أنها طويت دون رجعة ، فالأيام وتغيراتها قادرة على إبراز صور أخرى من التسلط والتعامل الصلف مع النصف الآخر للإنسانية ، لكن البرصاء تصارع بمفهوم قول عبدا لله بن المقفع (المرأة الصالحة لا يُعدلها شيء) .

حالي تبدل / والسبب غالي الناس ٠٠

من حيث لا تعلم تأتي الأرزاق، رغم أن المنطق يقول أن الأرزاق لا بد لها من أسباب، وأن السعي للرزق بعد توفيق الله هو ما يجلب الرزق جلبا.

اليوم هو اليوم الحادي والعشرون من شهر رمضان المبارك ، الوقت عصرا ، البرصاء تجهز إفطارها المكون من ٠٠ لقيمات وشوربة وشراب التوت ، الباب يُطرق ، ركضت بسرعة إلى الباب :

- من عند الباب ؟؟

- أنا العمدة ٠٠ ومعني لجنة التثمين ، أبشرك قررت البلدية هدم بيتك .

- الله لا يبشرك بالخير ٠٠ فال الله ولا فالك .

- يا بنت الحلال هذي الحكومة ٠٠ تهدم البيت وتعطيك أضعاف قيمته الأصلية ، وأنت

بيتك ٠٠ فيه حوش كبير ، يعني تعويضه بعد الهدم ملايين .

- هاه ٠٠ ملايين ، الله يحييك ويحييهم ، لحظة ألبس عباتي وافتح لكم الباب.

إذا أقبلك باض الحمام على الوجد .. وإن أدبرت بال الحمار على الأسد ،

أقبل الغنى للفقيرة مسرعا ، دخلت اللجنة المنزل ، صارت تُمتر ، المساحة الإجمالية للأرض

كبيرة نسبة لبيوت الجيران التي تفتقر لحوش ملحق بها ، المباني الطينية من غرف وسواها

ليست من مهام اللجنة ، فالمباني يعود تقييمها للبلدية . يضاف تثمينها إلى تثمين الأرض ، تم

التمتير والبرصاء تلح عليهم أن يرفعوا من قيمة التثمين ٠٠ كونها يتيمة وبلا زوج أو إخوان ذكور

، استجداء يقابله عدم مبالاة من الجميع ، باستثناء تلميحات من العمدة ، مثل قوله : الجماعة

كرماء ولن يبخلوا على يتيمة مطلقة .

غادرت اللجنة البيت بعد أن أبلغت البرصاء عن عودة أخرى لمعينة جدران المنزل الطينية وتمتيرها

من قبل البلدية ، سيعاين المنزل ويُمتر جدرانه / المساح المختص.

يال كرم الله ، بين عشية وضحاها يغير الله من حال إلى حال ، هل صحيح أنني سأملك ملايين

، هل سأصبح غنية ، خواطر تتوارد عليها وقت غروب الشمس وهي تجهز دلة قهوة المسجد والتي

اعتادت أن تقدمها ليفطر عليها الصائمون المحتاجون ٠٠ صدقة تنوي أجرها لوالديها .

أعطت أحد أبناء الحارة الصالحين الدلة ملاً بالقهوة العربية وصحن صغير يحتوي على تمر نوع سكري ، لينقلها إلى المسجد ، وهذه عادة طيبة يمتاز بها أهل الديرة الخيرون في رمضان . جلست وسط المنزل بانتظار مدفع الإفطار والمروحة الكهربائية أمامها تلف رقبتها يميناً يساراً ، ترسل هواء بيت الطين البارد ، أذن المؤذن ، أفطرت وصلت المغرب ، حمدت ربها كثيراً ، التفتت إلى الملابس التي تبيعها في سوق الديرة ، قلبتها للحظات ، توجهت إلى المطبخ ، أمعنت النظر في أدوات صنع الفشار والأيس كريم ، حنت بحزن ، وكأنها استشعرت الغياب القادم عن هذه المهنة إلى الأبد ، مهن درت عليها أسباب الحياة الكريمة ، عن طريقها تواصلت مع خليط من البشر ، صغير وكبير ٠٠ امرأة ورجل ٠٠ صاحي ومجنون ٠٠ شهم ونذل ٠٠ كريم وبخيل ٠٠ معاكس ومشاكس ، تأصل الحذر لديها ، زاد الخبرات التراكمية ، تجارب جعلتها أكثر معرفة بهذه الحياة .

قررت أن لا تخبر أحداً حتى تتم العملية ، خوفاً من الحسد ، باستثناء الحسناء فهي ستفرح كثيراً لها ، أما أختها السببه يُسرى ٠٠ فلن تخبرها خوفاً من أن يصل الخبر إلى مسامع أم دحمان ، فتعطىها عين تحسدها ، تجعل الدولة تستثني بيتها من تثمان بيوت حي العجلية قاطبة ٠٠ أو تخسف بقيمة تثمان المتر بقرش بدلا من ألف .

ما أصعب انتظار الغنى وأنت فقير ، مرت الأيام تزحف كالسلاحفة ، والمسكينة تنتظر على أحر من الجمر ما سوف سيتم ٠٠ لكن لا أحد ، انتهى عيد رمضان وأتى عيد الحج ، ذهبت إلى بيت أختها يُسرى ٠٠ لتأكل من أضحيتها هي لوالديها ، التي دفعت قيمة شرائها من مالها الخاص ، وأعطته لدحمان لشرائها من حراج الغنم ، ولا نعلم حقيقة ٠٠ هل هي سالمة من العيوب الشرعية ، فالمكلف بالشراء رجل يؤتمن في الجهراء أما السراء فالله اعلم . عادت مساء ، أتى الغد وبعد الغد ٠٠ ولا أحد ٠٠ مر أسبوعان والانتظار مستمر ، قررت عدم السماح لنفسها بالانقطاع عن البيع بحجة الانتظار لشيء في علم الغيب ، باشرت البيع ، مر أسبوعان آخران دونما خبر ، إلى أن طُرق الباب عليها بعد مغرب ذلك المساء الربيعي ، طرقه البقال ، فتحت الباب له ، لمعرفة ماذا لديه ، أفادها :

- أن هناك مساحاً يحمل أدوات المساحة ، تردد على منزلك صباح أمس ٠٠ والصباح الذي قبله ، وأبلغني أن أخبرك أنه سيأتي صباحاً يوم الأربعاء ٠٠ لكي تكوني متواجدة وينهي مهمة المسح الفني .

أه ٠٠٠ قُرب تحقيق الحلم ، الملايين ليست بعيدة ، كلام العمدة قريب إلى المصادقية ، اليوم الأربعاء ، فتحت الباب على مصراعيه ، خوفاً من أن يأتي المساح في غفلة منها ، جلست في المجلس تنتظر .

طُرق الباب وهو مفتوح على مصراعيه مع مناداة لأصحاب الدار . لبست عباءتها وغطوتها بسرعة ، قابلت الطارق بترحاب وتحفي . ما هذا الشاب الأبيض ذو الشعر المصفف ، حليق اللحية والشارب ، بنطاله وقميصه نظيفان ، عطره فواح ، سلم عليها بخجل وهو يقول :

- أنا المساح صقر فارس جئت لأمتري البيت ٠٠ أليس عندك رجل أقابله ؟؟
- أالله يحييك ٠٠ لا يوجد رجل معي هنا ٠٠ أنا مطلقة وبيتمه الأب والأم وليس لدي أخوان ذكور .

خلع النظارة الشمسية التي كان يلبسها ، وأعطى ابتسامة صفراء ، ثم اتجه إلى الداخل بكل جرأة وهو يقول :
- لا مشكلة .

بدأ العمل بتكاسل ، صار يُمتر البيت غرفة غرفة ٠٠ جداراً جداراً ٠٠ شبراً شبراً ، والبرصاء تتبعه ، تقدم الشاي له بين وقت وآخر ، المساح يعطي وقتاً لشرب الشاي أكبر مما يعطيه لانجاز العمل ، حان وقت صلاة الظهر والمساح مازال مستمرا في العمل ببطء واضح .
- الآن وقت غداء والرجل لم يُمتر سوى مباني غرفتين ، لن أسمح له بالمغادرة حتى يكمل ما بدأ به ، البرصاء تتساءل وتقرر .

قررت إغراءه بطبخ غداء له ، يجعله لا يغادر ، عله يوافق ، لا بد أن تسأله دون أن يشعر أنه سؤال ٠٠ أو يعتقد أنها رشوة غذائية :

- الغداء سيكون جاهز بعد انتهائك من التمتيريا أخ صقر .

- ولو يا ستي ٠٠ مالها داعي كل ها الكلفة .

- ما هنا كلفة ٠٠ المهم تنجز كامل التمتير اليوم .

- حاضر ياستي نجزه اليوم ٠٠ رغم أن بيتك كبير ، إلا قولي لي ٠٠ شو حتعملي

بهاالملايين ؟؟

- أنت خلها تجي بس ، وبعدها ن فكر شو نعمل فيها.

ابتسم لاستخدامها مفردة شو ' الخاصة بلهجة أهل بلاده ، تناول الغداء وأكمل التمتير وغادر ، بعد أن تعهد للبرصاء ٠٠ أنه سيتابع الموضوع بنفسه ، لدى إدارة البلدية وكذلك عندما تحال المعاملة إلى وزارة المالية ، ولن يتخلى عنها كونها بلا رجل ، سيعقب على معاملتها لدى الرجال حتى تستلم الشيك .

شكرته ثم ودعته .

لم تستطع المكوث في المنزل ذلك المساء ، الفرحة تغمرها ، ذهبت إلى الحسنا بنت صاحبة المعروف في كل هذا ، بشرتها بقرار الحكومة تثنى البيت وأبلغتها عن عزمها أداء حجة سنوية بالإنابة وصدقة جارية ٠٠ تتوي الأجر فيهما لأم حسنا ، حبا وعرفاناً لها ، على ما قدمته لها يوم كانت حية ترزق ، وبعد مماتها .

تفهمت الحسنا منها هذا الشعور الطيب ، وأخبرتها أن هذه الأمور لم تغب عن بالها ، وهي أولى بالأعمال الخيرية التي تصل أمها بها ، وبدلاً عن ذلك تمنى على البرصاء أن تتصدق لأمها وأبيها هي ، وأن تحج عنهما إن هما لم يقضيا فرضيهما .

باتت ليلتها عندها ، وفي الصباح نقلها سائق الحسنا إلى حي العود حيث تسكن أختها السببة يُسرى ، لتبشرها بالتمين وتقضي يوم الجمعة مع البنين رجوى والمولودة الجديدة أمل .

اركب الحنطور واتحضر ٠٠

عودنا الصقر الذي يطير في السماء ، بانقضاضه على فريسته بسرعة ، عند صيده للحباري تحديداً ٠٠ يقتلها بضراوة ، ثم يأكل حاجته من لحمها ، ليركها بعد ذلك فطيس لمن يأكل الفطيس ، لكن المساح / صقر فارس غير ذلك ، صقر ينقض على الحباري بكلام ودود أن هو قابلها ، يرخي رأسه أن هو أتى إليها ليلفها عن ما تم في معاملتها لدى وزارة المالية ، صقر فارس / يحضر معه برتقال لبناني وعنب شامي في كل زيارة ، يهديها للبرصاء بكل تواضع ، علماً أنها لا تسمح له بدخول المنزل ، فهي تعي أن الخلوة مع رجل ليس ذي محرم حرام .

اليوم هو يوم التغيير ٠٠ يوم صيفه ساخن ، تحول بقدرة قادر إلى ربيع مزهر ، البرصاء استلمت الشيك وفيه مكتوب : ادفعوا بموجب هذا الشيك إلى السيدة يُمنى آل مقصعة القمل مبلغ وقدرة مليونان وسبعمائة ألف ومائة وسبعة وسبعون ريال وعشر هلالات .

يا سلام سلم ٠٠ على الأمانة في إعطاء الناس حقوقها ، حتى عشرة قروش لم يستطع أحد سرقتها. وهل يستطيع أحد سرقة البرصاء والصقر بن فارس موجود ، لا يفارقها قيد أنمله.

أشار عليها موظف البنك بأن تفتح حساباً جارياً لها لدى البنك ، وأن لا تنقل هذا المبلغ الكبير إلى المنزل ، خوفاً أن يكون عرضة للسرقة ، أيده في ذلك المساح / صقر فارس .

فتحت الحساب وطلبت أن تستلم منه خمسة آلاف كاش ، تريد أن تتمتع بالصرف الحر ، الصرف الذي من أهم سماته ، عدم المبالاة بالفقر ، ولا الخوف منه ، هذا النوع من الصرف ونعني الصرف الحر ٠٠ لا يعرفه إلا الأغنياء ، الذين أتاهم الغنى دونما عناء ، جاءت له باردة مبردة كما يقول المثل الشعبي ، حالة الصرف هذه تسمع بها الطبقة الوسطى سمعا ، لم ولن تعيش هذه الحالة ، حالة تجعلك ملك وأنت بلا عرش ٠٠ حكيم والحكمة منك براء ، ظريف وأنت الثقيل .

حصل الشيء المستغرب على النساء ، أصبحت المرأة البرصاء ٠٠ يُمنى ٠٠ مليونيرة ، والرجل / صقر فارس هو من يعمل لديها سكرتير ومستشار بنفس الوقت ، سكرتير متعاون ومستشار غير متفرغ ، يرافقها في حلها وترحالها ، بحجة المعرفة التامة بالتعامل مع المال وكيف يصرف ، لم يسافر إلى بلاده في إجازته السنوية ، يدغدغ المشاعر البورستيجية ، من خلال تعريفها

بأماكن لم تكن تعرفها ، كانت في السابق ، تعتبر بالنسبة لها ، فوق المستوى ، نوعا وتصميما وسعرا ، يجلب لها الكثافة والمشوي ، يثقفها بأنواع العطور والمصممين العالمين للموديلات ، حاول بكل جهد أن يحتويها وقتا وثقافة .

يقول علماء الاجتماع القرويين ، أنه عندما تكون الحالة القروية متجذرة في الإنسان ، يصعب عليه التخلص منها ، يحتاج إلى وقت طويل للانتقال إلى الرقي .

لم تمض أيام عديدة إلا وقد بدأ التشبع يتسلل إليها ، سئمت جميع وسائل الترفيه الحديثة ، التي تعايشت معها أخيرا ، خافت أن تصرف مبلغ التثمين على أمور لا طائل منها .

وجهت تفكيرها إلى تغيير وضع أختها السببة يسرى الاجتماعي قدر المستطاع ، الأهم الآن الإقلاع عن ممارسة مهنة غسيل الأموات وبأسرع ما يمكن ، لا بد من الإغراءات المادية لدحمان ٠٠ وأمه ٠٠ ويسرى إلى حد ما ، هذه الإغراءات هي من سيحسن الأمور .

يُشتري لدحمان أرض في الدخل المحدود ٠٠ ليأخذ عليها قرض من بنك التنمية العقاري ويبني له فله على الصامت في الدخل المحدود .

أم دحمان ٠٠ يُشتري لها نثریات بسيطة ٠٠ وبأوقات متلاحقة - حنا - غوايش - أشرطة سامري .

السببة يسرى لا تحتاج إلى إغراء ، فقد ملت من هذه المهنة المتعبة نفسيا وجسديا ، ولكن لا مانع من أن يُشتري لها ولابنتيها رجوى وأمل حُلي وملابس ٠٠ وإعطائها بعض السيولة .

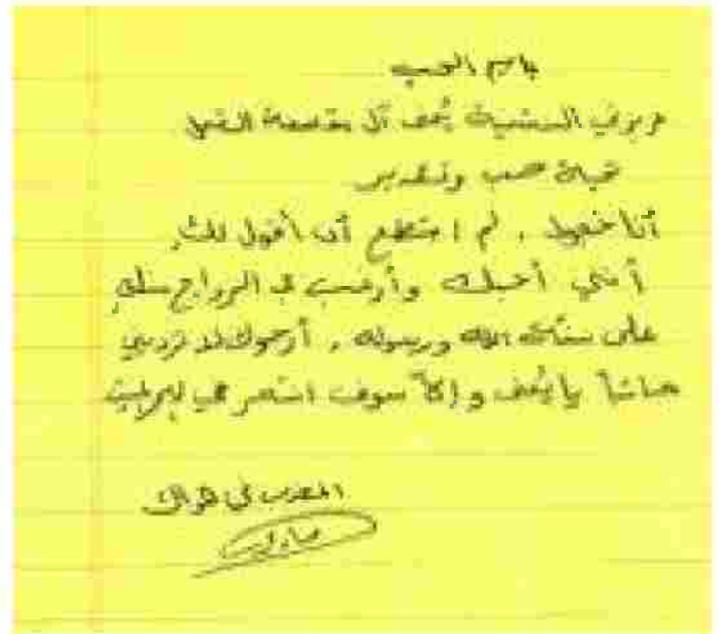
أثمرت الإغراءات وأعفيت السببة يسرى عن عملها بناء على ما قدمته البرصاء من مبالغ ، وبدأ دحمان في عملية البناء ، عملية ذكرتها بامتلاك مسكن ، بدأت تفكر جديا بشراء منزل حديث ، إن امتلاك سكن ميز ٠٠ هو المؤشر الرئيس على الغنى . أقلق الصقر هذا التفكير ، والقلق مبرر ، السيولة ستصرف بأغلبها على فيلا ، يكتب صك ملكيتها باسم البرصاء وهذا ما ينسف الخطة بأكملها ، الخطة الاجتماعية ٠٠ المالية ٠٠ الدولية ٠٠ الأمنية ، التي ظل الصقر يحبك تفاصيلها منذ اليوم الأول لرؤيته البرصاء ، عندما زارها للتمتير ، يوم عرف فيه أنها مطلقة ویتيمة وليس لها أخوان ذكور .

تسربت لنا ٠٠ ومن مصادرها الخاصة ابرز بنود هذه الخطة ٠٠ تقول الخطة :

” اجتماعيا ٠٠ تقرر الزواج منها .

” ماليا ٠٠ تقرر الاستفادة من رصيدها في البنك ٠٠ حتى لو اضطررنا للاستيلاء عليه .
 ” دوليا تقرر الهجرة وإياها إلى كندا والعيش فيها كمهاجر ٠٠ فالسماح للهجرة لديهم مسموح
 بها ٠٠ مقابل مبلغ من المال ، يدفعه من أراد الهجرة .
 ” أما الجانب الأمني من الخطة فسيظل سرا إلى ما شاء الله .

يجب البدء بتنفيذ الخطة فورا ، كتب رسالة مختصرة



بسم الحب

عزيزتي النشمية يُمنى آل مقصعة القمل

تحية حب واحترام وتقدير

أنا خجول ، لم أستطع أن أقول لك أنني أحبك وأرغب في الزواج منك على سنة الله ورسوله ،

أرجوك لا تردني خائبا يا يُمنى وإلا سوف أنتحر في البحر الميت .

التوقيع / المعذب في هواك / صقر فارس .

عَطر الرسالة وذهب بها إلى منزلها بعد ظهر اليوم التالي ، وهو الوقت الذي عادة ما تتواجد فيه

في المنزل

طرق الباب ،

أجابت :

-من عند الباب

قبل أن تفتح وبصوت هادئ لدرجة النعومة قال:

-يمنى أنا صقر ، خوذني هال رسالة كاتبها إليك ، مررتها من تحت الباب .

قالها ثم غادر على عجل وكأنه لا يرغب في معرفة ردة الفعل الأولية سلبية كانت أم ايجابية لمحت الرسالة مدخل عليها من تحت الباب .

فتحتها ، أه ٠٠ ما أحلى رائحة هذا العطر ، بصعوبة بالغة قرأت الرسالة ، هكذا هن خريجات محو الأمية.

بعد قراءة الرسالة سرح بها خيالها وهي له طائعة .

الأحمر الأمرد ”” بعد معيط ابن فنو الأسمر.

النظيف المعطر ”” بعد زعيط أبوخنز صاحب الرائحة الكريهة .

الشاب اللطيف ”” بعد الرجل الجلف يابس الدفش.

الزوج المطيع خير وأبقي من الزوج المتسلط .

مقارنات جالت في خاطرها وجعلها لا تتردد في القبول الآني .

الصقر حام حول الحمى ، أوقع البرصاء فيه ، قررت أن تستشير الحسنة ، بنت صاحبة الفضل الأول عليها ، فهي من يهتمها رأيها من دون البشر ، أم الأهل والأقارب فكما يقال: ضاع عمرك يا من أعطيته للأقارب .

الحسنة أجابتها بالقول :

-أن الموضوع يعود لك ، فان رأيت السعادة معه فاقدمي.

انقضى الأمر ولم يتبق سوى عقد النكاح ، والمرتبط شرعا بالولي صرّار ، صرّار الذي لن يكون عائقاً للزواج ، فرشوته بألفي ريال كافية لجعله يترك قريته ويأتي حبواً على الأقدام لعقد القران .

السببة يُسرى ، رأيها من رأي أم دحمان ، وأم دحمان لا تحتاج إلى أكثر من قلادة ذهب بخمسائة ريال وحناء يكفي لمدة سنة ، تتحنى به كل حفلة زواج تنوي الرقص والغناء بها ، عندها ستقنع دحمان لمباركة الزواج.

حلت جميع العضلات بالريال ، ثقافة استشفيتها من تعامل والدها في المزرعة ، مع البقرة والغنزة ، كان كلما أراد أن تتبعانه دون عناء أو رفض ، يأخذ حزمة برسيم في يده ، ويمشي للمكان المقرر أن يذهب بهما إليه ، تتبعانه والعيون تنظر إلى البرسيم .

تم حفل الزواج الذي أقيم في فندق سميراميس الواقع في في نهاية شارع البطحاء وبداية شارع المطار ، التكاليف بطبيعة الحال على المليونيرة .

أحيت الحفل ٠٠ الطفاقة عتوبه ٠٠ بمبلغ ألف ريال ، حضر الحفل لفييف من صديقات الحسنة ، بنات الزحازيح ، ومن حمولة الدفش حضرت السبهة يسرى ، والتي صارت تنادي يسرى الدفش وأغفل لقب آل مقصعة القمل تماما ، أم دحمان عمدت إلى دعوة موزة الفنو نكايه بها ، لتري كيف تغير حال البرصاء ، وأصبحت مليونيرة وزوجة لشاب وسيم ، اليابس لم يدع للحفل كرهاً له ، أما معيط فما زال يقضي عقوبة سجن صنع الخمر في مقبرة العجلية.

زف العريس للعروس وليس العكس ، دخل عليها في الجناح الرئيس في الفندق ، والمسمى جناح السعادة ، رغم أن غالبية الجيزات التي تمت فيه تنعم بالشقاوة ٠٠ وتنتهي بالطلاق ، أجبر العريس على أن يلبس ثوباً وغترة وعقالاً ومشلحاً ، العقال مائل ورقبة الثوب واسعة والمشلح طويل ويكنس الأرض من خلفه ، ولكن المهم وسامة من هو داخل هذه الملابس ، أسنان بيضاء وبشرة وجه ناعمة ، بعد حلاقة كاملة ، للشارب واللحية ، رائحة عطرة لا تمت لصلة برائحة دهن عود زعيط ، ولا دخون اليابس ، ناهيك عن رائحة معيط الكريهة .

ليلة ليست كالليالي ، كلام قيل فيها بهمس ٠٠ لم تسمع البرصاء مثله في حياتها ، باختصار جميع ما في تلك الليلة مميز .

ذهب إلى دورة المياه ، عاد يلبس روب قطني لونه كجلد النمر ، يحمل بيده ورداً طبيعياً كان يخبئه مع الروب ، قدمه لها ، لم ينتظر تشكرها ، رفع كأس العصير من على الطاولة ومده لها مع عبارة مبروك يا أجمل عروس ، أعجبت بالمشهد ٠٠ جلد نمر ٠٠ ورد ٠٠ كلام رقيق ٠٠ ، يبدو أن الصقر يريد الإيحاء بالقوة والرومانسية في آن واحد .

تذكرت وهي تراه بالروب ، ليلة دخل عليها زعيط أول مرة ، يوم علق ثوبه على مسمار في ركن الغرفة وجلس أمامها بفانيلة أم عسكري وسروال إلى الركبة .

تذكرت وهو يقدم لها الورد برائحته الفواحة ، رائحة الفكس التي غشت العيون قبل الأنوف وهي تتبعث من معيط ليلة الدخلة عليها .

تذكرت وهو يمد كاس العصير ما قام به يابس الدفش حين دخل عليها وهو يحمل إناء مليئاً باللبن ، يقدمه لها كي تشرب ، بعد أن شرب هو منه أولاً ، ووتجشأ ٠٠ ليس ببعيد عن الإناء . قبلت الورد بابتسامة عريضة ، راحت تشمه .

قصد الدولاب بعدها ، أخرج منه جهاز التسجيل ، وضعه على كومودينو السرير ، بجوار فيش الكهرباء ،

- هاه ٠٠ يا يُمنى هل أحضرت أشرطة على ذوقك ٠٠ تطربنا الليلة ٠٠ كما اتفقنا ؟؟
- نعم .

قامت وفتحت حقيبتها وأخرجت شريطين كاسيت ، اختارتهما هي بنفسها من مكتبة أم دحمان المنزلية ، فأم دحمان تملك مكتبة غنائية لا بأس بها ، بقايا عملها كطفاقة ، فهي أن اعتزلت الطق والغنى ٠٠ فهي لم تعتزل السَمع ، خاصة فناني الجيل القديم . قدمت له الشريط الأول ، والتي تعتقد أن كلماتها تتكلم بلسان حالها معه هذه الليلة ، رسالة مشفرة .

أدار جهاز التسجيل وإذ بفنان الصحراء يصدح :

طرقت باب الهوى أبتعرف عليه .

قالوا لي من عند الباب .

قلت افتحوا أنا شهاب .

٠٠ طاخ ٠٠ طاخ ٠٠ طاخ ، وهذا الحروف ، هي موسيقى تصويرية لطرق الباب ، يرددها الفنان بصوته .

فتح العريس صقر عينيه بشكل غريب وهو يستمع إلى الأغنية ، بينما ابتسمت العروس البرصاء ، ظنا منها أن العريس فهم الرسالة التي تريد توجيهها له ، من خلال الكلمات

- ولك إيش هذا يا يُمنى ؟؟ هذا تسميه طرب

بعجلة من أمره ، أخرج الشريط ، رمى به فوق السرير وهو يقول:

- أعطينا الشريط الثاني .

أعطته الشريط وأدار التسجيل ، صدح الفنان فتى الشرقية بأغنية :
من غلاتك قلت أبحطك خشير.

لين بانث غايتك يا عمنا.

كيف أصادق شخص ما عنده ضمير.

روح لا دمك يفسد دمنا.

اتسعت عيني العريس أكثر من المرة السابقة ، رافعا صوته هذه المرة:

- شو هذا يا يُمنى ؟؟ ٠٠ شو خشير ما خشير ، هذي أغنية ؟ أو عرض شراكة بقالة ٠٠ يا

يُمنى أنت متأكدة أن هذه الأغنية غزلية ، يتغزل فيها رجل بامرأة ؟؟

أُخرجت البرصاء حرجا كبيرا ، فقامت هي بنفسها بإخراج الشريط ، ثم طلبت منه أن يحضر

أشريطه هو ، قام وأحضر أربعة أشرطة ، أدار الأول إذ به دبكة مع أغنية :

خبطة قدمكم عالارض هدارة .

أنتو الأحبة وألكم الصدارة.

-أي صدارة تتحدث عنها ؟؟ ٠٠ دَرَسونا بالتاريخ ٠٠ بمدرسة محو الأمية أن الصدارة ، يوم

معركة اليرموك ، أيام خالد ابن الوليد ، ليست أيامك ٠٠ أنت وشاربك المحسن ، قالتها وكأنها

ترد على إهانتة لفنها الذي تربت عليه ، بغض النظر عن رداءة ألحانه وسفسفة كلماته .

لم يعلق على تهكمها على تحسونه لشاربه ، واكتفى بالاستغراب.

أخرجت الشريط وطلبت منه شريطاً آخر ، جلس يبحث عن شريط يرد عليه بعض كرامته التي

خدشتها العروس ، اختار الشريط وأدار التسجيل :

بالله تصبوا هالقهوة وزيدوها هيل .

واسقوها للنشاما عظهور الخيل.

والنشاما نلاقيها ونحييها .

ويلك يالي تعاديها يا ويلك ويل .

توجهت البرصاء إلى سلك المسجل الكهربائي ، ثم سحبتة من الفيش بقوة ، لفصل التيار

الكهربائي عن التسجيل نهائيا وهي تقول :

ياصقر ٠٠ من يقول قول كبير لا يفعله ، يسمى عندنا مهايطي ، لعنبوا شيطانكم الناس على طيارات ودبابات وأخذت فلسطين وأنتم ما زلتوا على الخيل وتشربون قهوة؟
أحس بحرج من تعليقاتها ٠٠ يفوق ما شعرت به البرصاء من تعليقاته على أغنية طاخ طيخ
٠٠ وأغنية أحطك خشير ، بدا ينتابه شعور بالخوف من هذه البرصاء ، فسرعة بديتها بالردود
تجعله يعيد حساباته في الاستهانة بها .

في صباح اليوم التالي انتقلت العروس إلى شقة الزوجية ، مسكن صقر فارس ، شقة صغيرة في
عمارة تقع في شارع الخزان ، مجاورة من الشرق للنادي العاصمي المشاكس ، استأجره العريس
والأجرة من مال العروس .

مرت الأيام الأولى ، الفارق المعرفي بدأت تظهر آثاره ، فالمعلومات الجديدة والمستغربة ، دائماً ما
تكون مدعاة للإقناع المباشر السريع ، معلومات عن السياسة وعن المرأة والأفلام والموضات
والاختراعات والقصص والروايات ٠٠ باختصار ، مخ الحباري يُمنى كمن في ظل شجرة عرفج
وسط وادي الاستسلام ، لا يغادرها خوفاً من فكر الصقر ، ما يقول صقر هو الصواب وغيره
لا ، حتى شراء الفلة التي كانت تتوي شراءها ، استطاع إقناعها بأن تؤجل ذلك إلى حين ، فهل
من المعقول أن يسكننا فلة راقية بنصف مليون وهما اثنان فقط ، ويجعلان هذا المبلغ يتناقص بعد
مضي سنوات قليلة ، الأوفر أن تدفع هي أجار الشقة التي يسكنانها في شارع الخزان ، أما
الرصيد فيربط في البنك يدر مبلغاً سنوياً .

ليت أحد أبلغها أنها تحوم حول الربا ، لكن لها تصرف آخر .

حياة زوجية وسمت بنظافة الأبدان ، نظافة أنعشت الزوجة التواقة إلى رجل نظيف ، في بدنه
ولسانه .

شهر غسل ، أمتد أشهراً عديدة ، صار سنة ونصف ، والاصقر ينعم بعسل الصرف الحر ، صرف
لا يرسل منه إلى أسرته في البلد المجاور أي شيء ، ما حدا البرصاء أن تسأله أكثر من مرة

- هل أنت مقطوع من شجرة ٠٠ ليس لك أهل تسال عنهم و يسألون عنك ؟

فيجيب :

- أهلي في قرية نائية لا يوجد لديهم بريد ولا تلفونات .

إجابة أقنعتها وجعلتها لا تبحث الموضوع مرة ثانية .

تمضي الأيام رتيبة ، والعروس المليونيرة ينتابها برود عاطفي ، ليس دائماً ٠٠ ولكنه في أغلب الأحيان ، برود لا يدفئه سوى الهدايا التي يقدمها صقر لها بين وقت وآخر ، هدايا يُدفع ثمنها من حساب المهدي عليها ، هنا يطبق صقر ٠٠ المثل الشعبي القائل ، (بقر وثيثيا يؤخذ منها ويجلب عليها) ، فحال البرصاء كحال صاحب البقرة في قرية وثيثيا ، يقوم الصباح ليفاجأ بأن بقرته سرقها اللصوص الغزاة من خارج القرية ليلة البارحة ، يذهب المسكين في الصباح ليجدها معروضة للبيع داخل سوق القرية ، فيضطر المسكين لشرائها بلا حول له ولا قوة ، فالغزاة أشداء ، يمكنهم أذيته أن عاجلاً أو اجلاً ٠٠ إن هو قال هذه بقرتي سرقت ليلة البارحة .

الحياة الزوجية مع صقر فارس لا طعم لها ولا لون ، لم تحدث فيها أشياء غريبة ، سوى أحلام تتكرر من صقر وهو نائم ، يتمم بكلمات غير مفهومة ٠٠ ماتت ٠٠ ماتت ، يتسبب بعدها عرقاً يبيل ملابسه ، توقظه البرصاء وتساءله فيجيب : إنه الجاثوم لعنه الله فتقتع ، هذا عنه ، أما عن البرصاء فتميزت حياتها في هذه المرحلة بمعايشة الحرمان من الضنى ، فبالرغم من توقفها عن تناول عشبة عزرت ، التي تمنع الإنجاب ، منذ طلاقها من اليابس ، إلا أنها لم تحمل ، تمنى أن تأتي بولد يحمل وسامة الصقر أو ببنت لا ترث منها البرص ، كلما أرادت من صقر أن يذهب إلى الطبيب ليفحص نفسه عارضها بحجة أن الأولاد من عند الله ، هل هو خائف من العامل الوراثي ، أم تراه جازماً بسلامته ، ذلك في علم الغيب .

هي خائفة من أن تذهب إلى الطبيب ، فأختها صيته عاشت كل حياتها إلى أن ماتت ٠٠ مع صرّار ٠٠ وهي لم ترزق بذرية ، العيب في أختها رحمها الله أم في صرّار ، الأمر سيان ٠٠ فكلاهما من عائلة آل مقصعة القمل .

أه ٠٠٠ احتمال العقم وارد جداً جداً ، مسكينة أنت أيتها اليمنى ، ليت الطبيبة الشعبية هلة لم تمت ٠٠ لذهبت إليها عاجلاً ليس آجلاً ، لتعالجك من العقم ٠٠ الذي صار يسكن روحك قبل رحمتك ٠٠ وتقولين لها إن من بدأ الحكاية ينهيها .

سافر وترجع يا حبيبي على خير ٠٠

المكان / حديقة الناصرية ، مكان تنزه الشوام.

الزمان / مساء الخميس ٠٠ والجو بديع .

الموضوع / بدء تنفيذ المرحلة الثانية من خطة الصقر.

صقر والبرصاء يتناولان الأيس كريم وأطفال الشوام يلعبون حولهما ، البرصاء تنظر إليهم بحسرة لا حسد فيها ، تود أن تُقبلهم ، الصقر يرقب سحابة الحزن ، سحابة لا تذهب أنى شاءت كما قال هارون الرشيد ، إنها تمطر رشات حزن فوق البرصاء صبح مساء ، والصقر مع رشات المطر هذه ، يعزف ألحانه على وترى حزنها ، وتردء البرص ووتر العقم ، عزف لا يُسمع أحد ألحانه ، لحن ينتظر الوقت المناسب ليعلن عن مولده ، ولكن إلى متى يا صقر ابن فارس أليس الجو الربيعي مناسباً الآن ، السببه يُسرى وابنتيها غادرتا الحديقة قبل دقائق ، والبرصاء تخفي يديها المبتعتين عن المارة خجلاً ، حسرتها على الأطفال واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار ، إلى متى ٠٠٠ الآن ٠٠ هل قلت الآن ستعزف ألحانك ، تفضل أيها الصقر .

- يا حبيبي يُمنى ، هناك سر أخفيته عنك ، أولاً حرصاً على مشاعرك ، وثانياً حباً في التضحية من أجلك ٠٠ ومن أجل العيش معك طول العمر ، والآن وبعد أن وفقت بإيجاد الحل لك يا حبيبي ، قررت أن أفشي لك هذا السر .

سكتت للحظات ٠٠ دنت منه حتى كادت ركبتهما أن تتلامسا وهما جالسان ، قالت :

- السر يخلصك أنت ٠٠ صحيح؟ ٠٠ ستقول لي عن أحلامك الليلية ٠٠ وعرقك الذي يتصبب من جميع أجزاء جسمك وتمتمتك غير المفهومة .

- لا يا يُمنى ٠٠ السر هو أنني عملت فحوص طبية بعد شهرين من زواجنا ٠٠ وأثبتت الفحوصات أنني سليم ، وقادر على الإنجاب ، والعيب يبدو أنه منك ، والحل يا يُمنى ٠٠ أن نذهب إلى كندا ، هناك طبيب مشهور اسمه / الفيس بروسلي ، يعالج العقم النسائي ، ربما يجد لك علاجاً ، وبنفس الوقت ٠٠ نخرج على الدكتور / مارلين مونرو ، المشهورة بعلاج البرص ، يقولون يا يُمنى : إن أسهل علاج في كندا ٠٠ هو علاج البرص ، لا يأخذ منك وقتاً سوى ساعتين ويزول ، وأنت تملكين ملايين ، لا بد أن تتسببي وتبحثي عن علاج ، لا بد أن تسافري وتغيري

جواً ، ومنها تتعلمين اللغة الانجليزية ، وبعدها تتكلمين الانجليزية كما الخواتم ٠٠ وإذا
رغبت ٠٠ أقمنا خمس سنوات ٠٠ كي يعطوننا الجنسية الكندية أنا وإياك.

صارت تقبض بكلتا يديها ، وكأنها تمسك بشي ، مفاجأة الفحص ٠٠ تلاها خبر سيء ٠٠
تلاه أمل ٠٠ وختم بتأكيد علاج لمرض أعابها منذ ولادتها ، وأخيراً ذكرها بما هو غائب عنها
وهو السفر الطويل ، وتغيير البلد والبشر وتعلم اللغة الانجليزية .

تزاومت الأمور في رأسها ، لم يتضح لها سوى أنها مليونيرة ويجب أن تعالج نفسها وتستمتع
بحياتها .

لم تفاجأ من موضوع العقم ، يبدو أنها مهيأة نفسياً له ، فجميع الأطباء الذين كانت تزورهم
في عياداتهم لمعالجتها من الأم الرحم التي تتنابها من مداومتها على أكل عشبة عززت ٠٠ المانعة
للإنجاب ٠٠ جميعهم حذروها ، من أن تتناول هذه الأعشاب ٠٠ ستسبب في مشاكل لها في الرحم
، وعليها بدلاً عن ذلك تناول حبوب منع الحمل إن هي لا ترغب في إنجاب أطفال من أزواجها
السابقين ، ولكن هل كان من الممكن مادياً توفير مبلغ شراء حبوب منع الحمل ، وأن توفر
المبلغ هذا الشهر هل سيتوفر في الشهر الثاني ، والشئ الآخر ، الذهاب إلى الصيدلية ، فهذا
ليس بالأمر الهين ، المسافة عائق والشكوك حول من يذهب إليها دون روثة ٠٠ عائق آخر ، إنها
مضطرة لانتهاج الحل الممكن ، وهو الذهاب إلى الطيبة الشعبية هلة ٠٠ وشرب الشاي في
صالونها العام ، وأخذ صرة ملاً بالعشبة التي تكفي لثلاثة أشهر ٠٠ وبمبلغ يسير، وتعيش بين
المطرقة والسندان ، إما أن يتوقف الطرق ٠٠ أو يضعف السندان ويعلن استسلامه ، والأخير
أقرب .

إمكانية علاج البرص خبر أفرحها ، عقدة لازمتها منذ الصغر وتتمنى الخلاص منها بأسرع
وقت ، فالانتقاص مر .

عزف الفنان صقر لهذين اللحنين كان عزفاً جيداً ، جعل روحها ترقص من الداخل ، لم تتردد
في الموافقة السعيدة :

- هل تقل ذلك صادقاً يا صقر ؟؟ ، ابتداء من بكرة ٠٠ نحزم فراشنا ٠٠ ونجهز حقيبتنا

ونسافر إلى الدكتور / الفيس بروسلي والدكتور / مارلين مونرو؟

-شو تحزمني فراشك ، ولك إحنا رايحين للحوطة ، اصحي ٠٠ احنا رايحين كندا ،
أمريكا الجديدة ، يعني فنادق ، يعني شاليهات ٠٠ فيها غرف نوم ، لازم تلبسين بناطيل جنز
بدل دراريك الفسفورية ، هاي ٠٠ الي بتذكرني بدراعة أمي عفينة العفافة
-اسم أمك عفينة وتهزأ من لون ثوبي الفسفوري ، أقول قم لا تخليني أخليك تلحق أمك ،
عند فليحان ومكاري(بطلتي مسلسل وضحا وابن عجلان).

عادا إلى الشقة ، استبشرت خيراً ذلك المساء ، غابت الكآبة عنها هذه الليلة ، النوم يداعب
عينها وهي ترفض ، أخيراً غلبها السلطان .

في صباح اليوم التالي استيقظ صقر أولاً ، لا يجرؤ على طلب إعداد الإفطار من الزوجة المليونيرة
، أكل تفاحة على عجل ، لم يذهب المساح إلى مقر عمله في البلدية هذه المرة ، توجه إلى
السفارة الكندية عدل ٠٠ كما يقول إخواننا المصريون ، طلب نماذج فيزا(تأشيرة دخول)
، بقصد الهجرة الدائمة لتعبئتها ٠٠ لم يطلب نماذج فيزا لطلب العلاج أو السياحة ، جمع من
الصالة الرئيسية للسفارة كل ما يمكن جمعه من البروشورات الملونة ، بروشورات لصور لمناطق
متفرقة من كندا ٠٠ التقطت بشكل احترافي ، تغري المتفرجين عليها بالحياة في كندا ،
مناظر طبيعية ٠٠ شلالات ٠٠ منازل ٠٠ سكان بشرتهم بيضاء كالثلج .

عاد مستبشراً ٠٠ رمى بالبروشورات أمامها وهي تشرب القهوة :

-متعي ناظريك يا يُمنى على هذه الصور لكندا ، انظري إلى الحياة العصرية ، شوي في

المنازل ، ما هو رأيك ٠٠ أليست أجمل من بيتك في العجلية ؟؟

-بيت العجلية خلاك تسكن شارع الخزان ، بعد ما كنت ساكناً مع عمال حديقة شارع

الستين ، بيت العجلية خلاك تملك سيارة بيجو ، بعد ما كنت تذهب لدوامك في البلدية كعابي

(مشيا على الأقدام) ، أقول ٠٠ خلنا من الصور وعطنا أخبار العلاج ٠٠ كم عملية احتاج

٠٠ وكم مدة الغياب عن الأهل والديرة ؟

-اتصلت أثناء تواجدي بالسفارة عبر الهاتف بالدكتور/ الفيس بروسلي وبالديكتورة /

مارلين مونرو، أكدوا أن الشفاء يا يُمنى مضمون ١٠٠٪ (لم يقل إن شاء الله).

قاطعته يُمنى :

-قل إن شاء الله .

- إن شاء الله ٠٠ بس قالوا لي مدة العلاج سنة لعلاج البرص وسنتان لعلاج العقم ، والعمليات يحددها الطبيب بعد الكشف ، وكل هذا يتطلب فيزا تسمى فيزا بقصد الهجرة ، فيزا مدتها طويلة ، ندفع لهم خمسة آلاف دولار كندي عن كل واحد منا ، ما يعادل المجموع ٤٠ ألف ريال ، وهذا لا ينقص من ثروتك ، فأنت تملكين الملايين .

وقبل أن تعلق على ضخامة المبلغ المطلوب لفيزا الهجرة وربما ترفض أن تدفع ، وعلى طول المدة الزمنية ، واصل بكل خبث حديثه :

- ٠٠ الله ٠٠ تخيلي يا حبيبتي أطفالنا يلعبون حولنا ، وتخيلي كيف هو وضعك إذا شفيت من البرص ، كيف ستكون يُمنى آل مقصعة القمل بعد أن تتعلم اللغة الإنجليزية ، تتكلمين الإنجليزية وأنت مستقلة سيارة الكاديلاك ، صدقيني ٠٠ كل من رآك سيقول ٠٠ هذه أميرة وليست يُمنى .

ابتسمت المسكينة للعبارة الأخيرة ، سبحت في بحر من الآمال الجميلة ، فوق يخت من المكر الذكوري المعلن ، أه ٠٠٠ هل من عاقل يخبرها أن صقر كذاب وأنه :

لا يكذب المرء إلا من مهانته / أو فعله السوء أو من قلة الأدب ٠٠ هل من عاقل يوقظها من هذا السبات ، اصحي يا يُمنى ، انتهيت من مكر البسطاء وأقبل عليك مكر الدهاة ، ستدفعين ثمن طفرتك المادية هذه ، أنت وكل من يعيش خلال هذه المرحلة الزمنية من شقيقاتك النساء ، ملايينك التي أتت من هدم بيت العجلية الطيني ستكون وبالاً عليك ، ستتمنين أنت وجيلك من النسوة لو أنه لم تكن هناك طفرة مادية في أنحاء العباد قبل البلاد ، صدقيني ستترين الطفرة المادية وقد تحولت إلى طفرة ذكورية ، ستفرز رجالاً ماكرين كثر ، وفي أكثر من مجال .

ففي المجال التجاري سيأتي مكارون رجال يمنعونك من البيع والشراء تاجرة كنت أم بساطة ، والمنع هذه المرة ليس كما تقول البلدية في السابق ٠٠ أن بيع المأكولات في البسطات أمام المدارس ضار صحياً ، المنع هذه المرة بحجة دينية ٠٠ بعيدة كل البعد عن العلم الشرعي الصحيح والعياذ بالله ، لن تبيعي كما كنت تبيعين في قيصرية السدرة على إخوانك الرجال يا أخت الرجال ، باختصار وبعبارة واحدة ستصبحين أخت النساء ولست أخت الرجال .

أما في المجال الاجتماعي فالحال لن يكون أفضل ، سيأتي مكارون يحرصون على عزلك أنت وشقيقاتك من نساء هذه الديار ٠٠ عزلاً تاماً ، فشرب الشاي والقهوة مع صرّار ودحمان

٠٠ وأكل الكبسة على صحن واحد ، يد تمسك الغطوة واليد الثانية تأكلين بها ، كل ذلك سينتهي ٠٠ وإلى الأبد ، أتعلمين ما هو هدف هذا المكر الرئيس ، إنه دفعك دفعا للزواج من البائر من الرجال ، دونما تمحيص فيه ٠٠ شكلاً ٠٠ أو فكراً ٠٠ أو حسن مظهر ، وأن اشتكيتن الحال لدى شلة العقد والحل ، سيتم التغليظ عليك ، ليصبح عزلاً عن البشر والحجر ، ومن ترفض هذا العزل من شقائقك سنجعلها من شقائق الشيطان لا شقائق النعمان.

حتى في المجال الرياضي ٠٠ هناك مكارون رجال أيتها البرصاء ، سيمتد مكرهم الذكوري الرياضي إليك ، سيقاتلون ليمنعونك من ممارسة أي نشاط رياضي، هواية كانت أم احترافاً ، حتى الجري الرياضي ستمنع عنه ، وأن تحججتن بما فعله الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وسباقه مع أم المؤمنين لعباً وانساً ، سيجدون ألف مخرج لذلك ، ولمعرفة الدوافع وراء هذا المنع توجهنا إلى أحد المتفرجين الذي كان يجلس لوحده في أعلى المدرج ، سألتناه عن رأيه في منع إدراج الحصة الرياضية في مدارس البنات وهل يؤيده ؟؟ ، أجاب بكل ثقة :

- الكرة بيضة إبليس .

سألتناك عن الحصة الرياضية وليس الكرة .

-اليوم حصة دراسية بدون كرة ٠٠ وغدا مباراة رسمية محلية بالكرة ٠٠ وبعد غد مباراة دولية ، وكلنا نعلم أن اللعب يختلجه مكر ، ملبسا وحركة واختلاطاً ، من يضمن أن لا يتحولن أمهاتنا وبناتنا وزوجاتنا وأخواتنا وعماتنا وخالاتنا إلى لاعبات ماكرات أثناء اللعب ، سيأثمنن أولاً ، وسيفسدن أخلاق المتفرجين المحترمين جدا ثانيا ، عندها لا ينفع الندم .

-اسمع أيها الخب ٠٠ لست بالخب ولا الخب يخدعني ٠٠ ألا ترى أنك الآن تصفق لأشهر ماكرين ٠٠ عفوا ٠٠ عفوا ٠٠ نقصد لأشهر نجمين مرا على الكرة في وطنك، وهذا ليس رأينا ، إنه رأي غالبية المحللين ، فالرجلان يعتبران وبلا فخر أحرف متعاملين مع المكر ، فذلك النجم الخلق ٠٠ صعد إلى المجد بأساليب عدة ٠٠ أهمها الضربات الجزائية الماكرة ، إذا تآزم الوضع مع المدافعين ٠٠ وصاروا سداً منيعاً أمام عبوره إلى المرمى ٠٠ لجأ إلى المكر الكروي ، صار يتساقط أمام الحكم وكأنه اسقط من المدافع الخصم ، أما النجم الثاني الماكر ، فهو من سما بمكره الكروي إلى الشهرة العالمية ، عبر تمثيل التعرض في منطقة الستة ٠٠ للضرب المبرح

، وإيهام الحكم ٠٠ أن هناك ضرباً متعمداً قُصد به شخصياً ، والدليل هذا الصراخ المدوي منه أثناء السقوط . لماذا تصفق للمكر هنا وتخافه هناك ؟

- وهل تقارن المرأة بالرجل أيها التغريبي - العلماني - الليبرالي - الحداثي ال ٠٠٠ ال ٠٠؟
ياربيه ٠٠ نسيت بعد ٠٠ هن تهم كثيرات ولكنني نسيته ، على العموم اغرب عن وجهي .
هنا غضبت إحدى المحللات الرياضية واسمها ريم رزق الله ، والتي كانت تشارك في حوارنا مع المشجع ، غضبت من صلف هذا المشجع وعبارة اغرب عن وجهي وتداخلت قائلة :

- يا متخلف ، تسمي الكرة بيضة إبليس ، طيب لما تفقس يطلع منها كرة تنس ، يا عمي
أتعبتمونا معاكم ، أنا أريد أن اسأل سؤالاً واحداً ، إيش دخل أهلك فينا ٠٠ نلعب وإلا لا ؟
- أخاف الفساد على مجتمعي .
- وهو المجتمع ملك أبوك لوحده .
- تأدبي يا فتاة .

- ترمينا بالفساد وتريدني أن أسكت ، أولم تقرأ قول الله عز وجل / **ومن يكسب خطيئة**
أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً / عليك أن تعرف أن الشرف مبدأ ، وثابت
من الثوابت عندنا نساء هذه البلاد ، تأتي أنت وتطعن فيه ولا تريدني أن أتكلم ، يا أخي
الرسول صلى الله عليه وسلم : سمع لهند بنت عتبة وهي تتساءل بين يديه ، بابي أنت وأمي يا
رسول الله ، لم يلجمها وهي تقول **أَوْ تَزْنِي الْحُرَّةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟**

- أنا لم أتهم أحداً بالزنا ، أنا أتكلم عن أن اللعب ٠٠ يؤدي إلى التكشف على الرجال ومن
ثم التخاطب معهم ٠٠ يا عزيزتي علينا أن نعترف ٠٠ أنكن تحبين التحدث مع الرجال .
- وما الغرابة في ذلك ؟ ٠٠ هل تريدنا أن نتحدث مع التيوس ؟؟ ، نعم نحب التحدث مع
الرجال فيما لا يغضب الله ٠٠ كما تحبون أنتم أن تتحدثوا إلى النساء ، هل تريدون أن لا
نتحدث إلا مع النساء ؟ ، قولوها بصراحة ٠٠ تريدون أن نصاب بمرض المثليات أيها المريض ،
توقفوا يا أخي عن التعامل وكأننا لا نرى إلا ما ترون ٠٠ وأنكم من يهدينا إلا سبيل الرشاد ،
الناس لم تعد دراويش ، لعمرى أنكم أنتم الدراويش .

- أنت تحتاجين إلى من يربيك .

انقضت عليه ممسكة بالقلم وهي تردد :

- أنت وأشكالك تربيني ، ربي نفسك أولاً .

ثم هوت عليه بالقلم لولا أننا أمسكناها ، صارت تتمم :

- دعني انهي حياته الفكرية

- دعني انهي حياته الفكرية - ما هذه الألفاظ ٠٠ هل نحن في زمن الانترنت؟ .

- أنت في زمن الكهوف المظلمة.

ثم تفلتت من أيدينا وانقضت عليه مرة ثانية ٠٠ تريد ضربه ، صاح قائلاً :

- امسك هذه المجنونة ، أنا لا أريد أن أتعارك معها والمسها بيدي ٠٠ فمن يضمن أن تكون

طاهرة ، فالزرع يفسد من لمسها كما ذهب إلى ذلك العسقلاني .

-ليه ٠٠ قالوا لك أنا نجسه ، ألم تتأدبوا بآداب الرسول صلى الله عليه وسلم في تعامله مع

أم المؤمنين عائشة وهي حائض ، بابي وأمي أنت يا رسول الله ، والله لو لم يردعوني عنك

لضربتك حتى تغير أفكارك البعيدة كل البعد عن الدين والإنسانية ، ثم أنشدت وهي توجه

إصبع سبابتها إليه:

يؤذي القليل من اللئام بطبعه / من لا يقول كما يقول ويلوم

تعوذي من إبليس وقولي شعراً أطيب من هذا

- هل تريدني أن أنشد لك ؟

أن النساء رياحين خلقن لكم / وكنكم يشتهي شم الرياحين

أو أضع يدي على خدي ٠٠ وأمسخ دمعي باليد الثانية وأغني:

فلأقعدن على الطريق وأشتكي / وأقول مظلوما وأنت ظلمتني.

سكت الجميع لبرهة ثم اخرج الغوغائي من جيبه ورقة وقلم وتوجه إلى ريم بالسؤال

- ما اسمك كاملاً ؟

أجابته بسخرية:

- ريم بنت شريفة .

أعاد السؤال مع التوضيح .

- أعرف أنك بنت شريفة ٠٠ أنا أريد اسمك الثلاثي .

- ريم بنت شريفة بنت رزق الله ،

- أبوك اسمه شريفة ؟
 - لا أمي .
 - وهل تتادى البنت بأسم أمها ؟
 - عند ربي يوم الآخرة نعم .
 - ولكننا بالدنيا أيتها الجاهلة ، على كل حال عرفيني باسم أخيك الأكبر لأعرف كنية أبيك واصل إليه ،
 - أنا المولودة البكر .
- وإن كنت البكر لن يكنى أبيك بك ٠٠ فشلتنا شلة العقد والحل ، لن تسمح لك ولمن ورائك من العيب بنهجنا الاجتماعي .
- يا غوغائي أنت ومن معك السبب في اندثار مآثرنا الاجتماعية الحميدة ، التي كانت من خلالها تجل المرأة وتحترم ، يفتخر بذكر أسمها على الملا ٠٠ وعند أي موقف عصيب ، تجد الرجل يستحضر اسم أخته من خلال ذكر اسمها **أنا اخو فلانه** ، وخير مثال على ذلك الزعيم المؤسس رحمه الله ، المكنى **بأخو نوره** ، ألا تتظنون أنت والمتخذقين معك إليه وهو ينتخي باسم شقيقته الكبرى والسيوف لوامع ، يفخر بها احتراماً وحباً وشموخاً ، ربط كنيته باسمها وعلية القوم من أهل الأشناب يرددون : **كفو ٠٠ كفو** ، لماذا هو يفعل ذلك ، وأنتم ما زلتم تكتبون على رقع دعوات الزواج ندعوكم لزواج كريمتنا ؟؟ ، لماذا لا تتادون الرجل بأبو فلانة ٠٠ أن كان اكبر خلفته بنتاً ، تقفزون بالكنية إلى الولد حتى لو كان رضيعاً ، لا تتظنون إلى النجاح والاستقامة في ذلك ، تجد البنت تحمل أعلى درجات العلم ٠٠ تصلي وتصوم ٠٠ والابن عرييد يحمل سلوك شاذ في كل شيء ، ومع ذلك تغيبون ذكر اسمها ٠٠ لماذا حتى لو كان ليس لديه أولاد ذكور ٠٠ تستجلبون اسم أبيه أو جده من المقابر ليلتصق به ، هل بعد كل ذلك يمكننا تصديقكم بان نهجكم الاجتماعي يزخر بالتقدير والاحترام لنا نحن النساء المسلمات ولا تفرقون فيه بين الذكر والأنثى ، لماذا تمارسون التقيا الاجتماعية في عدم إعلانها صريحة ، تستعيبون ، تستهينون وفي اغلب الأحيان تستتقصون .
- وقف مرتبكا من هذا الكلام المطعم ببعض الشواهد السياسية ، صار ينفذ الغبار عن ثوبه من الخلف وهو يقول :

- أنت أدخلتنا في السياسة ، وهذا ديدنكم أيها المستغربين ٠٠ إذا حشرتوا في زاوية القيم والأعراف النبيلة لمجتمعنا المحافظ ٠٠ تلجأون إلى الرموز الوطنية عل ذلك أن يقوي من حججكم ٠٠ اغربوا جميعا عن وجوهنا فنحن أهل الحظوة وانتم لكم الجفوة غربنا عن وجهه جميعنا ، بما فينا الكابتن ريم رزق الله ، محملين بتهمة التغريب ، تهمة لا نتشرف بها دينيا ولا ندفع بها حضاريا ، وليس لنا ما يساعدا على أن نكون من أهل الحظوة سواء ترديد إنا لله وإنا إليه راجعون ، وهل نجرؤ على غير ذلك ، يا لمهانتنا ونحن نردد بكل جبن مقولة عمر بن عبد العزيز (رحم الله امرؤاً عرف قدر نفسه فوقف عنده) .
ابتسم المشجع الناصح وصار يعدل تصفيطة شماغه وهو يرانا نغادر .

ولا زال للمكر بقية يا يُمنى ٠٠٠ أن مكر زوجك صقر أيتها البرصاء وخداحك في زواجك منه والتخطيط للاستفادة من أموالك في هجرته إلى كندا والعيش فيها بقية عمره ، معك أو بدونك ، مكر لا يختلف عن مكر ذلك المانع للبيع ولا عن مكر ذلك المستميت من أجل العزل ولا حتى عن مكر مشجعنا الغوغائي .
سأضيف لك من الشعر بيتاً يا برصاء ، هناك أصناف جديدة من أنواع المكر ستحل عليك مع الطفرة ، مكر لم يكن يعرفه جداتكن الأميات من قبل ، مكر محاسبي ومكر تقني ومكر قضائي ٠٠ ولك أن تتخيل أيضا ٠٠ أن هناك مكر جنائي ، مكر يمكن تجاوزا تسميته بالغدر الصحي.

زوجة من بنات جلدتك يا يُمنى ، تبرعت لزوجها الرجل بإحدى كليتيها ليعيش ، بعد أن عاش ، وبعد أن كان أقرب إلى الموت منه إلى الحياة ، أقنعها بأن تتبرع له ، مكر عليها بمقولة أنها حبه الأبدي ٠٠ عشمها بالوفاء الخالد ٠٠ بالعيش معها إلى الأبد دونما ضرة ، إلى أن انتزع تلك الكلية الطاهرة من ذلك الجسد الصادق ، لتلصق بذلك الجسد الماكر ، أتدرين ماذا عمل هذا الزوج ٠٠ وهو يتلقى التهاني بنجاح عملية زرع الكلية ، وزع رقاع الدعوة لحفل زواجه ، تزوج عليها بزوجة أخرى ، أحضر على رأسها ضرة ، لم تستطع المسكينة عمل أي شيء يرد عليها بعض كبرياتها وليس كليتها التي من المؤكد لن تعود أبدا ، فشلة العقد والحل من حوله

يدفعون عنه الضرر ٠٠ من أي ردة فعل نسائية ، ٠٠أبدوا تعاطفاً معها أقل ما يقال عنه دموع التماسيح .

نتساءل هنا وبكل مرارة ، ما الفرق بين سارق الكلية وسارق الأرزاق في البيع ؟ ، ما الفرق بينه وبين سارق الكرامة النسائية وحرقاتها التي شرعها الله عز وجل لها ؟ ، إنهم بين ظهرانينا ولا نحرك ساكنا ، يختبئون خلف أصابعهم وأنتم أيتها النسوة وللأسف الشديد لا ترونهم ٠٠ او لنقل بعضكن لا يردن أن يرونهم ، علي نحت المعاني من معادنها / وما ذنبي إذا لم تفهم البقر ، هل من عاقل قوم ، يقوم ببطح هذا الزوج الماكر ، ويقتلع كلية الزوجة من جوفه ويرميها للكلاب الضالة ، فتهدأ النفس ويرتاح خاطر .

يا برصاء ٠٠ إن ما يزيد الغيظ من جل الماكرين هؤلاء ، إنهم إذا حشروا في زاوية مكرهم يبررونه بالقول عن نساتنا : إنهن أهل الكيد العظيم ، ويستدلون بالآية الكريمة : **إِنْ كَيْدُكُمْ عَظِيمٌ** .

إن سمعت منهم ذلك في قادم الأيام ، أي بعد عودتك بإذن الله ، وتحديدًا بعد استفحال الطفرة الذكورية ، إن سمعت منهم ذلك ، فاطلبي منهم أن يتلوا الآية ٢٨ من سورة يوسف كاملة ((**فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُمْ أَنْ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**)) عندها سيتبين لهم أن هذه الآية لم تنزل في النساء عامة ٠٠ بل نزلت فيمن كاد بسيدنا يوسف عليه السلام بشكل خاص .

على العموم ٠٠ دعيمهم يمكرون يا برصاء ، فالله عز وجل يقول في سورة فاطر الآية ٤٣ ((**وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**)) .

قلنا لك كل ذلك أيتها البرصاء ٠٠ لتتعظي وتتحرري من المكر ، فزوجك صقر سينقلك ٠٠ جسداً ٠٠ وروحا ٠٠ ومالاً ، من شارع الخزان بجوار حلة العجلية إلى أحد أحياء قلب العاصمة الكندية ، وهناك فرق ٠٠ هناك يسمون الانحلال السلوكي ٠٠ حرية شخصية ، فحاذري من حرية صقرك الشخصية ، حذاري أيتها اليمنى البرصاء وقد أعذر من أنذر

Beech wood / مقبرة بيتشود



حان موعد الفراق ، يالهذا الفراق ٠٠ ولد معها ، الفرقة بالنسبة لها حتمية ، أزواج وأحباب وأطلال ، عاجلاً أم آجلاً ٠٠ حبا أو كرها.

تعيش حالة وداع مؤثرة وهي تقضي القيلولة الأخيرة في بيت أختها السببة يُسرى، قبل السفر إلى كندا بسويغات ، وداع يكاد يفطر قلبها ، لديها شعور أن السفرة ستطول ، وأنها ستحن لسماع رجوى ابنة يُسرى وحفيدة الطفاقة سابقا أم دحمان وهي تغني بصوتها الجميل أحلى ألحان أغاني الأعراس كما تغني الآن ، ستحن لمرقوق السببة يُسرى ٠٠ الذي أكلته للتو ٠٠ بشهية مفرطة ٠٠ لن تتسى فصفص أم دحمان المالح ٠٠ المائل أمامها صبح مساء ، تنظر إلى الزوايا وكأنها مرايا ٠٠ ستفادها ٠٠ ربما إلى الأبد ، إنها الغربية الأولى ، وإلى أين ، إلى بلد يقع وراء المحيطات ٠٠ أهله لا يتكلمون العربية .

وما يزيد الطين بلة في قلق هذه الرحلة العلاجية ٠٠ هو الوصف التشاؤمي الذي وصف فيه صقر عمليات معالجة العقم والبرص ، ونسبة نجاحها ، فبمجرد أن يقال للمريض أن هناك نسبة نجاح فذلك يعني أن هناك نسبة فشل والتفكير ينصب عليها ، حتى ولو كانت نسبة الفشل ضئيلة جدا.

قلقها انصهر مع حنينها ، دمعتها تطرق الباب .

ما الذي غير البرصاء يا ترى ٠٠ لتحن كل هذا الحنين لأسرة ومجتمع لطالما قسا عليها ، ألم تكن مشاعرها إلى وقت قريب أقرب إلى ما ذهب إليه الأمام الشافعي – رحمه الله تعالى حين قال:

ارحل بنفسك من أرض تضام بها / ولا تكن من فراق الأهل في حرق.

هل هو المال ؟ ، وعندما زاد ، أزال الأحقاد والمحاسبة ، أم هو فراق الوطن أرض وسكاناً؟ أنساها جروح الماضي ، أم هي نفسها المرهفة السامية بالحب الصادق والتي ولدت عليها ؟. ترقب الوقت من خلال متابعة الشمس عبر الشباك ، وكأنها محكوم بالإعدام ٠٠ ينتظر التنفيذ ، لا تريد الوقت أن يمضي ، لكنه الزمن يأبى أن يتوقف ،

ما ينفعك يا بوزيد يوم تقيمه / لا صارت الفرقى عليك لزوم .

حان وقت الرحيل ، ودعت بالدموع من قبل النساء ٠٠ أما الرجال وعددهم واحد والمسمى دحمان فكان غير مكترث بمن سيسافر ، فرح بتفويضه بالتصرف بأثاث شقة شارع الخزان وإعطائه مبايعة للسيارة البيجو ٠٠ والتعهد بإرسال أي مبلغ يحتاجه لإكمال بناء فلتة بالدخل المحدود ، التي لم يتبق على اكتمالها سوى بعض التشطيبات البسيطة .

صالة المطار تزدهم بالمسافرين ، صدع صوت المذيع الداخلي للصالة ينادي المسافرين إلى صنعاء ٠٠ بالتوجه إلى البوابة ، فز قلبها ، وهذا ديدنها عندما تسمع أي طاري لليمن وأهله ، تعوذت من الشيطان، بعدها نادى المنادي للمسافرين إلى أوتواوا عاصمة كندا التوجه إلى الطائرة ، صارت تمشي خلف الصقر، تتبعه كيف وأين دون سؤال أو تعليق ، أعطته كامل الصلاحيات ، الخيط والمخيط ، باستثناء المال ، فهو الوحيد الذي تحرص على معرفة أين يذهب كل ريال يصرف من حسابها في البنك ، لا تعطي مجالاً للخطأ أو الاحتيال عليها ، تذهب للبنك وتسحب منه مبلغاً يكفيها لمدة شهر "شهرين" ثلاثة أشهر" ، وأحياناً تسحب ما يكفيها لمدة ستة أشهر ، لا تتعامل بالشيكات مطلقاً ، فالفقر الذي عاشت فيه ٠٠ يذكرها دوما بقيمة القرش قبل الريال .

ركبا الطائرة الأمريكية نوع بوينج (Boeing)737 أول طائرات الجيل الجديد ، نفذت البرصاء برتوكولات الطيران بشكل جيد ، فالأسبوع الأخير قبل السفر، جعله الزوج صقر ،

أسبوع تأهيل وتوعية بالسفر ومشتقاته ، بما في ذلك تبيان ضرورة كشف الوجه ، فالمطارات العالمية لن تسمح لها بالغطاء ، ولتسهيل الأمر عليها عقائدياً ، أطلعها على فتاوى لعلماء من مذاهب أهل السنة والجماعة ٠٠ أجازت كشف الوجه .

اجتازت هذا التأهيل بنجاح ، باستثناء إصرارها على عدم التخلي عن لبس العباءة ، وليست ملامة في ذلك ، فالعباءة تستر كل ما يراد له أن لا يرى ، لدى النساء وكذلك لدى بعض الرجال.

اقترح عليها صقر أن تجعل فوق ظهرها بطانية بدل العباءة وتظهر أمام الناظرين الكنديين أنها تعاني من برد شديد وتتشد الدفء ، رفضت هذا المقترح رفضاً قاطعاً قائلة :

-وإذا نزل المطر، وامتألت هذه البطانية بالماء ، وهي فوق ظهري ، كيف أحملها ؟؟

منطق سليم ومبرر ومقنع لعدم جدوى وضع البطانية بدلا عن العباءة.

جلست على كرسي الدرجة الأولى المريح ، تذكرت وهي تستند ، استنادها على حافة صندوق سيارة القلاب الموجهة ، يوم أتت للعاصمة أول مره ٠٠ جزا الله التتمين كل خير - **تشكر** -

أقبلت مضيفتان جميلتان ، الأولى تحمل منشفة غمست بماء دافئ ، والأخرى تحمل عصيراً وقائمة من أنواع وجبات الطعام، أشكال وأنواع "طب واختار" ، هذا ما جناه التتمين ٠٠ تذكرت عشاء معيط ، الذي كان عبارة عن روب بالشطة مع خبزة واحدة ، يغيرا لله من حال إلى حال - **تستغرب** - .

ابتسمتا لها المضيفتان تذكرت ، تذكرت بالحال معيط وصرّار بوجهيهما العبوسين وهما يقدمان لها وأختها يُسرى ٠٠ وجبة عكرتي الضب تحت لهيب الشمس الحارقة ٠٠ أين هذا من ذلك - **تقيم الفرق** - .

تذكرت لون زعيط الأسمر ٠٠ ورائحة معيط الننته ٠٠ ودمامة يابس وهي ترى زوجها الابيضاني
” المعطر ” الوسيم ” صقر فارس ، يخال ذهاباً وإياباً ٠٠ يا رب لا تغير علينا - خائفة من
التغيير - .

هدوء ونظرات متبادلة بين الزوجين تلاه جدل شبه ساخن:

- شيلي العباءة واخلي غطاء الوجه.

- أموت ولا أعمل ذلك ٠٠ حرام يا صقر ٠٠ حرام .

- ألم أطلعك على فتاوى لعلماء شريعة ، مشهود لهم بالعلم ، تجيز كشف الوجه ، وأنت

اقتنعت ؟

- وأنت هل نسيت أننا مازلنا على أرض مطار العاصمة ٠٠ ويمكن أن يأتي لابس غترة ويراني

ويذهب ليخبر دحمان أو صرّار ؟

- لا خص لهما ٠٠ أنا زوجك ٠٠ وعندي غيرة ٠٠ وأنا سامح .

- يا رجال لو فيك خير ما حلقت شاربك ؟

غضب الصقر وعلا صوته وهو يقول :

- دعيك من شاربي ٠٠ الآن ٠٠ إذا لم تكشفني عن وجهك ٠٠ سننزل من الطائرة ونلغي رحلة

العلاج وتظلين عقيماً وبرصاء ٠٠ طول العمر .

تهديد أثمر ٠٠ شالت الشيلة وأبقت على العباءة ، كشفت الوجه وسترت الشعر ، تصرف

اضطرت له اضطراراً ، وإلا ٠٠ من كان يصدق أن تسمح البرصاء لأحد من الرجال أن يرى

وجهها المصاب بدأ البرص حتى ولو من بعيد .

تنظر إلى ركاب الطائرة هنا وهناك بخجل ٠٠ خجل يكاد يقطر ، خاصة الرجال .

حلقت الطائرة وأظلم الليل وهجع الجميع ، باستثناء من لديه فوبيا الطيران ٠٠ والبرصاء على

رأسهم .

الصقر لا يسج في نوم عميق ، يتمتم وهو نصف نائم ، يبدو أن الحلم المزعج قد عاد إليه أو كما

يسميه هو الجاثوم ، خجلت البرصاء من أناته التي سمعها كل من كان يجلس في مقاعد الدرجة

الأولى ، غرزت أصابع يدها الأربعة مجتمعة في جنبه الموالي لها ، تريد إيقاظه :

- قم يا صقر فضحتنا عند الركاب .

استيقظ وهو خائف ويردد :

- هاه ٠٠٠ ماتت ٠٠ ماتت.

- من هي التي ماتت يا صقر ؟

- لا ٠٠ لا ٠٠ هذا الجاثوم عاودني .

- أنت فيك بلا ، بلا جاثوم بلا كلام فاضي ، جاثوم يسافر معنا لكندا وبالطيارة

ودرجه أولى وهو ما عنده فيزا ولا قص تذكره .

- قالتها وابتسمت ، تريد تهدئة أعصابه ثم واصلت تعليقها قائلة :

- أول ما نصل كندا ٠٠ لازم تروح للطبيب ، هذا الأمر يتكرر ليلى ولا يمكن السكوت

عليه .

طلبت له من المضيعة كأس ماء ، شربه وعاد لينام ، أما البرصاء فصارت تتصفح المجلات

الأجنبية دون أن تقرأها بطبيعة الحال .

حطت الطيارة في مطار أوتاوا عاصمة كندا ، استغنت عن العباءة دون عناء من الزوج بعد أن

رأت النساء الشقراوات الحسان يعج بهم المطار وهن يستعرضن بخصورهن النحيلة وسيقانهن

المبرومة دون عباوات ، خصر وردف ولا يلتفت لهن أحد .

أبقت على الحجاب ونعني هنا غطاء الرأس وليس غطاء الوجه ، أبقت عليه بكل قناعة.

استقلا تاكسي أجرة ، سائقه عرف بنفسه ، يدعى هنري ، عمره لم يتجاوز الثلاثين ، من

أصول سويدية ، وسيم وسامة ولا في الخيال ، لونه أبيض على أحمر ، لم ترفع البرصاء النظر

من عليه إلا بعد أن قالت:

- وش ها السواق الزين يا صقر - حشا هذا ولد شيوخ ما هو سواق - الله يذكركم بالخير

يا زعيط ومعيط ويابس ، آه ٠٠ أنا اشهد إنا ما أعرسنا.

- استحي يا حرمة ٠٠ ما أنا رجال عندك ؟؟

- يا رجل لو فيك خير ٠٠ ما حلقت شاربك .

سكت ٠٠ كالعادة عند أي تعليق يتعلق بالشارب والرجولة ٠٠ ولم يغضب بل ابتسم.
وهم في طريقهم من المطار مروا بجوار مقبرة بلا سور ، سألت عنها صقر والذي بدوره أحال
السؤال بلغته الانجليزية المكسرة إلى سائق التاكسي .

أجاب السائق : أن اسمها مقبرة بيتشوود beech wood ويعود تاريخها إلى عام ١٨٧٣. حيث
تعتبر من أجمل وأقدم المقابر التاريخية في كندا. يرقد فيها حوالي ٧٥٠٠٠ من الكنديين منهم
الكثير من المحاربين القدامى وضحايا الحرب وأيضا أفراد شرطة الخيالة الملكية الكندية
وكثير من الشخصيات السياسية المشهورة.

أردفت بتعليق ساخر :

-والله أنني كنت أحسب ٠٠ هذه القبور طلبه صغار يقفون في ساحة مدرسة ٠٠ ثم ضحكت
بنفسها على تعليقها ، فالسائق كندي لا يعرف اللغة العربية ليتفاعل مع الطرفة والزوج يفتقد
إلى القراءة الجيدة لأي نكتة فما بالك بطرفة .

واصلت الكلام عن المقبرة متسائلة :

-طيب ٠٠ لماذا هي بلا سور؟؟ ، سيرى من يدخن بها ولن يخبأ بها الخمر!!، والكلاب لن

تستطيع المبيت بها !!

أجابها صقر المحترم :

-هنا يحترمون موتاهم .

- ترمي على تعاملنا مع مقابر موتانا يا صقر؟؟ إذا هم لم يحترمونا وهم أحياء فكيف

نحترمهم بعد مماتهم ؟ ٠٠ المهم ٠٠ عسى أن لا يكون السكن المخصص لنا مقابل لهذه المقبرة

٠٠ أرجوك يا صقر ٠٠ فقد سئمت السكنى بجوار المقابر.

-لا ٠٠ بين سكننا وبينها شارع .



توجهها إلى الفلة المؤجرة لهما من قبل مكتب شؤون المهاجرين في مقر السفارة بالعاصمة ، هذا المكتب يهتم بمن يسافر لقصد الهجرة فقط ، أما الزوار السياح فالمكاتب التجارية هي من يتولى حجوزاتهم .

حسب رصيدك في البنك وتحديدك أيها المهاجر لسقفك المادي ، يُقترح عليك موقع السكن ، وفي نهاية الأمر أنت من يحدد الاختيار ، أختير لهما فلة صغيرة ٠٠ في حي بيتشوود ، حي يعتبر من الأحياء الراقية ، حي يقع في قلب العاصمة الكندية أوتاوا ، تصل إليه عبر شارع سانت

لوران بولي فارد أو St. Laurent Boulevard

أعجبت بتصميم البيت الغربي وجمال ألوانه ، زاد من روعة منظرها الطبيعي ٠٠ الهتان الذي يهطل على الحديقة الخاصة بالمنزل ، ترى الأزهار الندية لحديقة الحي الرئيسية المقابلة وأنت جالس في صالة الفلة ٠٠ أمام المدفئة ، المدفئة التي أشعل صقر النار فيها بالعمد ٠٠ ليعمل جواً مثيراً ، أراحها الهدوء ، لأول مرة ترى الإضاءة ومصدرها مخفي ، يعطي للمكان منظرًا رائعاً ، العين لا تتعب من النظر ، إنه النور غير المباشر .
يا للروعة .

أنست المكان والبلد ، لم تخف ذلك ، بكلمات فيها من الجد أكثر من الهزل قالت:

-الظاهر يا صقر أننا لن نكتفي بخمس سنوات هجرة لناخذ الجنسية الكندية ٠٠ بل

سنعيش هنا طول العمر ٠٠ ونترك ديرة ٠٠ زعيط ومعيط ويابس وصليح لأهلها ،

- يا يُمنى ٠٠ قلت لك ألف مرة ٠٠ إياك أن تأتي على طاري أزواجك السابقين وأنا أسمع ،

وبعدين من صليح هذا ؟؟ من أين تعرفيه ؟؟ ما قصته ؟؟.

- يمه ٠٠ خوفتني يا أبو شارب منتف ٠٠ ياغيور.

تهكمت عليه ولم يعلق فرأت أن تجيبه على سؤاله:

- صليح هذا أقوى عرابجة قبيلة الأطفس ، نابت شاربه وهو في بطن أمه ، في جيبه الأيمن

بكت دخان أبو بس وفي جيبه الأيسر سلسلة وفي جيب الصدر مفك ، كان يحمي الباسطات عند

المدرسة من الصعاليك ومندوبي البلدية ، لو أهده عليك كان قلت يا ماما يا بابا ، تعلق فيني وخطبني من نفسي ، رفضته لأنه أصغر مني سنا .

- طبعاً لازم يتعلق فيك يا روي ٠٠ جمال وخفة دم .

- يا كذبك يا صقر ٠٠ أقول قم اكتب رسالة لأختي يسرى على عنوانهم ٠٠ مكتبة

هارون الرشيد شارع البطحاء مقابل مقبرة العود ، يصل ليد دحمان الدفش ومنه ليد حرمة المصون ، واكتب لهم عنواننا في كندا ورقم التلفون .

- لم لا نطلب من صاحب مكتبة هارون إيصاله ليد يسرى بنت آل مقصعة القمل مباشرة

بدلاً من ليد دحمان ومنه ليد حرمة ؟

- اسم المرأة عندنا ٠٠ عيب ٠٠ وعورة ٠٠ يجب ستره قدر الإمكان ، من الولادة إلى القبر .

لم يعلق ، بادر إلى كتابة الرسالة ، وهي ذهبت إلى غرفة النوم ٠٠ لتنام ملتفتة عليه وهي تحذر :

- يا صقر إذا الجاثوم سيعاودك الليلة ٠٠ فأرجوك أن تنام في الغرفة الأخرى .

أغلقت الباب بقوة ٠٠ وكأنها توجه رسالة عدم قبوله هذه الليلة ، ليسدل الستار على اليوم الأول

من الوصول الأول لدولة غربية .

مشوار بعيد / وأنا فيه غريب / والليل يقرب / والنهار روح 00

مرت الأيام الأولى بسرعة ٠٠ تمشي ٠٠ مطاعم ٠٠ حدائق ٠٠ ملاهي ٠٠ أسواق . كل هذا وهي تنتظر موعد الكشف عند الطبيب المختص بعلاج مرض العقم د/ الفيس بروسلي والذي حدد بعد شهر كما أفاد صقر أن صدق .

التحقا في هذا الوقت في معهد لتعلم اللغة الانجليزية .

هي تدرس في مستوى d حيث المستوى التعليمي الابتدائي الضعيف مخصص للطلبة الأجانب غير الملمين بمبادئ اللغة الانجليزية ، يبدأ التعلم بها من الصفر ، تعلم الأحرف نطقا وكتابة ، ثم يأتي تعلم الكلمات ثم الجمل ، الأمر يحتاج وقتاً كبيراً والبرصاء على استعداد لذلك حتى لو استدعى الأمر أن تظل سنين في كندا ، فتكلم اللغة الانجليزية حلم من الأحلام ، عشمها به صقر ولا بد من تحقيقه ، دام المال وفير ٠٠ والجوراء ٠٠ والأمل بالشفاء موجود ٠٠ حتى لو كان نسبياً .

صقر يدرس في مستوى C ، والقبول فيه يتطلب اختبار قبول ٠٠ للطلبة المتقدمين ، حيث يتطلب على المتقدم الإلمام بما نسبته ٣٠٪ باللغة الانجليزية ٠٠ وهذا ينطبق على صقر الحاصل على الدبلوم المساحي بعد الثانوية ، ويطمح في الحصول على البكالوريوس في المساحة .

وظفت البرصاء ٠٠ مديرة منزل ٠٠ تكون مسئولة عن المنزل وتعمل طباخه بنفس الوقت ، تأتي في الصباح وتغادر في الخامسة مساء ، تعاقدت كذلك مع شركة تؤمن لها التاكسي عبر التلفون بأي وقت ، عملت هذه التعاقدات لتتعم بالعيش الرغيد ، بناء على مقترحات تقدم بها صقر ، الذي لا يألو جهداً في طرح المقترحات التي تجعل منه برنسيسا ، المال وفير والحمد لله وجلد ما هو جلدك جره على الشوك .

مرت الأيام بسرعة ٠٠ غدا موعد د/ الفيس برسلي ، تعيش نوعاً من القلق ، هل تكتمل الفرحة هل ستصبح أمماً ، هل من وارث لهذه الملايين يخرج من رحمها ، يا رب ٠٠ تدعو الله أن يستجيب لها .

أخذها إلى مستشفى النبلاء ، وهو مستشفى خاص بعمل فحوصات للأثرياء ، دخلت على طبيب بلغ من العمر عتياً ، سألت صقر هل هذا هو د / الفيس بروسلي ؟

ابتسم الدكتور عندما سمعها وسأل :

what- (ماذا).

ارتبك صقر قليلاً ثم وجه حديثه للدكتور:

- زوجتي معجبة بالمغني الفيس بروسلي وتقول أن هناك شبهاً بينك وبينه .

تحولت ابتسامة الدكتور ألن مايك إلى ضحك وصار يردد وهو ينظر لها :

- thank you (شكراً لك) .

البرصاء لا تعرف لماذا الضحك ولماذا يشكرها ، وعليها أن تتعلم الانجليزية لتأمن مكر د / الفيس بروسلي وجماعته ، يجب أن تعمل بمقولة من تعلم لغة قوم أمن مكرهم ٠٠ أن الغربيين خبثاء حتى وأن كانوا أطباء يعالجوننا ، لقد تربت على النصح بعدم الأكل والشرب معهم وأخذ الحذر من التعامل معهم ، باستثناء الزواج من نسائهم ، فهذا جائز حسب الشرع الحنيف ٠٠ لا يمكن المزايدة عليه من قبل شلة العقد والحل ، فالرجل المسلم يمكن أن يتزوج مسيحية أو يهودية ، لكنهم يقولون لا يأكل معها ولا يشرب ، ينام معها نعم ، ينجب منها نعم ، يا لغباتنا ٠٠ ديننا السمع يجيز وهؤلاء يسعون حثيثين إلى المنع ونحن لهم مستمعون ٠٠ منصتون ٠٠ طائعون ٠٠ مبدلون .

قرصت صقر بيده وكأنها تقول: أن ضحكة الطبيب ٠٠ تخفي مكرًا ، انتبه يا بعلي العربي .

أشر بيده لها بأن اطمئني فالصقر العربي موجود .

التفت صقر إلى الطبيب وباختصار شديد وبلغة مكسرة تكلم عن مشكلة يُمنى الصحية ٠٠ ورغبتها بالإنجاب مهما كلفها الأمر ٠٠ من مال أو جهد ، يعتقد أن الإغراء بالمال يضاعف جهد الدكتور ألن مايك للوصول للعلاج ، لا يلام المسكين إنه مفهوم تربى عليه منذ الصغر.

تفهم الطبيب وضعها ثم راح يلاطفها بالابتسامات والإيحاءات التفاضلية وهو يجري الكشف الأولي لها على السرير ، كتب رويشتة ذكر بها الفحوصات والتحاليل والأشعة المطلوبة دون أن يبلغها بإفادة عن إمكانية الشفاء أو عدمه ، أعطاهما موعداً آخر لمراجعته بعد أسبوع .

هذا يعني أنها ستنتظر أسبوعاً ٠٠ لتعرف ما هي الأسباب التي أدت لعدم إنجابها ، وهل بالإمكان أن تتجب ، عادت إلى المنزل والقلق لم ينقص بل زاد.

تبقي زيارة الدكتورة مانرو مورو أخصائية علاج البرص ، يبدو أن الإقبال على العلاج عند هذه الدكتورة كبير، فالموعد الذي أعطي للصقر بعد ثلاثة أسابيع من الآن ، هذا أن صدق .

لا بأس ، لن تضجر من الانتظار ، فالاستمرار في تعلم اللغة الانجليزية يضيء على الأيام أهمية ومنتعة ، والإطلاع على طبيعة خلاصة يومياً ، يجعل الحياة بلا ملل ، والصقر في هذه الأثناء يلعب على عامل الوقت ، فكلما طالت المدة اندمجت الزوجة في المجتمع الغربي وبعد ميلها إلى العودة إلى الحياة الشرقية المتحفظة.

ليش ليش / ليش يا جارة..

ما بال جيران حي بيتشوود الراقي لا يتواصلون ، حتى السلام ٠٠ يا دافع البلاء لا يلقونه ،
يكتفون بإعطاء ابتسامة ، في أغلب الظن أنها ابتسامة صادقة ، حتى هذه العجوز المؤدبة
صاحبة الفلة رقم ١٢ ، لم يخطر على بالها محاولة التواصل مع جارتها البرصاء صاحبة الفلة رقم

١١

، لن تتصاع البرصاء لأسلوبهم الانعزالي ، ستزور جارتها العجوز اليوم الأحد وتتحدث معها
بحصيلتها المحدودة جدا ٠٠ من الكلمات الانجليزية ٠٠ التي تعلمتها خلال هذه المدة القصيرة ،
وإن تأزمت مسألة التفاهم فلا بأس من استعمال لغة الإشارة والاستعانة بلغة القلوب ، ستكسر
هذا الجمود في حي بيتشوود ، لم تعد تحتل اقتصار التخاطب مع صقر وبالترجمة مع الآخرين .

طرقت الباب، الرد الفوري أتى من الكلب، ينبج من الداخل وكأنه يقول من بالباب ؟

، فتحت العجوز إليزابيث الباب .

yes- (نعم)

- this my house ٠٠ يُمنى i am ٠٠ (أنا يُمنى وهذا بيتي)

وأشارت إلى منزلها .

ابتسمت العجوز وطلبت منها الدخول، ترددت في الدخول خوفاً من هذا الكلب الموحش المسمى
فوكس، ليته كان كلبة واسمها فوكسة ٠٠ لكان الأمر أسهل، على كل حال دخلت .

جلستا في الصالة ، كانت هناك على الحائط صورة معلقة للعجوز إليزابيث وزوجها ، التقطت
لهما فوق أحد جبال عُمان في إحدى رحلاتهما السياحية وبجانبيهما بعض المواطنين والمواطنات
العمانية ، وقفت البرصاء تتمعن بالصور ، العمرة والخنجر والوزار القصير ٠٠ لباس تراثي
لجنوب الجزيرة ، اعتقدت أن الصورة في اليمن ٠٠ راحت تتفحصها بالنظر العميق مع ابتسامة لا
تكاد ترى ، سرت العجوز لذلك وراحت تتحدث عنها دونما سؤال ، لم تفهم البرصاء منها
سواء ٠٠ هذه أنا ٠٠ وهذا زوجي ٠٠ والمكان في عُمان، وراحت تتحدث عن رحلتها السياحية التي
شملت كذلك اليمن .

ما أن أتت على ذكر اسم اليمين حتى صار قلب البرصاء يخفق بشكل سريع ، أغمضت عينيها
٠٠ حضر خيال عبده شايف أمامها بلمحة بصر ، تعوذت من الشيطان ، واتجهت إلى الكنب
المعد للجلوس وجلست .

الكلب فوكس يغض من بصره باتجاهها بكل أدب ، ربض بجوار باب المطبخ دون أن يقال له
اربض يا كلب .

ضيفتها الجارة بقنينة بيبسي كولا ، أحضرتها من الثلاجة مع كأس فارغ ٠٠ عبء نصفه
بالتلج ، البخار يغطي الزجاجاة من شدة برودتها ، سكبت البيبسي في الكأس ، ويمنى ترقب
وتحدث نفسها في تعليق على ضيافة هذه العجوز لها.

- الوقت شتاء قارس ٠٠ ونريد زنجبيل يدفئنا ٠٠ وهذه العجوز أحضرت زجاجة بيسي باردة
٠٠ وكأس عبء نصفه بالتلج ، الظاهر أنها عجوز مخرفة ، ما صدقت على الله أخلص من عجوز
القطيان أم يابس ، تأتيني عجوز كندا .

قطعت إيزابيث حبل أفكارها بالتعريف بنفسها ، كان تعريف صعبا ، فالتفاهم بين الطرفين
شبه معدوم ، لغة يمنى ضعيفة جدا جدا ، أستعين بلغة الإشارة ، فهمت بعد عناء أن العجوز
تستعد الآن للمغادرة للكنيسة لأداء الصلاة ٠٠ وبعدها ستزور قبر زوجها في مقبرة بيتشودود
المجاورة .

لم تشرب من قنينة البيبسي سوا شربة واحدة ، أنهت بعدها هذه الزيارة بشعوريين مختلفين ،
فرح وحسرة ، فرح بالتعرف على هذه الجارة الطيبة ، وحسرة من تذكيرها من قبل هذه العجوز
بزيارتها لكنيستها ، إنها لم تزر مسجداً طوال حياتها ، كم كانت تتمنى الصلاة في المسجد ،
بجانب إخوانها المسلمين من الرجال ، آه ٠٠ ليتها تعرف الخفيات الفقهية لهذا الأمر ، ليتها
سمعت عن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ٠٠ الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ﴾ لاتخذت القرار السليم الذي يقربها
من ربها .

عادت إلى منزلها ، فجأة تذكرت وهي تفتح باب بيتها للدخول ٠٠ أن أمها صلت في بيت الله الحرام ومسجد رسوله المصطفى ، والرجال موجودون ، هنا انتابها شعور من الداخل أن الصلاة في المسجد جائزة ، لا يمكن أن تمنع المرأة من بيت خالقها ، ابتسمت من الداخل ، لم لا ٠٠ فقد قررت الذهاب للحج والعمرة حال عودتها لتشكر ربها بالشفاء بإذنه .

دخلت غرفة النوم إذ بالصقير يشخر شخيراً يسمعه من كان بالحديقة المجاورة ، وبجانبه صورته مع البرصاء ، التي التقطت لهما في إستديو ذكريات ٠٠ بعد الزواج مباشرة ، اشترى لها برواز مذهب ووضعها فوق كمودين السرير ٠٠ يبدو أنه يستعرض وسامته ، لم يروسامة عبده شايف وإلا لما تجراً ووضعها ، صاحت به وهي تمسك البرواز وترمي به أرضاً :

- قم عساك القامة ٠٠ راجع البارحة للبيت آخر الليل ، ثم رميت بجسدك الفواح برائحة الثوم على السرير كالجثة ، بعدها أزعجتني وحرمتني النوم بجاثومك الأقرش و تردد ماتت ٠٠ ماتت ، إلى متى وأنت تردد هذه العبارة ؟؟ عليك أن تختار ، إما أن تخبرني ٠٠ من هي هذه التي ماتت ٠٠ أو نذهب أنا وإياك إلى الطبيب النفسي للعلاج .

عندما سمعها تتساءل عن من هي التي ماتت ، استيقظ بتناقل ، ولأنه يريد أن يصرف نظرها عن هذا الموضوع بأسرع وقت ، علق على موضوع السهر دون غيره قائلاً :

- ألف مرة أقول لك ٠٠ أنني ليلة السبت وليلة الأحد أذهب إلى كاي في شب بيتشوود ، يعني أسهر في مقهى ، وطلبت منك أن تأتيين معي وأنت ترفضين .

- كاي في شب بيتشوود لا تشرب فيه قهوة فقط ، يشربون فيه خمر ، وأنا ألف مرة أقول لك ٠٠ مكان فيه شرب خمر ما أجلس فيه ، ليه أخاطر بعمرى ، إذا تضاربوا هؤلاء السكارى بالقوارير ٠٠ تضمن ما تجي قارورة برأسي ، المهم ٠٠ ما جاوبتني عن موضوع الجاثوم ، -موضوع الجاثوم خاص فيني ولا أسمح لأحد أن يتدخل فيه .

- عجيب ٠٠ ما تسمح ٠٠ والله وطلع لك صوت يابو شارب منتوف ٠٠ وشلون خاص فيك وأنت تنام جنبى ٠٠ لعنبو شيطانك كل ليلة وأنت تخوفني ٠٠ توقضني من عز النوم ٠٠ ما كفانا

رائحة الثوم الفواحة باستمرار منك ، اسمع عاد ٠٠ اقسام بالله ٠٠ اذا ما تقول لي وش سألقة هالجاثوم وتترك عنك أكل الثوم ٠٠ أني ما أجلس في كندا معك ولا يوم واحد بعد العلاج ٠٠ انس شيء اسمه هجرة ودراسة ٠٠ ومن الآن وصاعداً لن تستلم مني دولاراً واحداً.

كان يهم بدخول الحمام وعند سماعه لهذا التهديد توقف فوراً .

ما الأمر ؟؟ يبدو أن هذه المرأة شبت على الطوق ، وبلغت الرشد ، وسوف تمضي فيما قالت ، كل شي ولا العودة إلى العالم العربي ، الوقت يمضي وهذه البرصاء لم تمكنه من المال ، آه ٠٠ لو تمكنه هذه الجاهلة من مالها لأبقاها في طوقها إلى أن تختنق وتموت ، المرحلة الثانية من خطته الحياتية تواجه صعوبات ، يجب أن يقرر ، عليه أن يقدم تنازلات صعبة وخطيرة بنفس الوقت ، يريد أن يختار ، ومثله لا يلجأ إلى صلاة الاستخارة ، سيلجأ إلى البار ، لتعبئة الطاسة ، ومن ثم يظهر له الاختيار الصحيح ، بصياغة من صديقه شوشو (الشیطان)، الذي يسري في شرايينه مع الكحول مسرى الدم ، التفت إليها وقال :

- حاضر ٠٠ الليلة وبعد عودتي من المقهى أخبرك عن الجاثوم .

لم تحتج على قراره الذهاب هذه الليلة للمقهى مع أنها ليلة اثنين وليست ليلة سبت أو ليلة أحد وهذا ليس له بالعادة ، ما دام أنه سيعقبها بالاعتراف بأسرار هذا الجاثوم الذي أقلقها من أول ليلة من زواجها به ، رمقته بنظرة القبول والانتظار ، لم ترد عليه .

أخرجت كتب تعلم اللغة الانجليزية والموضح بها الترجمة باللغة العربية وصارت تستذكر ما درسته خلال الأسبوع ، لم تستعن به هذه المرة للمذاكرة ، استبدلت ذلك بالاستعانة ببعض الصور التوضيحية ، طالبة مجتهدة ، تريد أن تتكلم الانجليزية بأسرع وقت ممكن ، ولكل مجتهد نصيب .

أقبل المساء والخواطر بها ما يكدرها ، نتيجة ذلك الجدال الحاد الذي وقع هذا الصباح ، تعطر الصقر بالعطر الذي وجده أمامه على التسريحة ، لمحته البرصاء ، صاحت به :

- ألف مرة أقول لك ٠٠ عيب الرجل يتعطر بعطر النساء وهذا عطري ، ألم أشرت لك عطراً
رجالياً أكثر من مره ٩٩ ، ألا تراه أمامك ٩٩

لم يرد عليها وغادر ، قبل أن يغلق الباب خلفه رمت البرصاء عليه بالعبارة الأخيرة :
- لا تتس تحذيري لك ، الليلة ستخبرني عن سر جاثومك ، وتمتتع عن أكل الثوم .
- حاضر ٠٠ حاضر.

قالها وأغلق الباب .

قضت وقتها تلك الليلة مقسماً بين زيارة الجارة إليزابيث في أولها ومشاهدة التلفاز في آخرها ،
لفت انتباهها تكرار عرض أغاني هذا المغني ، لا لأنه وسيم وأنيق ، ولكن بسبب تطابق اسمه
مع اسم طبيبها الذي تؤمل عليه بعد الله بالشفاء ، فقد عرفت اسمه من ترديد المذيع الداخلي
عند دخوله إلى منصة المسرح (الآن مع الفنان الفيس بروسلي) ، لا تفهم من الجملة سوى الاسم .

تأخر الصقر هذه الليلة ٠٠ الساعة تجاوزت الثانية عشرة ، لم يكن ينتظر في المقهى إلى هذا
الوقت .

- كل هذا شرب قهوة ٠٠ والله لو أن بطنه قرية قد ملاحا ، معقول صار يشرب الخمر هنا
في كندا ، عهدي به لا يشربه في العاصمة ، لماذا تعطر ٠٠ هل تراه الآن جالس مع إحدى بنات
كندا الشقراوات؟

تفكر بصوت عالي ، عن قلق وغيره ، غيرة ليست بالتأكيد ٠٠ سببها الحب ٠٠ ولكنهن
النساء .

لا بد من التأكد ، اتصلت بسائق التاكسي ليحضر ، طلبت منه أن يوصلها إلى المقهى ،
بالرغم من أن موقع المقهى قريب جدا ، يبدو أنها خائفة من الخروج في هذا الوقت المتأخر
وصلت المكان ، وقفت على باب المقهى .

- اووووففف ٠٠ ما هذا الظلام، لماذا الإضاءة عندهم بالقطارة ، كيف يمكن لأحد أن يتنفس في وسط هذا الدخان ؟؟ .

البرصاء تخاطب نفسها .

أخذت تحديق بالجالسين ، الطاولات جميعها شبه مشغولة ٠٠ ما بالهم يضحكون باستمرار ، هل هم سعيديون أم يتوهمون السعادة ، ما بال هؤلاء الرجال يستمتعون بوجود النساء مع احتساء الكحول فقط ٠٠ هل لكي تستغفلهم النساء عندما يثملون فتصبح القبيحة في نظرهم ملكة جمال ٠٠ والسمنية ريانة العود ٠٠ والنحيلة رشيقة ، أم لكي تختلط الأوراق فيصبح الكهل شاباً ٠٠ والغبي ذكياً ٠٠ والغلام نجماً ، الظاهرة التي تحتاج إلى الإجابة عليها في هذا الليوان ٠٠ لماذا النساء ينفثن دخان السجاير إلى الأعلى بينما الرجال إلى الأسفل .

هذا رجل وامرأة يجلسان ملتصقين ويهمسان لبعضهما البعض ٠٠ إنهما لا يكذبان على بعضهما بطبيعة الحال، هناك رجلان وامرأة يتحدثان بجدية ٠٠ يبدو أن هناك صفقة ، امرأتان جريئتان ورجل يبدو عليه الخنوع يجلسون على البار ٠٠ تكثر المرأتان الالتفات يمنة ويسرة ٠٠ هل تراهما تبحثان عن مُضيف ، في الركن الأيسر كهل يجلس لوحده يسخر من أبو العتاهية حين قال :
ألا ليت الشباب يعود يوماً / فأخبره بما فعل المشيب ، من ذلك الجالس بالركن الأيمن ؟ انه الصقر ، ومن هذا الشاب الأسود الذي يجلس بجانبه .

- الحمد لله أن من يجلس بجانبه ليس امرأة .

تحمد الله ٠٠ يوم رآته بلا امرأة، سعدت لذلك بقوة، لما لا تسعد وقد رأت زوجها بين نساء شقراوات، وقد عزف عن الجلوس مع إحداهن، هاهو يجلس بجوار شاب أسود لونه بشرته كالليل.

بهذه المناسبة الإخلاصية السعيدة ، سيتم صرف النظر ٠٠ عن التهديد بالعودة المباشرة إلى الوطن ٠٠ بعد انتهاء العلاج أن لم يتم الاعتراف بالسر ٠٠ وسيغض الطرف عن أكل الثوم ، ولن يكون هناك منع للمصروف ، ما أسرع تحولات مواقفك أيتها البرصاء .

رفعت يدها له وبادلها الرفع ، مشت بين الطاولات دون أن يكثر لها أحد رغم غطاء الشعر الذي تضعه فوق رأسها والذي تتميز به دون الحاضرات السافرات بشعورهن .

استقبلها صقر لدى وصولها الطاولة بالوقوف ، فرحا غير مصدق ، فقد غادر المنزل والأجواء متوترة ومطلوباً منه هذه الليلة اعترافاً بما يخفيه ٠٠ وانقطاعاً عن أكل الثوم ، والآن يبدو أنه تم تجاهل هذا الاتفاق .

سلمت عليه ، عرف الجليس الأسود بها دون أن يعرفها هي به :

- هذه زوجتي

رحب بها الجليس دون أن يقف ثم أعطى ابتسامة ظهرت من بين شفثيه الكبيرتين المتدليتين ، زادت فتحتا أنفه وهو يمد يده لمصافحتها ، سلمت وهي خائفة ، جلست بجانب صقر ، نظرت إلى كاس البيرة الذي أمامه ، أمسكته غير مصدقه ، شمته ، رائحة الكحول لا تحتاج إلى فطنة ، وضعته بسرعة فوق الطاولة بعد أن كاد أن ينسكب ٠٠ وقفت بلا شعور وباستغراب سألته:

- أين القهوة ٠٠ التي تقول إنك تشربها بالمقهى ؟ أرى أمامك كأس .

وقف بسرعة ، ثم دنا من إذنها ليوضح :

- هذه بيرة بدون كحول ، نوع كندي ، ورائحتها تختلف ، ضيفني بها الجالس معي ، صديقي جيسي ، هل ترغبين أن أطلب لك واحدة وتتذوقينها لتصدقين أنها بلا كحول ، مثلها مثل البيرة التي تباع عندكم في الديرة .

- لا ٠٠ لا شكرا تعرفني ما أحب أشرب البيرة ، طعمها مر.

إجابة أكدت قناعتها بمبرراته ٠٠ وتصديقها له دون تمحيص ، جرهما من ذراعها وأجلسها مكانها .

الأمور حسنة ، الزوج مخلص ويشرب بيرة دون كحول ، والجليس رجل وليس امرأة ، دنت من صقر لتحدثه :

- لا أستطيع التنفس ، بسبب دخان السجاير ٠٠ دعنا نخرج.
- عيب علي أن أذهب ٠٠ دون أن أكمل شرب بييرة صديقي جيسي .
- أذني ستتفجر من هذه السماعات ، صوتها عالي ومطربها يصرخ وكأنه يولول على ميت
- هذا ملك الروك الفيس بروسلي ٠٠ في أغنية **That's All Right** طلبها صديقي
جيسي .

- أففا ٠٠٠ عسى ما هو دكتورنا الفيس بروسلي الذي يعالجنا ٠٠
ارتبك ٠٠ تذكر كذبتة ٠٠ وبادر بالقول
- اسم على اسم يا حبيبتي ، وعلى العموم طالما أنك انزعجت من هذه الأغنية ٠٠ وعلشان
خاطر عينيك ، سأطلب من الديجيه الآن أن يسمعك مقطوعة كلاسيكية تهدي أعصابك .
قام وتحدث إلى المنى بار وعاد وقبل أن يجلس إذا بالمقطوعة الموسيقية الهادئة تبث أنغامها ،
أعجبت البرصاء باللحن ، اللحن ليس غريباً عليها :
- يا صقر هذا اللحن ٠٠ كأنها لحن سامرية : يا علي صحت بالصوت الرفيع / يا مرة لا

تذيين القناع

- شو بتقولي يا يُمنى ٠٠ شو يا علي صحت ٠٠ وقناع ما قناع ٠٠ أنت أنجنيتي ؟
- اللحن ٠٠ اللحن ٠٠ يشبه لحن سامرية يا علي ، أنا لا أتكلم عن الكلمات ، أنت لم تسمع
سامرية يا علي أصلاً.
- ولك من جدك أنت بتتكلمي ٠٠ الامريكان يسرقوا الحان سامرياتكو ، أنت جدباء ٠٠
ولك ؟

غضبت من وصفه لها بالجذب ، قامت ومشت وهي تقول :
- الأجدب والله جابته أمك ٠٠ أنا من شفت صديقك ٠٠ ها العبد أبو برطم ٠٠ وانا غاسلة يدي
منك .

ناداها لتتظر كي يرافقها ، لكن دون جدوى ، صفق بيديه بعضها على بعض محبطاً لهذه
النهاية المتوترة ٠٠ للجلسة الأولى له مع البرصاء في البار ، كان يأمل أن تؤسس هذه الجلسة
لمرحلة جديدة من التعامل ٠٠ أولها نسيان المطالب التي هدد بها ليلة البارحة ٠٠ وثانيها جرّها إلى
هذه الأماكن ، لربما ضعفت في وقت من الأوقات وصارت مودرن (عصريه) ٠٠ ترفع الكأس
وتقول بصحتك cheers.

غادرت البار بسرعة وكأنها تهول ، لتستقل التاكسي الذي ينتظرها في الخارج، وتغادر
المكان على الفور.

دخلت المنزل ، استندت ترمس القهوة التي حمستها وصنعتها بنفسها مغرب هذا اليوم ، راحت
تحتسي الكوب تلو الكوب، وهذه الحالة القلقة تعيشها عندما ترى أنها أهينت بعد إكرام، أه
٠٠ ليتهأ أحضرت معها من الديرة ٠٠ فناجيل للقهوة وهيل ، لصار للقهوة طعم آخر ٠٠ يؤدي
الغرض عند القلق.

بعد ربع ساعة سمعت صوت الباب وهو يفتح ، إنه الصقر ، عاد إلى المنزل ، يبدو أنه لم يُكَمَل
شرب كأس بيرته ، تبعها بعد أن غادرت البار مباشرة ، يرغب في إصلاح ما يمكن إصلاحه .
اقبل عليها بتردد ٠٠ وبلسان بطيء الحركة ٠٠ يتلكأ في إخراج الحروف ٠٠ قال .:
-السلام على الحبيب الزعلان .

-الله لا يسلم منك مغمز إبرة ٠٠ هذا رد الجدباء عليك ٠٠ ليه جئت لبيت الجدباء
-شوها الكلام يا حبيبي ٠٠ انا جئت لبيتي .
-أقول صحيح هو بيتك ٠٠ بس ترى المسجد أدفا لك (طرده لينام في المسجد)
-شو بتقولي يا يُمنى ؟ ما فيه مساجد هنا أنام فيها ، تعوزي من الشيطان وخلينا نتفاهم
٠٠ أنت حبيبي وحياتي يا أجمل بنت في ها الدنيا ٠٠ واللي تريديه يصير .
بدأ الانفعال يضعف لديها وهي تستمع إلى كلماته الرقيقة ، لكنها لا تريده أن يشعر بذلك ،
ردت بحزم :

- قبل ما أسمح لك تجلس ونهني الزعل ، تخبرني عن أسرار جاثومك ٠٠

- حاضر ٠٠ اسمحي لي أن أبدل ملابسي وأعترف لك بأسرار هذا الجاثوم
- بسرعة أنا بانتظارك .

ملأت كوب القهوة وهذه إشارة إلى استعدادها لترقب قولاً مهماً .

أقبل وقد لبس الروب المصنوع على شكل جلد النمر والذي لبسه أول مرة ليلة زفافه منها ، قديم
نعم ٠٠ ولكنه ذو قيمة معنوية لديه ٠٠ يذكره بالقوة ، لا يُلبس هذا الروب إلا في المناسبات
الرسمية ، جلس بجانبها ، أمسك يدها بالقوة وهي تسحبها منه ، قال :
- عديني ٠٠ أن يبقى هذا الكلام، الذي سأخبرك عنه، سراً بيني وبينك، فهو يمس
الأعراض.

- أعدك .

قصد أن ينظر إلى الأرض ٠٠ صار يعرك عينيه بيده ٠٠ يريد أن تدمع وهي لا تريد، ثم بدأ
بسرده ما يقول بصوت كأنه حزين.

- من كنت أردد هل ماتت في الحلم ٠٠ هي أختي، وقد قتلها والدي ورمها في البئر
٠٠ حفاظاً على شرف العائلة .
فتحت عينيها وهي تقول :

- هُوَ ٠٠ هُوَ ٠٠ ياكبرها عند الله ٠٠ أب ٠٠ يذبح ابنته ٠٠ وش سوت؟

- كانت تحب ابن الجيران .

- وإذا أحببت ابن الجيران ٠٠ يقتلها ويرميها في القليب ٠٠ لو كان كل بنت ٠٠ أحببت ولد
الجيران ٠٠ ترمى بالقليب ، كان شفت كل القلبان مليئة ببنات الناس.
- ليس حب فقط يا يُمنى ٠٠ كان هناك مقابلات ، أفادنا المؤذن أبو عتلة ٠٠ أنه رآه قبل أذان
الفجر ٠٠ يعطيها رسالة عند الباب .

- أنت أعطيتني رسالة ، ولا قتلوك عائلتي آل مقصعة القمل ، بالعكس تزوجتك ، أنتم
صاحين ؟؟ ما صارت هذي ٠٠ من استلم رسالة حب ٠٠ يذبح وينطل بالقليب ؟
- أنا يوم كتبت لك رسالة ، كان هدي معك يا حياتي نبيل، أما ابن الجيران مع أختي،
كان هدفه تلوخ شرف العائلة الرفيع، والضحك على بنت جاهلة ٠٠ عمرها ١٥ سنة.
- من جدك أنت تتكلم ٠٠ عمرها ١٥ سنة وقتلها أبوك بسبب حب ورسائل .

- نعم ٠٠ كل شيء ولا الشرف .

- والناس والحكومة والشرطة ٠٠ وبينهم عنكم ؟

- يا عزيزتي نحن شعب نحارب الرذيلة ٠٠ والحكومة عجزت عن إلغاء مادة القانون التي تمنح حكما مخففا لمن يقتل دفاعا عن الشرف ، نتيجة رفض مجلس النواب والقوى العشائرية والإسلامية المحافظة ٠٠ تعديل هذا القانون ، أما الشرطة فقد باشرت الحادث وأحيل إلى المحكمة وحكموا عليه ستة أشهر سجن ، ومثل هذا الحكم معروف مسبقا لدينا لمثل هذه الحالات .

- سجن ستة أشهر فقط على جريمة إزهاق روح ٠٠ هذا حكم قرقوش ، طيب ٠٠ ولد جيرانكم ٠٠ هل قتلتموه مع أختك .

- لا ٠٠ إحنا مجانين نقتله ، لو قتل أبوي ابن الجيران ٠٠ لحكموا عليه بالإعدام .

- يا سلام ٠٠ الحكم على قاتل الفتاة المعشوقة ستة أشهر ٠٠ أما الحكم على قاتل الشاب العاشق إعدام ، ما أقول إلا ٠٠ الله يعز الإسلام والمسلمين ، طيب ٠٠ أمك ما هو موقفها؟
- زغردت ٠٠٠ لا تتخيلين يا يُمنى كيف كانت فرحانة ، ما هي لوحدها ٠٠ البيت كله زغرد ٠٠ فرحانين بغسل العار وأنا أولهم.

- وقفت غاضبة وهي تنتفض ، حملت ترمس الشاي والكوب وهي تردد بصوت عالي :
- تزغردون يا قتلة ٠٠ ودك والله من يرمي أمك وأبوك وأنت معهم في محرقة اليهود أفران هتلر" ٠٠ لا أشوفك في غرفتي ، أنت تعرف أن الراضي بالجريمة كالفاعل.
- هذه جريمة شرف ٠٠ جريمة محمودة عندنا يا يُمنى .

أغلقت باب الغرفة بقوة دون أن تعلق عليه

مرت الأيام التالية وهي لا تحدثه إلا قليلاً ، يخرج ويعود ٠٠ تخرج هي وتعود ٠٠ لا أحد يسأل عن الثاني ٠٠ إلى أن حان موعد مراجعة الدكتور ألن مايك استشاري أمراض النساء والولادة ، ذكرتها بهذا الموعد الخادمة ومديرة المنزل ٠٠ التي من ضمن مهامها التذكير بالمواعيد ٠٠ تعتقد أن البرصاء قد نسيت الموعد ، لا تعلم أنها تعد الساعات وقبلها الدقائق ، لم تشكرها على تذكيرها للموعد ٠٠ فهي عاتبة عليها لعدم إعطائها إجابة شافية عن أسباب فقدان بعض

الملابس الخاصة للبرصاء ، التي بدأت تلحظها في الآونة الأخيرة ، ملاحظة لم تدقق بها البرصاء كثيرا ٠٠ كرمأً منها ٠٠ فجميع الملابس التي تفقدها يكون قد مضى وقت عليها ٠٠ ولبستها أكثر من مرة ، تقول في قرارة نفسها ٠٠ خادمتي مخلصه في عملها ولطيفة في تعاملها ٠٠ ولا تمل عن تساؤلات البرصاء اللغوية لها ، ما الضير بأن تأخذ وبلا رجعة ٠٠ حاجتها من ملابس سبق وأن استعملت ، فحرامي الحاجة محتاج ٠٠ وليس حرامي .

مراجعة الطبيب اليوم فرصة سانحة لتلطيف الأجواء ، هذا ما رآه صقر:

-اليوم موعد مراجعة الدكتور يا حبيبي .

-لو سمحت لا أريد أن أسمع هذه الكلمة منك مرة أخرى ٠٠ فالحب لا يعرفه من يزغرد

للقتل المتوحش ، ولأقرب الناس له ، دعنا نذهب دون كلام .

دخلا عيادة الطبيب ، صار الطبيب يقلب أوراق ملفها ، يقرأ التقارير بإمعان ، توجه لصقر بالحديث أولا ، يخبره عن نتائج التحاليل ، بدا في الإيضاح ، لم تفهم البرصاء شيئا من ترجمة صقر الرديئة ، فلغته الضعيفة لا تؤهله لأن يترجم بعض المفردات والمعاني الصحية ما دعا البرصاء إلى طلب مترجم المستشفى المتخصص ، أحضر المترجم وفهمت منه ما يلي :

ظهر أن البرصاء كانت تعاني من تلف في خلايا الرحم ٠٠ شفيت منه قبل مدة دون علاج ، آثاره تمنعها من الإنجاب مدى الحياة ، يبدو أنها كانت تتناول علاجاً لمنع الحمل لا يناسبها ، أدى ذلك إلى العقم ، عليها أن تشكر الله كون هذه الخلايا لم تتحول إلى سرطان ، أما السؤال هل هي عقيمة في الأساس ، فالإجابة لا ، وإنما أصبح رحمها غير قادر على أداء دوره ٠٠ بسبب موت هذه الخلايا .

تذكرت عشبة عززت ٠٠ المانعة للإنجاب ، التي داومت على تناولها فترة زيجاتها الثلاث كلها ، رفضا للإنجاب منهم ، حسبي الله عليك أيها الولي صرّار ، أنت السبب في تزويجها زعيط ومعيط ويابس ، رحمك الله أيتها الطبيبة الشعبية المخلصة هلة ، رحمها الله مرة أخرى ٠٠ فقد حذرته مرارا وتكرار ٠٠ أن لا تستمر على أكل العشبة ٠٠ ولكن البرصاء لم تكن تكثرث لقد أسمعت لو ناديت حياً .. ولكن لا حياة لمن تنادي

لم تتأثر كثيرا وهي تسمع هذا الكلام، فعدم إمكانية الإنجاب خبر استشعرته مسبقا ، إلا أن العبارة الأخيرة التي قالها المترجم من أن العقم لم يكن موجوداً في الأساس أعطاهما بصيص أمل وجعلها تسال الطبيب :

-ألا يوجد علاج لإعادة الحياة لهذه الخلايا في الرحم ، طالما أنني لست عقيماً ؟
-طيباً ٠٠ لا يوجد علاج، ولكن ربما يمكن الشفاء عن طريق الطب الصيني، فالعلاج بالإبر الصينية أثبت نجاحه في إعادة الحياة لبعض الخلايا التالفة.
شكرت الطبيب على نافذة الأمل التي فتحها لها في العلاج الصيني، فالمال موجود والصين تصلها الطائرات .

عادت إلى المنزل كما غادرته ، خليط من الأمل واليأس ، تردد بين وقت وآخر ما كانت تردده أمها : **إذا ما طاعك الزمان طيعه** ، أما الزوج فيبدو انه أقرب إلى السعادة منه إلى الضجر من هذا الخبر، فهو لا يرغب أحداً مشاركته التمتع بصرف هذه الملايين إن عاجل أم آجلاً حتى لو كان من صلبه ، فتح لها الباب وهو يقول :

-ولا يهملك يا عمري ٠٠ من بكرة أروح على السفارة الصينية وأسألهم عن العلاج الصيني.
لم تجبه ، توجهت إلى غرفتها ، توضأت وصلت ودعت ربها الشفاء .

قضي الأمر في علاج العقم ، تأمل أن لا يكون المصير نفسه لعلاج البرص ، العلاج الذي إن تم سيحررها من عقدة لازمتها منذ طفولتها ، العقدة التي أصابت مشاعرهما في مقتل ٠٠ مرات ومرات ، تبقى أسبوع على إتيان موعد الدكتور / مانرو مورو أخصائية أمراض الجلد ، والمعروف عنها معالجة البرص ، قضت نهار كل أيام هذا الأسبوع ٠٠ في معهد اللغة ، أما مساءاته ٠٠ فقضتها بين زيارة للجارة إليزابيث وبين عمل جولة للمدينة هنا وهناك ٠٠ عشاء في مطعم ٠٠ جلوس في حديقة ، جلوس لوحدها ، لم تعد ترغب في مشاركة صقر لها في الخروج للترفيه ، قرار اتخذ بقناعة بعد ذلك اليوم المشؤوم الذي كانت ترغب وتعتقد أن يكون يوم سعيداً ، يوم اقترحت على صقر أن يخرجوا إلى البر ٠٠ ويدعون معهم إليزابيث وكلبها فوكس الذي لا تستغني عنه وابنتها وزوج ابنتها ، رداً على كرامة إليزابيث لهم ٠٠ حين دعتهم لعيد الكرزمس في بيتها ، وطبخت لهم ديكاً رومياً حجمه بحجم الهريفي ، يومها اشترت خروفا

وقطعته ليسهل شيهه بالأسيخ ، عندها ودون أخذ موافقتها ٠٠ دعا صقر صديقه الأسمر جيسي ومعه اثنين ٠٠ أكثر سماراً وأكبر خشوماً وأكبر شفاهاً ، احضروا معهم نبيذاً وبيرة ٠٠ يقول صقر أنها دون كحول ، وأكلوا لوحدهم ٩٠٪ من أسياخ اللحم ، إضافة إلى أنها لم تأخذ راحتها لبسا وحركه ، فنظرات هؤلاء السمر قليلة أدب ٠٠ بعكس زوج ابنة إليزابيث الذي لا يرفع نظره عن زوجته ، منذ ذلك اليوم ، عزلت نفسها ترفيهياً عنه .

أما عن صقر ٠٠ فالبرنامج اليومي لديه ثابت لا يتغير ٠٠ معهد ٠٠ غداء ٠٠ بار وخرجات مع أصدقائه السمر ثم النوم فالجاثوم ، العلاقة الزوجية بينهما يمكن وصفها بلا تواصل ولا انفصام ، المصروف لم يمنع ، مكان الفلوس معلوم ، خذ ما يكفيك وغادر ، والقاعدة هنا ٠٠ قال من أمرك قال من نهاني .

توجهها إلى الموعد ، سلك سائق التاكسي الطريق نفسه المؤدي إلى المستشفى الذي عملت فيه كشف العقم ، التفتت إلى صقر لتبتهه :

-أخبر السائق ٠٠ عن موقع عيادة الدكتورة مارلين مونرو ٠٠ فالرجل يعتقد خطأً أننا نريد الذهاب للمستشفى السابق الذي عمل لي فيه كشف العقم .

-لا ٠٠ لا ٠٠ السائق ليس على خطأ ٠٠ عيادة الدكتورة في نفس المستشفى .

استغربت لكنها لم تعلق.

انتظرا في صالة الانتظار للحظات ثم دخلا العيادة ، فوجئت البرصاء أن الدكتور طبيب وليس طبيبة ، لم تكمل ممشاهما لتحيي الدكتور صاحبت بصقر :

-أين الدكتورة مارلين مونرو ؟

أسقط في يد الكاذب .

-يا حبيبتي ٠٠ الدكتورة مارلين مونرو تزوجت وتركت الطب وهذا خليفتها ٠٠ صافحي

الطبيب ، إنه ينتظر مصافحتك ٠٠ فضحتينا .

-هاه ٠٠ الدكتورة مارلين مونرو تزوجت وتركت الطب ٠٠ وين حنا ٠٠ تضحك علينا يا ولد

عفينة ٠٠ باقي تقول شرط عليها زوجها عند الملكة أنها تترك الطب ، أقول اطلب مترجم بسرعة .

أحضر المترجم ، أبلغته أنها تريد الكشف لدى الدكتورة مارلين مونرو ، أجابها باستغراب أن

ليس هناك طبيبة بهذا الاسم ٠٠ وأن مارلين مونرو فنانة انتحرت قبل مدة وجيزة .

أكثر من ٥٠ ٪ من المناطق الواضحة وفي هذه الحالة يفضل إزالة اللون الأصلي ، وعندما يعطي المريض الموافقة كما في حالة البرصاء فيمكن إزالة اللون باستخدام كريم خاص .

أعطائها منشوراً فيه بعض الإيضاحات والإرشادات ٠٠ أهمها :

” أن إزالة اللون عند نسبة تتراوح ما بين ٩٠ - ٩٥ ٪ من المرضى تتم خلال فترة عام أو يزيد.

” العلاج قد يحدث أحياناً فرط حساسية من الدواء أو عدم استجابة له وعند ذلك لابد من وقف العلاج على الفور إذا لم تكن دهانات الحساسية ذات فائدة.

” يجب على المريض بعد إزالة اللون أن يستخدم دهانات واقية من أشعة الشمس مدى الحياة وتجنب التعرض لأشعة الشمس الزائدة.

استوعبت الإرشادات ٠٠ إلا أن المعلومة الأولى والتي تحدد مدة العلاج لعام ٠٠ قد كدرت خاطرها ، عكس صقر الذي طالب الطبيب بزيادة المدة لضمان الشفاء بشكل تام .

ودعت الطبيب وهي مستبشرة، أثناء الطريق لم تتكلم مع صقر فالسخرية منها في العيادة على أسماء الأطباء ما زالت عالقة في ذهنها، دخلا المنزل :

- الحمد لله على أسلامه يا قلبي.

- قلبك تكذب عليها يا صقر ، سؤال محيرني ٠٠ ليه كذبت واخترت أسماء الفنانين على أنهم أطباء ٠٠ هل تتذكر يوم قلت لي أنك اتصلت عبر الهاتف بالدكتور/ الفيس بروسلي وبالدكتورة / مارلين مونرو .

- في الحقيقة ٠٠ والواقع ٠٠ أن فيه طبيب عندنا في العمارة في شارع الخزان أعطاني الأسماء

٠٠ ووووو

هنا قاطعته البرصاء بعصبية وهي تؤشر بإصبعها إليه :

- ووووووالله انك كذاب .

- يا عزيزتي ٠٠ اتركينا من هذا الكلام ٠٠ الذي هو بلا فائدة ، دعينا نفرح بعلاج حالة البرص التي لديك ، يا سلام يا يُمنى ستصبحين مثل الخواجات .

ابتسمت المسكينة ٠٠ فرحا بما سيؤل إليه ٠٠ لون بشرتها بعد العلاج ، وقالت وهي تماري نفسها:

- يعني من رأني بعد العلاج لن يقول هذه من آل مقصعة القمل ، بل سيقول من آل كيندي آل كيندي مرة واحدة ٠٠ قالها بسخرية .

- نعم سأصبح ابنة عم الرئيس الأمريكي الراحل كيندي بدلاً من أن أكون ابنة عم صرّار ٠٠ اه ٠٠ يا ليت الواحد منا ٠٠ يستطيع أن يغير انتماءه لعائلته ، لما انتميت لعائلة آل مقصعة القمل يوم واحد ، آه ٠٠ على الحرية ٠٠ ليتها تشتري بالمال.

- والله وصار لك لسان ٠٠ وتتمنين الحرية ٠٠ لم يتبق إلا أن تلبسي فساتين الغربيات.

- يا رجال من زين فساتين العربيات ، كل موديلاتهن ثلاث موديلات ، مرة ألوردة تجيبيها يمين ٠٠ ومرة تجيبيها يسار ٠٠ واذا كانت جريئة وضعتها بالنص ، لا والمودرن منهن توسع فتحت الصدر وتلبس عليه شال ، كأنه شال الباكستاني وقت الشتاء ، والله لولا الخوف من الله والحياء ، أني لأخربها والبس ميني جب (أللبس القصير - موضة الستينات).

- تعيشين حالة تناقض .

- أنا صريحة ولست كذابة مثلك .

قالت عبارتها الأخيرة واتجهت إلى المطبخ ، أحضرت القهوة لتشرب نخب الخلاص من البرص والتحول إلى فتاة غربية من شمال أوروبا ٠٠ ومن لم يعجبه من أصحاب اللون الحنطي ٠٠ فعلية أن يضرب رأسه بالجدار الحجري وليس الطيني

شربت الكوب الأول من القهوة ٠٠٠ أحست بانتعاش ٠٠ تريد أن تصرخ للعالم بأنها ستتخلص من البرص وستصبح بيضاء يتحدث عن بياضها القاصي والداني ، لا بد من إخبار أختها يُسرى فهي من ستفرح لها ٠٠ إضافة إلى الغالية بنت الغالية حسناء زوجة الزحزح

أحضرت رقم الهاتف المكتوب على ورقة تحتفظ بها ، طلبت من عاملة المنزل الاتصال بالرقم

جرى الاتصال بالحسنة ، بشرتها عن علاج البرص ولم تكدر خاطرها عن فقدان الأمل بعلاج العقم ، رغم بصيص الأمل بالعلاج الصيني الذي ستذهب هي بنفسها صباح الغد لتستفسر عن كيفية التواصل مع أشهر الأطباء الصينيين المختصين .

سألت الحسنة عن أختها يسرى ٠٠ فهي لم ترد على رسالتها التي أرسلها صقر أن صدق ، وطلبت منها أن تبلغها برقم الهاتف وأن تذهب لكبائن الاتصال لوزارة البرق والبريد والهاتف وتتصل عليها من هناك ٠٠ فهي تعرف أنه ليس لديها خط هاتفي ومن المستحيل أن يسمح دحمان لها بأن تذهب إلى بيت طليقها السابق الزحزيح .

فرحت الحسنة بالأخبار السارة ووعدها بأن ترسل السائق إلى بيت دحمان السابق في حي العود إذا كان لا زال يسكن هناك ٠٠ أو يطلب من أحد الجيران توصيف بيت دحمان الجديد ٠٠ إذا كان قد أنهى بناء مسكنه الجديد ٠٠ ويسكنه الآن كما اعتقدت البرصاء .

توادعتا وانتهت المكالمة ، مكالمة أسعدتها كثيرا.

حاول صقر أن يستثمر هذه السعادة فدعاها للخروج هذه الليلة ، رفضت بلا مبالاة ، مؤكدة عليه أن ينام مبكرا ٠٠ استعداداً للذهاب صباح الغد للسفارة الصينية.

أتى الصباح وذهبا إلى الصينيين في سفارتهم ، طلبت منهم ٠٠ مساعدتها في التواصل مع طبيب متخصص في علاج العقم ، رحبوا وطلبوا منها التقارير ليتمكنوا من إرسالها إلى الصين وعليها أن تنتظر الرد بعد أسبوع من الآن على الأقل ٠٠ هل يمكن علاجها بالإبر الصينية أم لا ، وعليها أن تترك عنوان سكنها لدى السفارة ، ليتم الرد عليها عبر البريد .

مر الأسبوع بأسرع ما كانت تتوقع ٠٠ ففرحها بالبداية بعلاج البرص ٠٠ هون عليها ترقبها لعلاج العقم ٠٠ الذي يبدو في قناعتها ، أنه شبه ميؤوس منه .

أتت الإجابة المؤسفة ٠٠ لا علاج لك أيتها البرصاء ٠٠ فغالبية خلايا الرحم لديك شبه تالفة ، لا يمكن إعادتها للحياة بالإبر الصينية ، إجابة مطابقة لتشخيص الطبيب الكندي .

تقبلت الأمر ٠٠ ورأت أن تفرح بتخلصها من عقدة البرص التي لا تقل أهمية عن الحرمان من الضنى .

جاء الاتصال الأول من السببة يُسرى بأسرع مما توقعت ،طمأنتها على ابنتيها ، وبشرتها عن سكناهم للبيت الجديد في الدخل المحدود ، وأكدت لها أنها لم ولن تعود للعمل في غسل الموتى ، رغم أن الحالة تبدوا ليس على مايرام ، فالمردود المالي لدحمان من غسل الموتى لم يعد كما كان ، فقد دخل في كار مهنته شباب محتسبون كثر ٠٠قللوا الطلب عليه وجعلوا ما يعرض عليه أقل من المأمول ، يمكن القول أن السيولة شحت في بيت دحمان الدفش، صار يلح عليها بالعودة للعمل .

غضبت وهي تستشعر حالة أختها ألمادية ، استفسرت بالحال عن مصير المبالغ التي حولتها لدحمان ، خائفة من أن يكون صقر قد كذب عليها ، أكدت لها أختها وصول المبلغ ، والذي لا تعلم مقداره ، البرصاء اكتفت بتأكيد وصوله دون الحديث عن مقداره ، الاثنتان مسروقتان هنا وهناك ٠٠صقر خفض المبلغ يوم أرسله ٠٠ودحمان نهب نصفه المخفض ، وبهذا لم يصلها سوى العشر .

انتهى الحديث إلى تطمين البرصاء لها ، أنها بصدد إرسال مبلغ لا بأس به إلى دحمان ٠٠يفي بالغرض ٠٠ويلبي المتطلبات ، لم تحدد المبلغ ، الخطأ يتكرر دون دراية .

فعلا قامت بذلك ٠٠وبنفسها هذه المرة ، خوفا من أن يكذب عليها من كانت تحسبه صادقا في سابق العصر والأوان ، كانت توكل إليه مثل هذه المهمات بلا تردد ، أقفل الصنبور عن المرسل وبقي المرسل إليه .

بهذا اسدلت الستار عن التفكير والتعايش مع المرحلة العلاجية وصار التفكير منصباً على استثمار تواجدها في كندا علميا وثقافيا وماديا ٠٠مع تأكيدنا على عدم رسمها لهذه المفردات كنهج علمي ستتتهجه ، ولكنه نهج شعوري تتلمسه من خلال ما تراه حولها من معطيات حضارية ، تتعايش وكأنها لن تعود أبدا.

حياتي كلها صبر و جلادة ٠٠

صار المحظور وأصبحت البرصاء بيضاء كالثلج ، فبعد مضي ثمانية اشهر فقط اختفى لون الحنطة بالكامل ، يا سبحان الله ما أجملها بهذا اللون ٠٠ ما بالهم كانوا يعيرونها بنصفه والآن بعد أن اكتمل يحسدونها عليه ٠٠ هل هو غباء الناظرين أم هو حال النظرة لأنصاف العضلات عندما لا تكتمل .

مع اكتمال اللون صارت إجادتها للغة الانجليزية شبه مكتملة ، فالمجتهد ينال ما يجتهد لأجله ، الفضل يعود في ذلك للمعهد وللجارة إليزابيث وبعض الصداقات التي كونتها مع طالبات المعهد ، وينسق بين كل تلك المشارب ، المذاكرة المنزلية والعاملة المنزلية المخلصة .

قصت الشعر ولبست الجينز وصار يرمز لاسمها Y . m . g اختصار ليُمنى آل مقصعة القمل ، لم تعد راغبة في العودة إلى الديرة ٠٠ فالحياة لامرأة ثرية تتشد الحرية والكرامة هنا ٠٠ أفضل لها بكثير مما هي عليه في ديرة الجماعة ٠٠ أبو زنوبة ٠٠ وآكل الزبادي مع الشطة ٠٠ ومخرج الجن ٠٠ وقبلهم أبو سن ذهب القهوجي .

إنها مليونيرة ٠٠ وعليها أن تتعلم المحاسبة والإعمال التجارية ، التحقت بمعهد يعطي دورات تثقيفية لرجال الأعمال المبتدئين ولا يشترط الحصول على مؤهل دراسي .

الدورة لم تكن طويلة ولكنها أفادتها كثيرا ، في أشياء رئيسية ، من أهمها :

إن من أراد ٠٠ أن يكون مستثمرا ناجحاً ٠٠ عليه أن يكون لديه محامي ملم بالأنظمة والقوانين ، وعليه أن يتعامل مع مكتب استشاري ٠٠ يستتير برأيه قبل الدخول في أية صفقة أو مشروع .

عملت بمقتضي توصيات هذه الدورة حرفيا ، فهي تثق بهؤلاء القوم ودوراتهم ثقة تامة ، صار لها محامي خاص ، تعاقدت بعد ذلك مع مكتب استشاري ، اقترح عليها أول ما اقترح ٠٠ التعامل في سوق الأسهم ٠٠ خاصة أن سعرها في الوقت الحاضر مناسب جدا للشراء .

عملت بالاستشارة وبدأت الأرباح تضي عليها سعادة وطموحاً وثقة بالنفس . كل ذلك يحدث والزوج صقر هائم في دنياه ، المرأة ناجحة والرجل عكس ذلك ٠٠ يعيش خارج البيت أكثر مما

يعيش داخله ٠٠ لم يواصل تعليمه كما كان يقول ، ترك الكلية المميزة في كندا والتي بلغ تكاليف دراسة الفصل الواحد فيها أكثر من خمسة آلاف دولار كندي ، دفعتها له يُمْنى، أصحابه مربيون ٠٠ جلهم من السمر اشمأزت منه ٠٠ يوم رأت وشماً رسمه في أسفل ظهره يعبر عن الحب .

أقبل الشهر الفضيل ، الثاني لها في كندا ، أبلغتها حسناء باتصال هاتفي ، استعدت لتطبخ وجبة السحور بنفسها ، فرحاً بهذا الشهر الفضيل ، وعلى هذا الزوج المتشرد أن يصوم هذه السنة ٠٠ فلم تعد تقتنع بمبرراته ، وقوله أنه على سفر وسيصوم لاحقاً ٠٠ قول مرفوض ، ستجبره أن يصلي معها في المركز الإسلامي صلاة العشاء والتراويح ٠٠ فالنساء اللاتي يصلن في رمضان الفئات مع أزواجهن ، لسن أكثر تديناً منها ، وما كانت تعمله من إفطار صائم في مسجد العجلية وهي فقيرة يجب أن تعمله الآن وهي غنية ، ستخاطب مسئول المركز ٠٠ بحيث تتكفل بإفطار الصائمين بالمركز طوال شهر رمضان وترجو من ربها القبول .

أقبل الصقر يَجَشَّأ من شربه للبيرة ، شراب أدمن عليه ليلياً ، حتى صار بطنه كبطن حامل بشهرها التاسع ، ولا غرابة في ذلك فالبيرة تُصنع من الشعير ٠٠ والشعير عرف عنه نفخه لبطنون الحمير ٠٠ فما بالك في بطن صقر :

-هاااي حياتي يُمْنى .

-قل : الشهر عليك مبارك ٠٠ أنت لا تدري أن شهر رمضان قد حل علينا .

-معقول ٠٠٠ كل عام وأنت بخير .

-أنت مسلم ٠٠ ولازم تصوم هذه السنة .

-أنا مسافر والله عز وجل يقول / أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ

فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ/

-لا يضحك عليك إبليس ، السفر المقصود بالآية سفر المشقة ، السفر على البعارين ، وأنت

الآن مستقر ، وستبقى لسنوات .

-ما زلت في حالة سفر .

-شف يا ولد عفينة ٠٠ اما تصوم مثل المسلمين وإلا لا تشوفك عيني ، حتى ينتهي رمضان.

انفعل الصقر لأول مرة ، وكان الكحول بدا يعمل عمايله ٠٠ رد بانفعال :

- أنا لعبة عندك ٠٠ عيب عليك ٠٠ أنا زوجك ٠٠ كل ما اختلفت أنا وإياك ٠٠ تطرديني ٠٠ أنا
ما ني رجال عندك ؟

- لا ٠٠ لو إنك رجال كان صمت رمضان .

- شو دخلك بيني وبين ربي .

- دخلني أن الأكل والشرب الذي تعصي الله فيه ، في نهار رمضان ٠٠ من مالي ٠٠ والذنب
علي.

- هاظ كله دين يا يُمنى ٠٠ وين دينك وأنت جايبة رجل أجنبي وسيم وتجلسين معه بالساعات
بحجة أنه المحامي ٠٠ وين دينك يوم قصيتي شعرك وصرت تكشفيه ٠٠ وين دينك يوم تلبسي
جنز ٠٠

- عندنا مثل يقول / إذا جيت قوم ٠٠ خذ سلمهم ٠٠ والا رح وخلهم ، فالجلوس مع المحامي
في سلمهم شيء عادي ٠٠ وأراحي من الكذابين ، وعندني ضرورة ٠٠ وعند الضرورة تباح
المحرمات ٠٠ أما قص الشعر واللبس فهذا طبع أهل كندا وهذا لبسهم ٠٠ تريدني أن ألبس
دراعة مثل دراعة أمك عفينة ٠٠ وإلا أجدل رأسي مثلها وأحنيه .

ما أن أتى الحديث على ذكر اسم أمه عفينة بسخرية حتى عض على شفته بغضب ، سمعت
البرصاء حفيف أنفاسه التي عطرت المكان برائحة البيرة وهي في مكانها ، خرجت منه كلمات
جارحة ، يبدو انه تم صياغتها من العقل وليس العاطفة ، صوتها عالي ، رتمها سريع :

- ولك لا تجيبي طاري أمي على لسانك ، أمي أشرف منك يا فاسدة ٠٠ ياعشيقه الخباز
اليمني عبده شايف ، خباز ٠٠ ولك مالقيتي إلا خباز .

صدمت ٠٠ من إحياء هذه الإشاعة من جديد وقد ظننتها صارت رميمًا ٠٠ الصقر يجزم أنها
ارتكبت المعصية ٠٠ يا للألم ٠٠ المصيبة أن كان كل من سمع بالحادثة يجزم مثل صقر بأنها
فاسدة ، وقفت ويدها ترتجفان وصاحت به :

- ما دام أنني فاسدة ٠٠ طلقني يا ولد عفينة .

- إذا أنتي فاسدة ٠٠ أنا افسد منك ٠٠ أعطيني نصف ثروتك وأطلقك ٠٠ حسب ما ينص عليه القانون الكندي .

حزنت على رده الأخير حزناً جعلها تتوقف عن مواصلة الجدل معه ، أحست أن الفراق مع الصقر حان أوانه ، صحيح أن حياتها الزوجية معه كانت بلا حب ، ولكنها لم تكن تكرهه ، أما وقد تجاوز الخطوط الحمراء في وصفها بالفاسدة واتهامها بالخيانة مع عبده شايف فمكانه مزيلة الأزواج ٠٠ إنها تحتقره ، لم تعد تتحمل النظر إلى وجهه ، أشارت بيدها إلى غرفة النوم وهي تنظر إلى الأرض قائلة:

- خذ ملابسك واخرج من البيت ٠٠ والمحامي جيرالد هو من سيتفاهم معك ، بخصوص الطلاق .

توجه إلى الغرفة دون تردد ، جمع جميع ملابسه ، يبدو أنه هو كذلك راغب في الفراق .

قبل أن يطلب من العاملة المنزلية حمل الحقائب إلى الخارج ، قصد مخبأ الدولارات ، أخذها كلها ، لم يبق دولاراً واحداً ، ركب سيارته الدودج التي اشتريتها له البرصاء قبل أربعة أشهر وغادر.

- أه ٠٠٠٠ ليتني قلت له نعم ٠٠ أنا أحب عبده ولا أحبك ، لكنت بردت ما بجوفي من نار عليه ٠٠ وعلى جميع من هم على شاكلته ، ممن يتتبعون بالشرف ، ما بال أزواجي يعيشون حالة عبده شايف ثانياً بثانية ، لما هو شغلهم الشاغل ٠٠ خباز صغير جميل ، خرج ولم يعد .

ما بال هؤلاء الضبان ينعنونني بما ليس فيني ، الله عز وجل قبل توبة الغامدية وقد أخطأت ٠٠ وأعرابنا يتجحون بأن الشرف لا توبة منه ، يصرون ٠٠ حتى لو ثبت أنها مكيدة دبرت لها من عجوز إبليس موزة .

نقول ونعيد ونكرر ونسمع من كان به صمم ٠٠ اسمعي أيتها المرأة ٠٠ لا ظلما ولا بهتان في الأمر ، فمن وضعت نفسها في هذا الموقف ٠٠ تتحمل تبعات تلك الإشاعة ٠٠ ومن بدأ الحكاية ينهيها . أما رمي المحصنات والنميمة ٠٠ فهذه لها وصف خاص ، نميزه نحن الرجال الفيورين على المحارم ، أما معرفة من ابلغ صقر بالحكاية ٠٠ وكيف عرف عن تفاصيلها ٠٠ فهذا أمر مقدور عليه ، **يضحي قمر ونشوفه .**

لم تحزن لمغادرة صقر حزنها على جرحه لها ، لم تستغرب عليه أخذ جميع السيولة النقدية المتوفرة في المنزل ، كانت تتوقع منه ذلك ، كون هذا ديدنه ، فمنذ اليوم الأول لزواجها منه ، لم يتردد في أخذ أو طلب ما يرغب من المال ، شهر الصوم كفيل بجعلها تسامح ، **ومرد الكلب على القصاب .**

أنهت صيام رمضان ، صلت التراويح مع الجماعة رجال ونساء في المركز الإسلامي ، أسعدها كثيرا منظر المسلمين وهو يتناولون طعام الإفطار والسحور من صدقات مالها التي ترجو المثوبة من الله لوالديها ٠٠ ولمن تسبب في هذا الغنى ، ولسان حالها يقول:
يجود علينا الخيرون بمالهم..... ونحن بمال الخيرين نجود.

ومن العائدين / ومن الفائزين / إن شاء الله ٠٠

أعلن يوم غد عيد الفطر السعيد ، كان سعيد عليها بالفعل ، لم تأبه بغياب صقر ولم تبحث عنه ، ما أن أدت الصلاة في المركز الإسلامي حتى دعت الجارة إليزابيث ٠٠ لتناول العيد معها ، فضلت أن يكون عيداً تقليدياً لا عصرياً ، بدأ بالقهوة مع التمر ثم قدمت كبسة الرز باللحم ، شاركتها إليزابيث شرب القهوة مع القدوع ٠٠ وأكل الكبسة ، كانت مسرورة على المذاق والأسلوب التقليدي لأدوات الأكل ٠٠ دلة ٠٠ فناجيل ٠٠ مطبقية تمر ٠٠ صحن كبير للكبسة ، أدوات لم تتعب يُمنى كثيراً في تأمينها من السفارات الخليجية في ليالي رمضان.

صادف يوم العيد أن يكون يوم أحد ، طلبت الجارة إليزابيث في ضحاه من مضيفتها يُمنى ، أن ترافقها إلى مقبرة بيتشوود ، لزيارة قبر زوجها والترحم عليه ، اعتذرت يُمنى بكل لباقة قائلة : أن الدين الإسلامي يحرم زيارة القبور للنساء ، قدرت إليزابيث ذلك مقترحة عليها أن لا تدخل إلى حرم المقبرة ، وأن تقف بعيداً مع الكلب فوكس حتى تنهي الزيارة ، وافقت بتردد ، ذهبنا إلى محل بيع الزهور ، اشترت إليزابيث زهوراً من النوع التي تقول أن زوجها كان يفضلها في حياته.

دخلت المقبرة ويُمنى ترقب من بعيد ، يا لهذا الوفاء النسائي المميز ، كل هذه السنين وما زال في الذاكرة الرومانسية متواجداً ، يا لهذا الحب الخالد ، تذكرت وفاء يابس الدفش لزوجته يوم ماتت ، خرج برحلة برية فور إنهاء العزاء ، تزوج بديلتها بعد أسابيع وليس أشهراً ، لا يعرف أين مكان قبرها بين قبور مقبرة الفطيان ، ترى متى تهب هذه الرياح العاطفية الباردة على صحرائنا القاحلة ، نسيم بارد يحل محل سموم الصيف وبرد المربعانيه .

أكملت الجارة مراسم الزيارة وعادت ، المقبرة ليست خالية هناك فقراء حي بيتشوود ٠٠ ينظفون أرضية المقبرة من ما يعلق بها ، ورود قديمة ٠٠ أشياء أتت بها الرياح ٠٠ ورق أشجار ميتة ٠٠ ، أعجبت بهذا العمل الإنساني، دعت أحدهم ٠٠ جاء يجري ، لم يتردد ٠٠ فجميعهم يعرفونها ، لا تبخل عليهم كل ما رأت أحدهم ، أخرجت حفنة من الدولارات وقدمتها له مع إشعاره أنها له ولزملائه ، استغرب الفقير الأسمر هذا المبلغ الكبير وسألها عن المناسبة لإعطائهم جميعاً هذا

المبلغ الكبير ، أجابته إنه جراء ما يقومون به من عناية بأرض المقبرة ، تغير وجهه الداكن وغضب وقال :

- هؤلاء المدفونون أصدقاء أمهاتنا وآبائنا ، وما نقدمه لهم وفاء لأرواحهم الطاهرة ، ولا يجب أن نأخذ مبلغاً مقابل ذلك .

وينك يا معيط ٠٠ إنت وولد العمدة ، وينك يا خنيفس ابن زعيط آل فنو ، وينكم تسمعون الهيبز السمر ماذا يقولون عن المقابر والمقبورين .

احترمت وجهة نظره ، لكنها لا تريد إرجاع المبلغ ، أصرت على أن يأخذه بحجة أخرى ، واصفة المبلغ ، بأنه هدية له ولرفاقه ، ليقضوا عطلة نهاية أسبوع بسعادة ، يختتمونها ٠٠ بالدخول للسينما ، ومشاهدة عرض فيلم كونتا كونتي ، فرح وبشر زملاءه .

اقترحت على الجارة أن تذهب إلى ملاهي الأطفال ، متعتها المفضلة ، وافقتها الجارة ، قضتا بقية النهار في الملاهي ، تشتري تذاكر الألعاب بأنواعها ، ثم تعرضها على بعض الأطفال وتطلب منهم مشاركتها بالركوب ، بعضهم يأخذ الإذن من والديه وبعضهم لا ، فتطلب منهم الاستئذان .

عادت في المساء بعد أن عيدت عيداً أنساها أعيادها السابقة قاطبة.

ما سر هذه السعادة التي هي عليها في هذا العيد ، صارت تسال نفسها وهي مستلقية على الفراش بعد أخذها دشا ساخنا ، هل السر في هذه السعادة كونه عيد بلا صقر ٠٠ أم لأنه عيد توفر فيه المال والصحة والحرية ، أين أنت أيها الشيطان الخسيس ٠٠ أين وساوسك ٠٠ أين ضغوطك النفسية ، هل غادرت مع صاحبك الصقر أم أبعدها صلاتي ، أن كانت الأولى فارجو الله أن لا يعود ٠٠ وأن كانت الثانية فارجو الله أن يثبتني ، قرأت المعوذات ونامت .

دبت الحياة العملية لدى البيضاء يُمنى ، من جديد ، برنامج يومي مليء باللقاءات والمتابعات الآنية للأسواق المالية ، غداء بريك هنا ٠٠ وعشاء عمل هناك ، آخر شي تفكر فيه هو صقر ، هل هو مجنون ، يريد ممن اتهمها بالفساد أن تسأل عنه ، ألا يعلم أن تواريه عن الأنظار أراحها أكثر

مما أقلقها ، لا تود التطرق لموضوع غيابه ، فلطالما حدثتها بذلك الجارة وكذلك المحامي جيرالد وبعض المتعاملين مع العائلة عن قرب ، كلهم تستطيع إقناعهم بالكف عن الحديث بهذا الموضوع ، إلا المحامي جيرالد ، كان يلح عليها معرفة مصير الرجل خوفاً من تحميلها المسؤولية الجنائية عن اختفائه ، وافقته الرأي بعد إلحاح واشترطت عليه أن ينهي موضوع طلاقها منه فور العثور عليه .

لكي لا يتشعب الموضوع في حال أبلغت الشرطة عن الاختفاء ، اقترح المحامي جيرالد تأجير أحد رجال التحري للبحث عنه بحثاً دقيقاً احترافياً حتى يجده ، وعندها يبدأ التحاور معه بشأن الطلاق ، وافقت على هذا .

بدأ التحري عملية البحث ، تكشفت المعلومات الأساسية التي حُصل عليها من مصادر عدة ، مصادر شوارعية ٠٠ ومصادر رسمية ٠٠ ومصادر موسمية ، من أهم تلك المصادر سفارة بلاده ، كانت معلومات مترابطة ، بدأت منذ خروجه من بلده وحتى الآن ، معلومات تفيد بأن المذكور قد قضى بالسجن في بلاده مدة ستة أشهر تنفيذاً لحكم قضائي صدر بعد إدانته بقتل شقيقته ، وذلك بطعننا بسكين ورميها في البئر ٠٠ تحت ذريعة غسل العار والمحافظة على الشرف ، حاول والده حمل القضية عنه ولكن التحقيقات أظهرت ضلوعه هو في الجريمة ، غادر بعدها إلى الخليج وعمل في البلدية مساحاً ، ثم هاجر إلى كندا ، ولا تعلم السفارة أين يسكن الآن .

اضطر التحري بعد ذلك إلى النزول إلى الشارع والبحث عنه بطريقة تقليدية ٠٠ ألم تشاهد صاحب هذه الصورة ٠٠ وهكذا ، قصد البارات الذي كان يرتادها ، جلس مع السمر الذين كان يجلس معهم ، بحث عن مخالفات السيارة ٠٠ إلى أن عرف الوضع ومكان التواجد .

مبنى فلة في أحد الأحياء الراقية ، موقع خصص لجمعية ، لم يعلق على مدخل بابها لوحة تبين نشاط هذه الجمعية أو اسمها .

رتب التحري أموره للدخول للموقع وتوثيق عمله ، ليقدّم تقريره لمن كلفته بهذه المهمة ويستلم بعدها حقوقه منها كاملة ، ألتقطت صور فوتوغرافية لصقر وهو جالس يحتضن أحد أقرانه ٠٠ وصورة أخرى وهو يؤكل بيديه أحد أصدقائه ٠٠ والصورة الثالثة وهو يرقص بين هذا وذاك ،

صور أخذت بسرية تامة ٠٠ عبر أحد العاملين في الموقع ، عامل تواطأ مع التحري لنيل جزء من المكافأة.

حدد موعد للاجتماع بين المحامي جيرالد والتحري ويمنى ، لتقديم التقرير النهائي عن غياب صقر فارس ، تقرير اشتمل على صور ووثائق تدين سلوكه .
مكان الاجتماع منزل يمنى ، زمن الاجتماع بعد المغرب .
سمت باسم الله وبدأت تقرأ التقرير ، بقلق سريع راحت تتصفح الصور ، أطرافها بدأت ترتجف ، عيناها اغرورقت بالدموع التي لم يسمح غضبها أن تنزل منها ولو دمعة واحدة ، أصيبت بالغثيان ، رفعت رأسها إلى الأعلى لتخاطب التحري وتسأله بحدة وهي تؤشر بإصبعها على إحدى الصور :

- هل أنت متأكد أن هذه الصور صحيحة وغير مفبركة وأن من يرقص هذا صقر

رد التحري وهو يضحك:

- يا عزيزتي هذه الصور صحيحة ، ومن يرقص هذا ليس صقراً أن اسمها ياسمين فزوجك أثناء تواجده بجمعية الشاذين يحمل اسم ياسمين jasmine واختار هذا الاسم بالتحديد كونه لا يختلف بالعربية عنه بالانجليزية ، وهي زوجه لهذا لاسمر الذي يجلس بجانبها ويدعى جيسي - يعني ذلك أن زوجي أصبح زوجة لجيسي ٠٠ الأسود ٠٠ أبو برطم .
- نعم يا عزيزتي .

استلقت على الكنب ، وضعت يدها على رأسها ، خاف المحامي جيرالد على صحتها واقترح أن يطلب طبيبها الخاص فرفضت ، وقفت وهي تقول :

- علينا أن نذهب الآن كي أشاهد بعيني ، فأنا لا أصدق أن يتحول اسم زوجي صقر إلى اسم ياسمين ويصبح زوجة لجيسي بعد أن كان زوجاً لي .

توجهوا بسرعة نحو المقر ، قام التحري باتصال تلفونيا عاجلاً مع المتواطئ داخل المقر ، يطلب منه تأمين الدخول المفاجئ للمكان دون أن يشعر أحد من منسوبي الجمعية المتواجدين في الداخل بشيء ، الهدف أن ترى يُمنى زوجها صقر وقد صار ياسمين ، لبسا وتغنجاً ورقصا .

دخلوا ٠٠ وقفوا أمام صالة الجلوس الرئيسية ، وسطها عمل على شكل بست مصغر ، الأنوار الملونة هنا وهناك ، نظرت بحرص ٠٠ نظرة شمولية ، تتفحص فيها جميع المتواجدين بتعجل ، لم تستغرق أكثر من ثانيتين لتسقط النظرة على ياسمين ، تلبس فستانا أحمر قصيراً شفافاً مخصراً ، تجلس على الكنب ، يبدو أنها أنهت للتو وصلة رقصها ، يجلس بجانبها شاب شديد السواد يضع يده فوق يدها ٠٠ أنه من رآته في البار معه ، صدمت ٠٠ نظرت إلى الأرض وهي تهز رأسها ٠٠ أعادت النظر إليه لتقع عينها على عقدها الأعلى ٠٠ والمرصع بالأماس على شكل حريف نون وعين ، يلبسه صقر ٠٠ عفوا ٠٠ عفوا ٠٠ نقصد ياسمين لتبدو مثيرة ٠٠ ضحكت بشكل هستيري للحظات ، ثم سكتت فجاء وهي تخلع حذاءها بيدها لتتطلق باتجاه صقر الذي مازال يعاني من هول المفاجأة ، مفاجأة جعلته مشلول التفكير لثواني ، جعلته لا يحرك ساكناً والبرصاء تنقض عليه .

ركبتها فوق بطنه ، ويدها اليسرى تمسك بجيب قميصه ٠٠٠ عفوا ٠٠ عفوا ٠٠ جيب فستانه ، ويدها اليمنى تهوي على وجهه وهي ممسكة بالحذاء ، تضرب وصوتها الجهوري الهستيري يصدع بصوت أعلى من صوت الموسيقى الذي لم يتوقف بعد :

-لعنة الله على من أسماك صقر ٠٠ كان من المفروض أن يسميك حباري ، أين فروسية أبيك ٠٠ وأنت ابنه ، كيف تستوي صقر بن فارس والآن ياسمين ٠٠ والضربة تنزل على الخد الأيمن ٠٠٠ قتلت أختك يا حيوان ٠٠ بجريمة شرف ورميتها بالبئر والآن جالس يدك بيد هذا الأسود ٠٠ والضربة تنزل على الخد الأيسر ٠٠ ذبحتونا بالشرف وأنتم لا تعرفونه ٠٠٠ والضربة تنزل على الخشة ٠٠ أنا ناغزني قلبي من يوم شفتك حائق شاربك ٠٠٠ والضربة تنزل على الخشم ٠٠ عطوراتي خلصت وملابسي فقدت واتهمت فيها العاملة المسكينة ، وآثاري كل هذا من تحت راسك يا ياسمين ٠٠ والضربة تنزل على أيمن الصدر ٠٠ طلقني يا شاذ الآن ٠٠ وإلا ذبحتك ٠٠ طلقني لابوك لابو من عرفني عليك .

أمسكت بحنجرته وراحت تخنقه ٠٠ انتبه المحامي جيرالد ومعه التحري لذلك ، انطلقا إليها
وابعدا يديها عن حلقه وانزلاها من فوق بطنه ، صقريئى وهي تتمم بكلمات غير مفهومة ، دنا
منها المحامي جيرالد وهمس لها :

- هل تريدان أن تذهبي لطبيب نفسي فالصدمة شديدة .

- أنا لست مجنونة يا جيرالد ٠٠ قالتها بغضب .

توقف العنف ٠٠ لحظات ترقب ٠٠ الحاضرين من أصحابه النواعم لا يعلمون ماذا كانت تقول
يمنى وهي تضرب ياسمين ، فلغتهم غير العربية لا تمكنهم من ذلك ، لكنهم تعاطفوا مع
المضروب صقرو وهو يتلقى الحذاء تلو الحذاء ، بالقول بصوت واحد

- (Oh My God .. you are savage) اووووه ٠٠٠ يا آلهي ٠٠ يامتوحشة

أما الخشنيين من منسوبي الجمعية فقد وقفوا عند حدودهم ، فمنظر التحري والمحامي جيرالد
يوشي بأن هؤلاء رجال أمن ، ولأن الجيوب لا تخلو من هيروين أو كوكايين ، فكان لزاما
علينا الصمت .

التفتت إليه ٠٠ باصقة على وجهه وهي تقول :

- هل سوف تطلق الآن أم لا ؟

قال بصوت مكسور وهو يتحسس رقبته :

- المحكمة بيني وبينك .

- محكمة كندا أم محكمة بلادك ؟ ، ليكن معلوم لديك سأرسل نسخة من هذه الصور
لجميع رجال عائلة العفافنة ٠٠ واحدا واحداً ، وسأرفع القضية في محاكم بلادك وليس هنا ،
يعني بدل أن تطلقني هنا سيقطعونك هناك إربا إربا ، فمن يقتل فتاة لعلاقة حب طاهرة لن يتردد
في قتل رجل يقوم بدور امرأة مع السود .

خاف بعد أن تأكد من الصور المأخوذة له بلباس نسائي وبجانبه الأسمر جيسي، صور رمتها في وجهه وهي تتكلم عن إرسالها إلى أهله ، قال بصوت مهزوم :

-ألن تعطيني مبلغاً مقابل الطلاق ؟

-سأعطيك ما دفعته علي مهراً يوم تزوجتني ٠٠ لا عادت علي من ساعة .

فرح المحامي جيرالد لهذا الاتفاق السريع وعدم تطرق صقر للاعتداء عليه ورفع قضية بذلك والذي لو فعلها فلربما تسجن على أثرها يُمنى ، أظهر دفتر الشيكات الذي يحمله في حقيبته وقدمه ليُمنى لتحديد المبلغ التقريبي ٠٠الذي تريد إعطائه لصقر ٠٠مقابل تطليقها ٠٠ومن ثم توقع على الشيك ، اخرج كذلك ورقة بيضاء ٠٠بناء على طلب يُمنى ، ليكتب فيها صقر طلاقها باللغة العربية الآن ، ويذهب صباح الغد وقبل صرف الشيك إلى سفارة بلادها هي ، للمصادقة على ورقة الطلاق ٠٠لتصبح وثيقة نظامية شرعية.

خلصت من جملة الخلان / أحسن لي أعيش وحداني ٠٠

عادت إلى منزلها وهي غير مصدقة لهذا المشهد الذي انتهى للتو ، مشهد أشبه بالأساطير ، نهايته أراحها ، لكن تأثيره النفسي نال منها ، لم تستطع النوم ، لم تعد تركز ، اختلط الحابل بالنابل لكل مبادئها ٠٠ الرجولة والأنوثة ٠٠ الكذب والصدق ٠٠ الرذيلة والعفاف .

تمت الصفقة ، الحرية ليُمنى من الشاذ والحرية لصقر من الرجولة ، أضيف لصقر بالاتفاق ، إعطاءه حفنة من الدولارات ، ليس حبا فيه ولكن إبراء للذمة ، تفرقا فراقاً ليس بعده اجتماع ٠٠ فراق الإفتكاك من الخناق اللا شعوري .

الصدمة عليها قوية ، يبدو أن ذلك الجسم النحيل ، وبداخله تلك الروح المرهفة لم يحتمل تلك الصدمة ، صدمة أقعدتها عن الطموح والانشراح والانفتاح ، لم تعد تخرج كثيرا ، أوكلت متابعة الصفقات الاستثمارية إلى صندوق استثماري متخصص ، تكثر من شرب القهوة ، لا تريد الاتصال بأحد ، حتى أختها السببة يُسرى ٠٠ لم تعد تسال عنها ، تكتفي بإرسال مبلغ كل مدة زمنية لدحمان الدفش ، الاتصال بحسنا في المناسبات فقط ، لم تعد تذهب لتستمع بمناظر شلالات نياجرا ، كل ذلك أزعج الفريق الذي يعمل معها ، أولهم المحامي جيرالد ، عرض عليها أكثر من مرة ، أن تذهب إلى مستشار نفسي ، ولكنها ترفض ، هذه المرة كان أكثر صراحة عندما رآها تحدث نفسها في غفلة عن الآخرين ، أصر على الذهاب للعيادة أو إحضار الطبيب النفسي إلى هنا والكشف عليها بأسرع وقت .

بعد غضب أعقبه تردد انتهى إلى الموافقة ، زارها الطبيب في منزلها وعمل معها عدة جلسات ، جلسات مكاشفة وليست جلسات طرب بطبيعة الحال ، أبلغها أن الصدمة النفسية التي حدثت لها أوجدت تغيرات في الحالة العقلية لديها ، نتج عنها إحساس بعدم الاستقرار ، فالصدمة التي تعرضت لها كانت عنيفة ومؤذية وتحتاج لمجهود غير عادي لمواجهةها والتغلب عليها وهذا ما لم يتوفر لديها ، فالقلق الطبي هنا ، أن تؤدي هذه الصدمة إلى نشأت الخوف العميق بداخلها ، كذلك العجز أو الرعب ، إنها تحتاج إلى وقت طويل لتشفى ، فما تعرضت إليه أمر لا يستهان به ، فعندما ترى الزوجة زوجها وقد أصبح زوجة لآخر ، وهي مسلمة لا ترضي بالمعصية لوحدها ،

فما بالك إذا اقترنت المعصية بجدار من المبادئ المتعارف عليها ٠٠ ينهار أمام ناظريها فجأة ،
عندها سيخترق كل ذلك ، جهازها الدفاعي بكل تأكيد .

تفهمت التشخيص وقبلت بتناول العلاج ، عل ذلك أن يساعدها في الاستمرار بالإقامة والعيش في
كندا ، فهي قبل الصدمة النفسية لم تكن ترغب في العودة إلى مجتمع زعيط ومعيط ويابس
وجيلهم الثاني خنيفس وذيبان ومن هم على شاكلتهم ٠٠ فالاشتياق لذلك الخليط من البشر شبه
معدوم ، باستثناء أختها وابنتيها ، وكذلك الحسناء أبت الغالية .

مرت عدة أشهر بعد العلاج والحال في تحسن بطيء ، الاكتئاب في اضمحلال والحمد لله ،
والتفاؤل يحاول أن يحل محله ، يطرح بين وقت وآخر ، والمقصود هنا التفاؤل ، يطرح بعض
الحلول لتجديد الحياة .

- هل أذهب إلى المركز الإسلامي وأقول للإمام : أن خبرت ابن حلال من هؤلاء المترددين على
المركز ، أبيض ٠٠ ليس أصلاً ٠٠ وليس له كرش متدلي ٠٠ خشمه سلة سيف ٠٠ طويل
٠٠ اسنانه بيضاء مكتملة ، يضع عطر رجالي فرنسي وليس دهن عود ٠٠ يريد زوجة على سنة
الله ورسوله فاقبل به ، وشرطي الأول والأخير ، أن لا يكون عربياً .
٠٠٠٠٠ اففففففا ٠٠٠ آخر عمري أعرض نفسي واهينها ٠٠ لا والله ٠٠ لو أظل بقية العمر بلا
ونيس ، لا أخرج على عمري ، وسأستبدل ذلك بالصوم والعمل ، فهو أجر لي عند ربي .

يُمنى تفكر بصوت عالي ٠٠ وتبحث عن حلول لتغيير حال وحدتها ، اختارت ما اختاره لها الله ،
الصبر ودفن الهموم في العمل والإنتاج والمتعة البريئة قدر الإمكان .

يذهب الشهر تلو الشهر والسنة تلو السنة ٠٠ حتى أتى ذلك اليوم الذي فيه تتم السنة الخامسة لها
مقيمة في كندا ، وهذه المدة هي المدة الكافية للمهاجرين إلى كندا كي ينالوا الجنسية
الكندية ، أبلغها جيرالد أنها ستذهب اليوم لأداء قسم منح الجنسية ٠٠ والذي عادة ما يطلب من
الراغب في حمل جنسية كندا وانطبقت عليه شروط منح الجنسية ، قسم ، يحلف فيه المهاجر

أمام القاضي ، على الإنجيل أن كان مسيحياً ، وعلى القرآن أن كان مسلماً ، يمين عدم خيانة الوطن .

لم تفرح كثيراً ، فحقوق المهاجرين في كندا لا تتقص كثيراً عن حقوق المواطنين .
منحت الجنسية ، شعرت بشي من الثقة والاطمئنان ، فهي تعني إنها أصبحت كندية ٠٠ وأن حقوقها كامرأة متساوية تماماً مع حقوق الرجل ، وهذه عقدة لازمتها منذ الصغر ، ولربما ٠٠ نقول ولربما ٠٠ أن تبدأ الجنسية الكندية في حلحلة هذه العقدة لديها ٠٠ وتتخلص منها نفسياً قبل أن تتخلص منها تعاملياً .

صقر المسكين لم يمنح الجنسية ، فبعد التحري عنه والتأكد من أنه قتل شقيقته وهوى بها في البئر ، امتنعت السلطات الكندية من الموافقة ، علم بمنح يُمنى الجنسية ، صار يرسل رسائل تلفونية (Ansar Machine) في أوقات متفاوتة .

الرسالة الأولى تقول : مبروك حصولك على الجنسية .

الرسالة الثانية تقول : أبشرك شفيت من مرض الأنوثة بعد أن ذهبت إلى طبيب نفسي .

الرسالة الثالثة تقول : تشخيص الطبيب النفسي لحالتي يقول أن السبب في حالتي الأنثوية ، كوني عشت كل طفولتي بين ثمان بنات وأنا الأخ الوحيد بينهم .

الرسالة الرابعة تقول : اعتذر عن اتهامي لك بخيانة زوجك الأول زعيط ابن فنو مع اليماني عبده شايف ، فهذا الاتهام مصدره زوجك الثاني معيط أبوخنز ، علمت به عن طريق رسالة شفوية ، نقلها لي شاب صغير يقال له ابن العمدة ، قبل زواجنا بليلة ، وأنا لم أصدق بتاتا ٠٠ والآن لما تزوجتك .

الرسالة الخامسة والتي تكررت عدة مرات تقول : سامحيني ولن أعود لكل ما فات وسأكون خاتماً بإصبعك .

كانت لا تكثر من الرسائل الأول كلها ، تمسحها من الجهاز وانتهى الأمر ، أما الرسالة الأخيرة ، والتي يطلب فيها العودة ، فقد أثارت أعصابها ، وجعلتها تشمئز ، ما دعاها إلى

الاتصال فوراً بالمحامي جيرالد وتطلب منه توبيخ صقر عن الاتصال بها والتوقف عن ذلك ، وإلا ستتخذ بحقه الإجراءات القانونية وتعيده إلى مسقط رأسه فهي اليوم مواطنة وهو وافد .

قام المحامي باللازم وتوقف صقر عن المحاولات نهائياً.

دشنت في داخلها مرحلة جديدة ، مرحلة العزة والكرامة والثقة بالنفس ، صارت تعيشها ثانية بثانية ، قررت أن تحتفل بها في الولايات الأمريكية المتحدة ، لطالما تمننت رؤية تمثال الحرية . عمل لها برنامج سياحي منوع للرحلة ، دعت جارتها إليزابيث أن ترافقها وعلى حسابها الخاص ، فهي لم تنس معروف هذه العجوز ، التي علمتها اللغة وأنقذتها من السقوط في براثن الغربة .

اشترطت عليها أن لا يرافقهما الكلب فوكس والذي أصبح كبير السن قليل النظر لا يسمع بسهولة.

وافقت إليزابيث على الرحلة السياحية بلا تردد ، ووافقت كذلك على شرط ترك الكلب فوكس بقناعة ، فالفوكس الكبير قد بدأت الاستعدادات منذ مدة لتبديله بفوكس صغير ، وذلك عن طريق تزويجه لدى أحد محلات إنتاج الكلاب المتخصصة ، لينتج لها فوكساً صغيراً يحمل أجنة أبيه ، يكمل مسيرة الوفاء .

هبت هبوب الجنة / وينك يا باغيها ٠٠

بعد الإيضاحات التي قدمها لها المكتب السياحي ٠٠ اختارت أن تكون رحلتها السياحية إلى ولاية أريزونا، لاشتهار هذه الولاية بمناخها الصحراوي الحار ٠٠ فقد سئمت برد كندا وحتت إلى حر طباخ التمر ، كذلك لاشتهار صحرائها بنبات الصبار ، والصبر توأم قوارير الصحراء ، والأهم من هذا وذلك في سبب اختيارها لهذه الولاية ، كونها تضم أكثر الحكام الإناث.

وصلت العاصمة فونيكس ، سكنت فندق أريزونا بيلتور ٠٠ في وسط فونيكس ، وهو فندق تاريخي ، اختارت جناحاً يطل على الخضرة والمسبح والوجه الحسن من الجنسين ، أسكنت جارتها العجوز معها في نفس الجناح ٠٠ وطلبت من إدارة الفندق وضع سريرين منفصلين .
مرت الأسابيع الأولى للرحلة كلمح البصر ، سعيدة كل السعادة ، أمريكا أبهرتها ، أناسها متحضرون ، أدواتها متقدمه ، أنظمتها متطورة ، المجتمع متناغم ، حتى بين الخصوم السياسيين والاجتماعيين والاقتصاديين .

اليوم سيكون يوماً استثنائياً ، ستذهب إلى إسطبلات ركوب الخيل ، تريد أن تتعلم ركوب الخيل ، تتشد التطور ، لا يُركب في قريتها سوى الحمير ، هواية مارستها في القرية كثيرا ، بصحبة والدها رحمه الله ، أما ركوب الخيل ٠٠ فهي هواية تتحصر في بلداتها كلها على الرجال ، لا يملون أبداً من حذاء **الْخَيْلِ عَزَّ لِلرِّجَالِ وَهَيْبُهُ** ، ذلك لا يعني بالتأكيد أن النساء مستثنيات من العز وليس لهن هيبة ما حين ، هكذا يقول الرجال .

بدأت الاستعداد ، أخذت دشاً سريعاً ، ثم بدأت في لبس ملابس خاصة بركوب الخيل ، سمعت إليزابيث تناديهما من صالة الجناح بصوت مهتم :

- يُمنى ٠٠ أسرعى فالخبر مهم لك ، العراق غزا الكويت ، واحتلها بالكامل .
بالرغم من أنها لا تعرف بالسياسة سوى القضية الفلسطينية واحتلال إسرائيل للقدس ٠٠ إلا أنها أسرعت وجلست أمام شاشة التلفزيون تكاد أن تلتصق بها ، وصارت تردد :
- يا الله استر ٠٠ يا الله استر .

أعلن مراسل السي إن إن C.N.N معلومات أمريكية تفيد أن الجيش العراقي يحشد قواته على حدود بلادها، جن جنونها ، صارت تمشي بطول الصالة وعرضها ، تفرك يديها ، ترفع رأسها إلى السماء وتدعو :

-يا رب احفظهم ٠٠٠ يا رب ٠٠ ديرتنا فيها المقدسات ٠٠ فيها أهل الخير ٠٠ يارب ٠٠ يارب ٠٠ والدموع تنهال تباعا .

صارت إليزابيث ٠٠ تهدئ من روعها وتقول :

-لا تخافين ٠٠ لن يجرؤ العراقيون على غزو بلادك ٠٠ فالأمريكان لن يسمحوا لهم .

-ولكنهم سمحوا لهم بغزو الكويت .

-لم يسمحوا لهم ، غدروا بهم ٠٠ وسيدفعون الثمن

- غدروا بهم ظل (الأمريكان على علم بالأمر)

قالت ظل باللغة العربية دون أن تشعر ، ثم راحت تترجم ما تعني باللغة الانجليزية ، ثم عادت لمتابعة التحليلات ، يبدو أن البرنامج لهذا اليوم قد تبدل من خروج إلى إسطبلات الخيل إلى اعتكاف أمام التلفاز ، الساعة بعد الساعة ، هذا كوب قهوة يذهب وهذا يأتي ، المشاهدة مستمرة .

مشهد آثار الرعب بداخلها ، ذلك المشهد الذي يظهر مواطني الكويت وهم في الصحراء هاربين هائمين .

حشود عسكرية على حدود بلادها تحشد ، ونساء وأطفال تهرب ، وسط شمس آب اللهاب ، استحضرت أختها السببة يُسرى وابنتيها ، لم تحتمل صبرا ، في الحال اتصلت بإدارة الفندق ، طلبت حجز مقعدين لأقرب رحلة طيران إلى أوتاوا ، العاصمة الكندية ، حتى ولو كانت عبر محطات أخرى وليس خطأ مباشراً ، المهم أن تغادر في أسرع وقت ، لم تنتظر موافقة إليزابيث على العودة المبكرة لهذه الرحلة السياحية .

بعد عشر دقائق أفادها موظف الفندق المختص بترتيب مواعيد السفر والحجوزات ٠٠ أن هناك إمكانية بعد خمس ساعات ، وافقته في الحال .

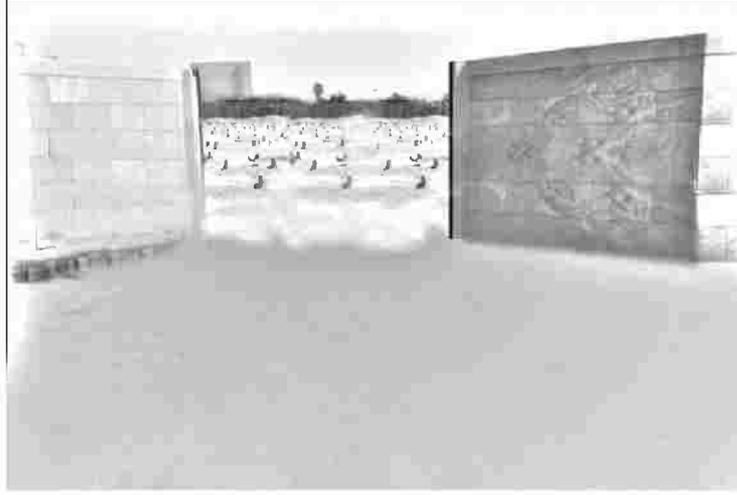
أيقظت إيزابيث ، أبلغتها بنية العودة وعدم إكمال الرحلة السياحية ، تفاجأت المسكينة فالبرنامج السياحي لا زال في بدايته ، ذكرتها بتمثال الحرية في نيويورك وأنها لم تره بعد ، أجابتها يُمنى : بأن بلادها أهم من الحرية وتمثالها .
بدأ الاستعداد للمغادرة ، بعد ثلاث ساعات تقريبا غادرتا إلى المطار ومنه إلى أوتاوا .

حل الفراق وخاطري منك ما طاب ..

حل فراق الوطن الجديد كندا .. يا له من وطن .. الوطن الذي لم ينلني منه إلا كل خير ،
لم أرتو من حرّيته بعد ، .. مناظره الخلابة تسكنني .. لم تكتمل فرحتي بعد بختم الكرامة
الشامخ على غلاف جنسيته ، لا باس أيها الوطن العصري .. فالوطن الأم يصرخ لي .. يستجد
بالروح ، والروح له خفاقة ، بيوت الطين تتادي ، شوارعها الترابية تسأل ، قهوة الهيل تبعث
بعنتها ، صيفها يدندن بالهبوب ، أكسيد الحياة من هناك ، وأنا لا أريد الموت ، فالمعذرة ثم
المعذرة ، سأغادر .. وكان الليالي المقبلة ساعدتني .. جيتك ولو من بعد مدة طويلة .

فاجأ قرار العودة النهائية للوطن الغالي ، الذي اتخذته السيدة : $y . m . g$ يُمنى مقصعة
القمل ، فريق العمل الاستثماري التي يعمل معها ، المعارف تمنوا عليها العودة مرة أخرى ،
الأصدقاء والجيران .. حزنوا لهذا القرار ، خاصة إليزابيث ، لم تتوقف عن البكاء إلا بعد أن
أكدت لها يُمنى احتمال العودة .. إذا انتهت غمة الحرب الخليجية وسلمت البلاد .
ودعوها بالمطار جميعاً ، كأنها عروس زفت إلى عريسها ، ودعتهم واحداً واحداً ، ولولا أنها
مسلمة تخاف الله لاحتضنت المودعين وقبلتهم كما فعلت مع المودعات ، كانوا صادقين في
مودتهم لها ، الدموع في المطار ، من الطرفين غزيرة ، دموع سيلت وادي ما سال سيله .

مقبرة أم الحمام



زاد خفقان قلبها وملاحي الطائرة يعلنون ربط الأحزمة ٠٠ استعداداً للهبوط في مطار العاصمة ، القرار سريع والحجز غير مؤكد والتلفونات في حال ارتباك من الحرب كل ذلك لم يمكنها من إبلاغ أختها عن قرار عودتها وتحديد مواعده ، لن يكون هناك أحد في انتظارها ، إنه لأمر محبط أن تعود بعد كل هذه السنين ولا تجد أحداً في انتظارك ، لا بأس ٠٠

أنهت إجراءات الدخول باستخدامها جوازها الأصلي الذي لم ولن تستخدم سواء ٠٠ فالأمر بالنسبة لها مسألة كرامة ، ليست من النخبة ٠٠ لتعي معنى أن تستخدم جوازاً غربياً ، هذا إضافة إلى الخوف من أن ينكشف أمرها وتعلم الجهات المختصة بحملها جنسية أخرى فتفقد إحداها ، حرصت في لبسها أن يكون شبه تقليدي ، أكمام طوال ٠٠ فتحت صدر معقولة ٠٠ ليس ضيقاً بدرجة الإثارة ، وضعت شالاً أسود فوق رأسها ، لم تغط وجهها كما كانت عند المغادرة ، الوقت عصراً ، وضعت نظارة شمسية على عينيها ، لونها الناصع للبياض يؤكد للناظرين أن هذه المرأة خواجة ، خرجت من بوابة المطار ، انقض عليها أناس يؤجرون سياراتهم الخاصة لإيصال المسافرين القادمين دونما إذن من الجهات المختصة ، رجال بشوارب وفي أيديهم مسابح (جمع مسبحة) تسليهم ، يعرضون خدماتهم بأسعار متفاوتة وبلغة انجليزية ركيكة اعتقاداً منهم أن هذه المرأة ٠٠ البيضاء كالثلج ٠٠ غربية وليست عربية ، لم ترد عليهم ٠٠ ومع ذلك يستمرون في التنافس على كسب موافقة الزبونة ٠٠ بأسلوب فج ، لمحت سيارات الأجرة المعتمدة من قبل الجهات المسؤولة في المطار للمسافرين القادمين تقف أمام البوابة مباشرة

٠٠المسماه الليموزين ، ركبت إحداها بعد أن أكد لها السائق معرفته بعنوان النادي العاصمي الشهير الموجود في الدخل المحدود ، فبيت أختها مقابل لبوابة النادي مباشرة ، طلبت من سائق الليموزين أن يستخدم طريق وسط المدينة وليس الدائري ، تريد أن ترى الأطلال ، ما أحلى أن ترى أطلالك وأنت في حال أفضل ، أراحها حالة الاطمئنان ، لا تشعر أن البلد في أزمة حربية ، الناس تمارس أعمالها وكان الخطر لا يعنيه من قريب أو بعيد ، أهو غباء أم ثقة ، لا نستطيع أن نرجح أحد الخيارين .

وصلت المنزل ، تأكدت أنه منزل دحمان من خلال الاستفسار من أحد الصبية الذين كانوا يلعبون في الشارع ، وقفت تنظر إلى الفلة ، مبنى بلا روح يفتقد اللمسة الجمالية ٠٠ الألوان بلا تناسق ٠٠ لا وجود للزرع ٠٠ وردا أو نباتا ٠٠الواجهة متشعبة بالتراب ، مفتاح جرس الباب الكهربائي مكسور ، حاولت أن تطرق الباب بيدها ٠٠ الطرق لا يظهر صوتاً يسمع ، لاحظ ذلك سائق الليموزين الباكستاني ، نزل من السيارة والتقط حجراً ليس كبيراً وصار يطرق الباب بالحجر ٠٠ ما جعل قرع الباب يسمعه من بالداخل بكل سهولة ، جاء الرد من الداخل :

-من عند الباب .

-افتحي أنا خالتك يُمنى .

-خالتي يُمنى ٠٠ قالتها وهي تفتح الباب بسرعة ، وكأنها غير مصدقة .

تعانقتا بحرارة ، لم تسمح الدموع للكلام أن يعبر عن المشاعر

- رجوى حبيبي ٠٠والله وصرت مرة(امرأة) ، ثم عادت لاحتضانها ، ومن ثم احتضنت معها أختها الدبدوبة الصغيرة ٠٠التي شاركت بالاحتضان بعفوية الأطفال ٠٠الطفلة أمل .

المفاجأة أصابت البنية أمل بشيء من الارتباك ، ما جعلها تتخلص من العناق وتتوجه إلى الداخل وهي تنادي

-يمه ٠٠ يمه ٠٠ خالتي يُمنى عادت من السفر .

خرجت السبحة يُسرى من المطبخ وهي تردد : قولي والله ٠٠ قولي والله .

أجابت يُمنى وهي تدخل الصلاة :

- اقسم بالله ٠٠ انا يُمنى .

فتحت السببة يُسرى فمها أضعاف ما كانت تفتحه عند المفاجأة السيئة ، تعانقتا وعادت الدموع مرة أخرى إلى الانهمار ، السببة يُسرى كالبرميل .

-ليه ها الوزن الزائد يا يُسرى ٠٠ حرام عليك .

أجابت عجوز تجلس ٠٠ عند باب الحديقة الداخلية .

-الله يكثر خير دحمان الدفش .

أجابت السببة يسرى بسرعة ٠٠ وعلى غير العادة :

-لا والله ٠٠الله يكثر خير أختي يُمنى ٠٠ التي ترسل المبالغ لدحمان كل فترة .

توجهت يُمنى إلى مصدر الصوت عند باب الحديقة الداخلية ٠٠ وقالت وهي تبسم :

-من ٠٠ أم دحمان ٠٠ أما زلت حية ؟

-لا داب (ثعبان) .

ضحكت يُمنى على سرعة بديهة العجوز وخفة دمها ، أقبلت عليها وقبلت رأسها ، أما العجوز بدورها فقد أمعنت النظر في لون بشرة يُمنى ٠٠ التي لم تركز عليها السببة يُسرى ولا ابنتها رجوى ٠٠ قالت بكل فظاظة :

-يا دافع البلا ٠٠ ذهب نصف برصاء ٠٠ وعدت كلك برصاء يا يُمنى .

-إلا قولي صرت بيضاء ، عالجت البرص يا أم دحمان عند أطباء كندا ٠٠ والحمد لله

صرت بيضاء ، البرص ولى دون رجعة.

هنا راحت السببة يُسرى ٠٠ تتحسس وجه أختها بيديها وتقول :

-ما شاء الله ٠٠صرت نجفة يا يُمنى ، تكفين خذيني إلى كندا أعالج السمنة التي حرمتني

من كل شي ، حتى الإنجاب ، فالدكتور يقول لن تحملي حتى تخففي وزنك .

- ابشري، إذا استقرت الأمور سأذهب بك إلى كندا ٠٠ وأعيدك ريانة العود كما كنت .

إسفهلست السببه يُسرى وعادت إلى فتح فمها وهي تطلب من أختها الجلوس والراحة ، خرجت يُمنى إلى سائق الأجرة لتأخذ حقيبتها وتعطيه أجرته .

لاحظت البنت الصغيرة أمل ٠٠ أن خالتها تخاطب السائق وهي مكشوفة الوجه ، لم تجرؤ على سؤالها ، ذهبت إلى أمها بسرعة وأبلغتها بذلك ٠٠ والتي بدورها وبختها وهي تقول :

- هذا ليس من أبناء الديرة ٠٠ ليتحجب عن النساء .

خذوا الحكمة من أفواه السبهاء ، فحكيمتنا السببه يُسرى ما زالت قادرة على العطاء في مجال الحكمة ٠٠ ولن تعزل كما يطالبها بعض جمهورها من النساء .

عم الفرخ أجواء المنزل ، أحضرت القهوة والشاي ، ودارت الاستفسارات عن الأحوال من الطرفين ، هنا قاطعت البنت الملقوفة أمل حديث الكبار بمداخلة من النوع الثقيل :

- ما دريتي ياخاله يُمنى ٠٠ رجوى أختي ستتزوج ولد عمي ذيبان .

كادت أن تشرق برشفة القهوة ، أنزلت الفنجال واستفسرت من العروس نفسها دون أن تبارك ، أنزلت رجوى رأسها إلى الأرض ٠٠ ونزلت دمعتها ٠٠ ثم وقفت بسرعة ٠٠ وغادرت إلى غرفتها دون إجابة.

تبعنها يُمنى، وقفت يُسرى السمينه بكل صعوبة وهي تردد ٠٠ بصوت عالي لكي تسمعها رجوى قبل أن تصلها يُمنى:

- يا رجوى لا تضيقين صدر أختي وهي توها جاية.

أقبلت يُمنى عليها وقد انكبت الفتاة على السرير مع بكاء خجول ، أمسكت رأسها وهي تقول بصوت أعلى من المعتاد :

- لماذا تبكين ؟

-والدي مصر على تزويجي من ابن عمي ذيبان ٠٠ وانا أكرهه من صغري ٠٠ خريج سجون ، يأكل حبوب أبو ملف المخدرة ، ولا عنده شهادة ، ولا عنده وظيفة ، مصدر رزقه الوحيد يأتي من بيع الجح أو نقله .

في استحضار سريع لذكريات حياتها في الفطيان أبان حكم يابس عليها ، ظهر كرهها التاريخي لذيبنان كالشهاب ، قالت بكل هدوء :

-لا ٠٠٠ لا ٠٠٠٠ وأنا خالتك ٠٠ ما تتزوجينه لو تتطبق الأرض على السماء ، هذا اللي باقي ٠٠ الحلوة رجوى ٠٠ تتزوج بياع جح ٠٠ وأكال حبوب مخدرة ، قومي غسلي وجهك وإذا جاء أبوك ٠٠ أنا سأقنعه .

استبشرت البنية خيرا ، وهمت بالمغادرة وهي تنظر لامها التي أعطتها إشارة ، دلالتها ٠٠ أنني سأعاقبك لاحقا على إبلاغك أختي بهذه السرعة .

العجوز أم دحمان لم تسمع النقاش وصارت تتادي من الصالة ، :

-وش عندكم ٠٠ ليه تركتموني لحالي ، تعالي يا يُمنى اجلسي معي ، ترى ما شبعت منك ٠٠ قالت ذلك وهي تتلمس حقيبة يُمنى الكبيرة ، المسندة على الجدار.

عاد الجميع إلى الصالة وعادت الروح المرحة مرة أخرى ، قامت السببة يُسرى لتعد العشاء ، منعتها يُمنى بقولها : أنني أريد أن أجلس معك ٠٠ أما العشاء هذه الليلة فسنتطلب من المطعم ، لا ترغب في إرهاب أختها أول مجيئها ، ولكن الأخت السببة يُسرى أصرت ، كل تحاول إقناع الأخرى حتى تدخلت البنت الملقوفة أمل لتحسم الخلاف ، وإعلان رغبتها بجلب العشاء من المطعم وحددت أن يكون بروسند دجاج .

حُسم الأمر بتنفيذ رغبة الطفلة أمل ، من يحضره من المطعم ، هذه محلولة ، دحمان عندما يعود ، فالرجل بيتوتي ولا يسهر خارج البيت ،

بعد ساعة من الزمن فتح الباب ، يبدو أنه دحمان ، انطلقت الصغيرة أمل تبشر والدها بعودة خالتها من كندا ، بينما قامت يُمنى بوضع الشال فوق رأسها لتغطيته مبقية على وجهها

مكشوفاً ، ما أن وقف في الصلاة ٠٠ حتى قامت يُمنى لتحييه ووجهها مكشوف ، السببه يُسرى فتحت فمها من جديد ، رجوى صارت تنظر لخالتها باستغراب ، الطفلة أمل تجهل ضرورة غطاء الوجه عن زوج الأخت ، العجوز أم دحمان أكثرهم غرابه وجراءة بنفس الوقت ، قالت :

-واخزياه ليه ما تغطين وجهك عن زوج أختك وهو ليس محرم لك ؟؟

أجابتها يُمنى وهي تنظر إلى دحمان :

-كشف الوجه حلال عند بعض المسلمين ، في مصر ، وفي الشام ، وفي المغرب العربي ، وكشفت وجهي لرجال كندا كلهم ، لا تريدني أن أكشفه لزوج أختي ، وقبل هذا كله دحمان مثل أخوي .

أثارت العبارة الأخيرة خجل دحمان ٠٠ ما جعله ينكس رأسه إلى الأرض ، يبدو أنه نادم على تحرشاته النظرية السابقة لها ٠٠ قبل أن تكون غنية ، صار يهلي ويرحب ويشكرها على المبالغ التي لم تنقطع عنه طيلة مدة غيابها ، والتي لم تجعله في عوز ، حوالات مالية ٠٠ أغنته عن الوظيفة ، الوظيفة التي بدأت بالانحسار تدريجياً ، حتى وصل الأمر إلى تقليصها بشكل مخيف ، يصل إلى حد شطبها من تصنيف المهن المعتمدة اجتماعياً ، ألا يعلم من استحدثت مفاسل الأموات المتخصصة عند بعض المساجد أنه ساهم في قطع رزق كثير من الرجال والنساء ؟

لم تقتنع أم دحمان بمبررات يُمنى ٠٠ فعادت الكرة في الانتقاد :

- حنا مصريين أو شوام يا يُمنى ، تعوزي من إبليس والبسي غطوتك.

- إنشاء الله ياخاله ، إذا جاء العيد (استهزاء ورفض للطلب) .

أراح كشف الوجه دحمان ٠٠ ما دعاه إلى المشاركة في الجلسة والدخول في جوها بسرعة ، لم يتوان بالرد على استفسارات يُمنى ٠٠ عن كل من تعرفه ٠٠ وبالأخص أزواجها السابقين ، كان رده مختصراً قدر الإمكان .

’ زوجها الأول زعيط لم يتزوج بعدها ، وزوجته موزة تعاني من مشاكل صحية ، يسكن الدخل المحدود ، ابنه خيفس التزم وصار يتعاون مع رجال الحسبة .

’ زوجها الثاني معيط ، تزوج من بنات بلاد النيل ، لديه حتى الآن ولدان و بنت والبقية في الطريق ، يملك محلاً تجارياً لبيع الآلات الموسيقية ٠٠ يقع في سوق الأعواد في حلة العبيد ، يدخل ضمن نشاطات محله التجاري ١٠٠ اصدار البومات غنائية ، نوع جلسات ، لفنانين شعبيين بتقدمهم الفنان ابن العمدة والذي يكتب أشعار أغانيه الشاعر صليح الأطفس ، باع بيته في حي العجلية بقيمة مائتي ألف ريال ، ودفع المشتري هذا المبلغ الكبير تصديقاً منه لإشاعة سرت في الحي ، مفادها أن عملية التثمين التي شملت طرف الحي الشرقي ستمتد لتشمل الحي بكاملة ، اشترى بالجزء الأكبر من المبلغ بيتاً صغيراً في حي سلطانة وعاش فيه ، واستثمر الباقي في محل بيع الأعواد وتسجيلات –(فلة في الحلة ٠٠ لصاحبها معيط أبو خنز)- .

لم تجعل دحمان ينتقل إلى الحديث عن الزوج الثالث فقد أفادتها رجوى عن وضعه بالتفصيل ٠٠ قبل أن يأتي ، إضافة إلى أن ما سمعته عن النشاطات الغنائية للزوج الطبال تستحق التوقف عندها ، وبالأخص الشاعر صليح الأطفس ، تريد أن تعرف أكثر عن ذلك دون أن يشعر الآخرون ، سألت :

- هل صوت الفنان ولد العمدة حلو ، كصوت البلبل الصداح ؟ ، وهل أشعار الشاعر صليح مميزة كأشعار دايم السيف ٠٠ ليربح معيط من هذه التسجيلات ؟ .

- هذا يختلف عن هذا يا يُمنى ، الفن الذي يقدمه ابن العمدة ٠٠ فن شعبي وله مستمعين كثير ، يأتون لمحل معيط ٠٠ من جميع أنحاء البلاد لشراء أشرطة ، وإذا رغبت في سماع أغانيه ، لدى أمي جلسات كثيرة لابن العمدة .

التفتت إلى أم دحمان مازحة وهي تقول:

- ٠٠ ألا زلت تسمعين الطرب ؟

أجابتها بتحسر .

- وهذا تسمينه طرب ٠٠ الفن ولى ٠٠ الطرب أغاني زمان ، جيت في داركم يا لاد زايد(أولاد زايد) ٠٠ وخلص من حبكم يا زين عزلنا.

تداخلت الملقوفة أمل :

- يا ناس أنا جوعانة ٠٠ مشتية بروستد .

فتحت يُمنى حقيبتها اليدوية ٠٠ وأخرجت منها مبلغاً من المال ٠٠ وقدمته لدحمان ، ليشتري بها عشاء الليلة .

أبت كرامة دحمان ٠٠ وقال :

- خيرك سابق يا يُمنى ٠٠ وأنت الآن ٠٠ ضيفة غالية ، وقدرك ليس عشاء بروستد ٠٠ قدرك عشاء ذبيحة ، سنجعله مساء الغد إن شاء الله .

تفهمت يُمنى ما قال ٠٠ ولم تعلق على تحديده مساء الغد لعمل وليمة على شرفها ، وهذا يعني موافقتها ، موافقة ليس حياً في أكل الذبيحة أو البهرجة ، ولكنها تعلم علم اليقين أن استخدام يمين علي الطلاق أن توافقي ليس بعيداً ، والذي يستخدمونه عادة ، الرجال من أهل الفطيان لإرغام الضيف على قبول عمل وليمة على شرفه ، اليمين جاهز أن هي حاولت أن تعتذر عن تلبية العزيمة ، مسكينة هي المرأة ، يحلف بطردها من الأسرة إذا لم يوافق الضيف الرجل على وليمة إكرامه ، إن رفض إكرامه ٠٠ على حساب كرامتك أيتها الزوجة الطيبة .

تركته يذهب مع الصغيرة أمل ٠٠ بينما هي التفتت إلى أم دحمان وطلبت إسماعها أشرطة جلسات الفنان ابن العمدة .

قامت رجوى بإحضار المسجل والأشرطة وراحت تقرأ ما كتب على أغلفة الأشرطة حتى وجدت شريط الفنان المطلوب ، شريط كتب عليه ٠٠ جلسة خاصة للفنان ابن العمدة .

وضعت في المسجل ، إعادة مادة التسجيل إلى البداية ثم أدارت التشغيل .

عزف تقاسيم على العود يظهر بعده مقدم الجلسة بالتعريف :

يسر تسجيلات الفلّة بالحلة أن تقدم لكم الجلسة الثانية للفنان ابن العمدة ، يشاركه على الإيقاع معيط أبوخنز ، سيقدم خلالها أغنيتين وهي من كلمات الشاعر صليح الأطفس.

الأغنية الأولى : طَبَبَنِي المزيون يوم المعارك // وأهداني الشيلة بعد ما ربطها

والأغنية الثانية هي : حبيت حرف الياء مع الميم والنا // وسط العجلية ساكن نور عيني

ذهلت وخافت ، ألا يزال يعشقها ٠٠ وأن كان ٠٠ كيف يصرح بأحرف اسمها وكيف يكذب ويقول أنني أهديته قطعة الشيلة وكيف ٠٠ وكيف ٠٠ وكيف ، اغلقت التسجيل بسرعة وهي تقول للتمويه :

- صدقت أم دحمان يوم قالت ٠٠ الفن الأصيل ولي زمانه .

لك حق أيها اليمنى في ذهولك فقط ٠٠ أما الخوف فلا مبرر له ، فالقوم نيام ، فصاحب تسجيلات الفلّة في الحلة والمدعو معيط يعمل على نشر أغاني ٠٠ تتغزل كلماتها في زوجته السابقة يوم كانت في ذمته ، دون تمحيص في محتوى الأبيات ، فحرف الياء مع الميم والنا طلاس بالنسبة إليه ، والفنان السطحي ٠٠ يغني لصاحبه الشاعر صليح الأطفس ، قصائد وصفية في زوجة صاحبه الأقدم معيط ، وهكذا .

وهنا يبرز سؤال ، لماذا يرفض أبناء الصحراء مبدأ الحب العفيف في العلن ، وفي الخفاء معشوق معشوق ٠٠٠ هذا يحب أخت هذا ٠٠ وهذا يتمنى ابنة ذلك ، هذا يقول شعر في جمال كريمة فلان ٠٠ وينشده في حضرته دون أن يسميها ٠٠ وفلان مشغول في إرسال هدية لبنت أبيها ، أو إلى مي أو إلى حرف النون أو إلى المجمول ، كل هذه الأسماء الرمزية لفتيات أو نساء ٠٠ يسكن بين ظهرانينا ولسن في جزر ألواق واق ، يمكننا القول وبكل قناعة أن الحابل اختلط بالنابل ، وسيظل مختلطاً حتى نغير سلاحنا من النبال إلى توما هووك . فالتوما هووك لا يرضى الاختلاط مع التوما هووك الآخر ، وأن أجبرنا على الاختلاط كما الحابل بالنابل غضبا وفجرا المكان بمن فيه ، فجراه وهما ينشدان بحماسة : نعيب غرامنا والعيب فينا / وما لغرامنا عيب سوانا ، مع كامل الاعتذار للإمام الشافعي رحمه الله على تطوير بيت شعره هذا دون إذنه ، تطويره ولا نقول تحريفه أو تشويهه ، عل هذا التطوير أن يدفع المغرم إلى التقليل من قراءة العيوب على المغرم به .

عودا على حالة الارتباك التي انتابت يُمنى ٠٠ عند سماعها أبيات الشاعر صليح ، فقد وضعت
عينها على الشريط بعد إخراجها من الجهاز ، تريد أن تستولي عليه لتسمعه لوحدها ، فقصيدة
بدأت بهذا البيت الشعري الفاضح ، ستكون بيوتها الأخرى ٠٠ أكثر وضوحا .
أه ٠٠٠ منكن أيتها النساء ، ترغبن في سماع التغزل بكن ٠٠ حتى لو كان القائل شاعر لا تملن
إليه .

كاد المريب أن يقول خذوني ، تنظر للجميع وهي تشعر أنهم يعرفون المعنى في قصائد صليح
وأنها كانت على علاقة حب معه ٠ وأنها ٠٠٠ وأنها ٠٠٠

تعوذت من الشيطان وقررت أن تصرف انتباه الآخرين عن الأغاني وما سمعوه ، أخرجت البوم
صورها في كندا بعد أن اقتطعت جميع صور صقر ، الذي أصبح بعد ذلك ياسمين ، بدأت
بعرضها ، السببه يُسرى تفتح فمها عند مشاهدة أي صورة فيها نساء بملابس غريبة قصيرة ،
أما البنت رجوى فتشاهد بحسرة وتمني ، العجوز أم دحمان لا تكثرث فهي مشغولة في البحث
عن الأغاني القديمة التي تعيد إليها ذكرياتها .

عاد دحمان محملا بالعشاء ، وضعت السفرة والتم الجميع في الصالة ٠٠ يأكلون ويتذكرون ،
يستهنئون ويضحكون ، وبالأخص أم دحمان ، فهذه المرأة تجيد السخرية بشكل عجيب ،
وذاكرتها قوية ، تحفظ المواقف المضحكة لمعظم أفراد أسرة الدفش ، التي عاشت معظم
حياتها بينهم .

يُمنى ٠٠ تأكل وهي تفكر في كيفية إقناع دحمان برفض تزويج رجوى الرومانسية لذييان
المتوحش ، المنطق وحده لا يكفي لإقناع دحمان الدفش ، لا بد من محفزات ، بداية طرح
الموضوع لا بد أن تكون قوية ، كي تكون مؤثرة على صاحب القرار ، انتظرته إلى أن انتهى
من غسل يديه بعد العشاء ، استند إلى الجدار ، في انتظار الشاي ، عاجلته بالجملة الأولى :

- أنت يادحمان في مكان اخوي ٠٠ وأود أن أعرف رأيك ، أنا كما تعلم مطلقة ، والآن تقدم
لخطبتي كندي وأنا مترددة هل أقبل به زوجاً أم لا ، رجل مؤدب ٠٠ لكنه مدمن مخدرات ،
بمعنى ٠٠ يأكل حبوب مخدرة ، كَرِيم جداً إذا توفر له مال ٠٠ لكنه المسكين لا يملك مالاً ، لا

يعمل ، كلما قصد مكان ليطلب عمل قليل له ٠٠ إنت خريج سجون ، والآن لا ادري هل
تصحني يادحمان ٠٠ أن أتزوجه أم لا ؟

- لا أنصحك أن تتزوجيه أبدا ، مدمن مخدرات وليس لديه وظيفة ٠٠ وخريج سجون ، لست
مجبورة أن تتزوجيه

- بما أن رأيك رفض مثل هذه النوعية من الأزواج ٠٠ فكيف تزوج إبتك الجميلة رجوى من
ذيان بياع الجح ٠٠ اكآل حبوب أبو ملف المخدرة ٠٠ خريج السجون ؟

أسقط في يده وصار يبحث عن مخرج إلى أن وجده :

- هذا ولد أخوي ٠٠ وكان جاهلاً والآن تاب من أكل الحبوب المخدرة ، أما بيع الجح ٠٠
فيجني من ورائه مكاسب كبيرة ٠٠ فهو متخصص بجح نوع سيدلان (طويل) المرغوب ٠٠ وليس
الجح المقرز (مدور كالكرة) غير المرغوب.
الآن جاء دور الحوافز .

- ذيان لا يناسب رجوى ٠٠ ومن الظلم أن تزوجه إياها ، وإذا لم تتراجع يادحمان ٠٠ فأنا
سأغادر بيتك الآن ، لأسكن في الفندق ، حتى أجد أقرب رحلة متوجهة لكندا ٠٠ وأعود ٠٠
وسأقطع الاتصال بكم نهائياً (وذلك يعني إنه لن يتم إحالة أي مبلغ) .

هنا جاء دور المساندين لرفض هذا الزواج ، السببة يُسرى تقسم أن لن تسمح بهذه الزيجة التي
ستكون سبباً في مغادرة أختها البلاد إلى الأبد ، غريبة ٠٠ السببة صار لها صوتاً ، رجوى ضمت
خالتها يُمنى وصارت تبكي وتقول : يا خالتي ما صدقنا على الله نشوفك وين تروحين وتخلينا ،
أكملت مؤثرات رفض الزواج أم دحمان التي لا تُكِنُ وداً ليابس وأمه وذيان بقولها :

- هاالحين يادحمان تُغضب من وقفت معك وهي في كندا ، وتصرف عليك ٠٠ أنت وبناتك
أكثر من خمس سنوات ، تغضبها وترضي يابس ، المنتف ، يابس الذي يفرح لفقرك ، أحد
يمسك ذيل الحمار ويترك ضرع البقرة ؟؟ ٠٠٠ هذه الأمثال وإلا فلا ٠٠ على بالها تمدح يُمنى
بتشبيهها بالبقرة .

تأثير الحوافز والمؤثرات في كوم وتأثير عبارات وأمثال أم دحمان في كوم ، فلهذه العجوز تأثير غير عادي على ابنها دحمان .

- يا أمي ٠٠ الموقف محرج جدا مع أخي يابس ٠٠ فقد وافقت على تزويج ابنه منذ سنين

٠٠ كيف المخرج الآن ؟؟

الأمور تمشي في الاتجاه الصحيح ٠٠ استجداء دحمان لأمه بأن ترى له مخرج من هذا الموقف يؤكد أنه وافق على فسخ الخطوبة ويريد آلية للتنفيذ .

- المخرج أن تقول له : أن البنت رفضت وهي بين يديك يا أخي أقنعها ، فالزمن تغير ٠٠ ولم

تعد تجبر البنت على زوج بعينه ، بهذا يكون الحرج على رجوى والغضب عليها.

استحسن المخرج ليلتفت بعدها إلى يُمنى ويقول :

- نحن مستعدين ٠٠ ما تأمرنا فيه يُمنى ٠٠ ينفذ .

قفزت رجوى وهي ترفع يديها وكأن هدفاً قاتل ٠٠ سجل في الدقيقة الأخيرة لفريقها ٠٠ في دربي العاصمة في مباراة نهائي الكأس ٠٠ ثم ضمت خالتها يُمنى ٠٠ متناسية أمها التي فتحت فمها بالتزامن مع قفزة رجوى ، أما أم دحمان ٠٠ فاكتفت بعبارة واحدة : بعدي ولدي .

أما يُمنى فما أن انتهت من عناق رجوى حتى وجهت كلامها لدحمان بكل صدق :

- عسا الله أن يبيحك لهاتين البنيتين ٠٠ تسعدهن ٠٠ وتزوجهن ٠٠ وتشوف أبناءهن .

- الجميع ردد إن شاء الله ٠٠ إن شاء الله ٠٠ إن شاء الله

تبقى بحث الوليمة التي ستقام على شرف يُمنى يوم غد ٠٠ من هم المدعوون ٠٠ كيفية تقديم الذبيحة للضيوف الرجال ، هل تقدم مفتح وفوق صحن رز واحد ٠٠ أم لحم مقطع فوق أكثر من صحن رز ، فالإشكالية هنا لا يستهان بها ، المفتح ٠٠ وهو ظهر الذبيحة كاملاً عادة ما يقدم للضيف ومن معه من الرجال ، والضيف هنا في بيت دحمان امرأة ، ذلك يعني أن الرجال سيأكلون بعد النساء ، بمعنى أدق ٠٠ نقول أنهم سيأكلون ما تبقى من الطعام ٠٠ بعد أن

يشبعن منه النساء ، هذا شبه مستحيل ، ماذا تقول يا رجل ؟ ، هل تريد أن نَعْرِقَ العظام بعد أن يأكل النساء اللحم منها ؟ .

يبدو أن وليمة دحمان يُمنى ، ستعكس الصورة رأساً على عقب ، فالعرف يقول : أثناء المناسبات ٠٠ الرجال يبدوون في تناول الأكل وعند انتهائهم يأكل النساء ما تبقى ، وللإنصاف نقول ، ليس الجميع ولكن بنسبة ٩٩٪ ، نستثنى عليه القوم الأغنياء ، ومنهم تصنف الآن ٠٠ يُمنى المليونيرة .

لترفع الحرج عن نفسها اقترحت أن تكون الوليمة وليمتين ، يقدم خلالها ذبيحتان ٠٠ الأولى والرئيسية والمعلنة ، تقدم للرجال ، ومساها ذبيحة عودة يُمنى من كندا ، والثانية سرية ، وتقدم للنساء ، ومساها ذبيحة فرحة خلاص رجوى من زيبان .

بعد أخذ ورد مع دحمان ، أصرت يُمنى ٠٠ على تحمل التكاليف المادية للوليمتين وأن يقال للمدعويين أن من قام بشراء الذبيحتين دحمان من حسابه الخاص ، هذا إن تطفل أحد المدعويين وسأل .

بهذا حلت يُمنى ٠٠ إشكالية إهانة كرامتها ، وعلى النساء الأخريات التحمل والصبر والأكل من ما تبقى من ولائم الرجال إلى أن يتطور المجتمع ، في ولائمه ومناسباته ٠٠ وتنتشر لديه ٠٠ ثقافة البوفيه المفتوح ، وعندها كل واحدة تأخذ من القدر ما يكفيها ٠٠ واللي بالقدر يطلعه الملاس .

ماذا قلت في العبارة السابقة ٠٠ بوفيه مفتوح ٠٠ إن هذه الفكرة مرفوضة جملة وتفصيلاً ، فهي فكرة صهيونية ٠٠ هدفها النهائي الانفتاح والاختلاط الغذائي .

تحديد أسماء المدعويين لم يكن ذا مشكلة ، ابن عم الضيفة المدعو صرّار ٠٠ وزوجها الأول زعيط بن فنو ٠٠ وزوجها الثالث يابس الدفش ، تم استبعاد الزوج الثاني معيط أبوخنز بسبب أن يُمنى لم تغفر له ، فأخطأه دنيئة .

أما دعوة الجيران ٠٠ فقد صرف النظر عنها بتوصية من أم دحمان ، فهي تقول : أن أردتم أن تبلغوا يابس وابنه زيبان بفسخ الخطوبة في هذه الليلة ، فيجب أن لا يدعى الجيران لتناول العشاء معكم ويسمعون ما سيدور ٠٠ وهذه أمور عائلية ٠٠ يجب عدم إطلاعهم عليها ٠٠ خاصة النساء ،

فجلوسهن سيطول ولن يغادرن إلا آخر الليل ، وافقها الجميع ، وبهذه الموافقة حلت جميع
المعضلات غير الجسام لمراسم هذه الوليمة .

بهذا انتهى المساء الأول ليُمنى آل مقصعة القمل بعد عودتها .

دور على غيرنا وبلاش تتعبنا / في شرع الأجواد كل يتبع مراده ٠٠

أصبحنا وأصبح الملك لله ، هكذا بدأت يُمنى يومها الأول ، صلت الفجر متأخرة فالسهرة البارحة مع رجوى وأمل شيء لا يوصف ، فشعور الأمومة التي حرمت منه ٠٠ انصب في حب هاتين البنيتين ،

بعد الإفطار ، طلبت يُمنى من دحمان ، أن يوصلها مع البنيتين إلى الغالية بنت الغالية ، حسناء زوجة الزحزيح لتسلم عليها هذا الصباح ٠٠ سلام سريع ، وتطلب منها تحدد موعد آخر لزيارتها ، موعد يناسب وضعها مع زوجها الزحزيح ، فهو ما زال على عادته القديمة لا يفارقها ، تريد أن تقضي معها وقتاً أكبر .

ذهبت بعد ذلك إلى السوق ، تسوقت مشتريات كثيرة ، حتى أن حملها تطلب عاملين بدلا من عامل واحد ، اشترت هدايا ، لجميع من سيحضر هذا المساء ، بما فيهم أزواجها السابقين

اشترت ملابس بجميع أنواعها و عطور ، للبنيتين وأمهما وجدتهما ، ولم تنس نفسها وقد بدأت بشراء شيلة كبيرة ، قادرة على تغطية شعرها بشكل كامل ، بحيث لا يرى الرجال منها شعرة واحدة.

اشترت أدوات تنظيف البدن ، في مقدمتها فرش الأسنان مع المعاجين ، فالدار خالي من هذه الأدوات ، وأهل الدار لا يسألون عنها أبدا.

عادوا من التسوق ظهرا ، فتحت لهم السببة يُسرى ، أبلغتها بصوت خافت أن صرّار يجلس في المجلس ، وصل أول المدعوين .

- وش عنده أبو زنوبة ٠٠ جاي الصبح والوليمة في المساء

- يسأل عنك ، يقول أين بنت عمي ٠٠ أريد السلام عليها ٠٠ والجلوس معها ، فأنا مشتاق لها.

- مشتاق والله ٠٠ لوجبة الغداء.

دخلت المنزل واستراحت قليلا قبل أن تغير ملابسها وتلبس شيلة غطاء الرأس فقط وتدخل عليه دون أن تغطي وجهها.

تفاجأ بيمنى تمد يدها لمصافحته ووجهها بلا غطاء ٠٠ يشع بياضا ، لا برص فيه .

-السلام عليكم يا صرّار.

-عليييييييكم السلالالالالالالالأم ، أنت يُمنى بنت عمي ؟

-لا ٠٠ أنا البرصاء .

-ما شاء الله اختفى البرص ، وصار وجهك بدر خمسة عشر .

-هذا من فضل الله .

قالت ذلك ورفعت الكيس الذي تحمله بيدها الأخرى ٠٠ لتخرج منه الهدية التي اشترتها له هذا اليوم وتقدمها له .

هذي هدية مني لك يا ولد عمي ، ساعة رولكس ٠٠ عشان تعرف وقت الولاثم بشكل صحيح ولا تأتي في الصباح والوليمة في المساء .

ضحك وهو يقول :

- الله يكثر خيرك يا بنت عمي ، لكن أقول ٠٠ لو أعطيتني قيمة الهدية كاش ٠٠ كان أفضل .

- لم تتخل عن بخلك يا أبو زنوبة ، خذ الهدية الآن ٠٠ وابشر بمن يعطيك مثل قيمتها كاش.

فرح لعبارتها الأخيرة ٠٠ ولم يعقب على تعييرها له بأبو زنوبة ، جلس وطلب منها الجلوس ، أخذ فنجال قهوة من صينية الفناجيل التي أمامه ، وتوجه به إلى المغسلة ليغسله ٠٠ مع إنه نظيف حتى الآن ، سكب من القهوة في الفنجال وقدمه لها بنفسها ٠٠ مع إنه الأكبر سنا ، أشعل سيجارة ثم جر نفس عميق وقال بكل جرأة :

- يا بنت عمي ٠٠ أنت مطلقة ولا تتجبين ، ما رأيك أن تتزوجيني ٠٠ وكما قال المثل : **سمنا في**

دقيقتنا ؟

وقفت بلا شعور ، وكأن العرض أغضبها ، نظرت إليه وكأنها تفكر ، أين هذا العرض يوم

زوجني ذلك الأسمر القهوجي زعيط ؟ ، يوم غير مسار حياتي باتجاه التعاسة ٠٠ يوم جعلني أعيش
البيئة السمراء كل حياتي وأنا بنت آل مقصعة القمل ، ما الذي دفعه الآن لخطبتي ٠٠ هل هو
المال ؟ أم البرص الذي زال ؟ أم هما معا ؟

- الله يهديك يا صرّار ، أنت مثل اخوي الكبير ، أرجوك لا تسمعي مثل هذا الكلام مرة
ثانية ٠٠ والا اضطررت لعدم السلام عليك ، قالتها وغادرت .

صار المعازيم يتوافدون لحاقا ، منهم من أتى بعد العصر ٠٠ كيابس الدفش وبعض من أبناءه
العشرة ، بتقدمهم الابن البكر ٠٠ العريس المرتقب ذيبان ، حضروا دون زوجة يابس الأخيرة
شها ، اسمها شها وهي كذلك ، يمنع عليها حضور المناسبات ، فالمسؤوليات القديمة لا زال
يُعمل بها حتى اليوم ، حتى الأم المخرفة ما زالت متشبثة بهذه الحياة والأعمار بيد الله .

من الضيوف ٠٠ من أتى بعد المغرب ٠٠ كالقهوجي السابق زعيط بن فنو ، الذي يعمل الآن
مراسلاً في إدارة الخويا ، ترافقه زوجته العليّة موزة ، موزة التي نال من صحتها داء السكري
والتي لا تحسن التعامل معه ، فالأسنان سقطت جميعها ، لم يتبق منها سوى ضرس واحد ،
النظر ضعيف .

يرافق زعيط وزوجته موزة ، ابنهم الملتزم خنيفس ، يملك سيارة صغيرة ، أقلتهم جميعاً إلى هذه
الوليمة ، سيارة لا يهتم خنيفس لنظافتها أبداً .

رحب دحمان بهم جميعاً ، تطوع أحد أبناء يابس لخدمة المعازيم ، وذلك بتقديم الشاي والقهوة
، قُدم العشاء حوالي التاسعة والنصف بالتوقيت الزوالي ، غسلوا أيديهم ، جلسوا وصاروا
يخللون أسنانهم ، العريس المرتقب ذيبان يود الدخول للسلام على زوجة ابيه السابقة يُمنى ،
والهدف الأساس ، مشاهدته لبنت العم رجوى .

-يا ولد ٠٠ تغطن أنا ذيبان ٠٠ أين عمتي يُمنى لأسلم عليها .

أقبل وقد وضع على رأسه شماغ أغرقه بمادة النشا(مادة ترش بها الملابس فتقويها) ، صار
كالقرطاس ، يريد أن يبدو للناظرين أنه جديد ٠٠ ويوحي لرجوى أنه أنيق .

قبل رأسها ٠٠ رحبت به .

- ما شاء الله يا عمه ٠٠ صرت بيضاء بعدما سافرت إلى كندا ، هل تظنين أنني لو أسافر إلى كندا ستتحول بشرتي السوداء إلى بيضاء ، يقولون كندا تبيض ؟
- وش إلي تبيض وأنا عمك ٠٠ كندا دجاجة ؟؟

هنا لاحظت ٠٠ أن شماغه شامخاً كالقرطاس ، راحت تُكمل سخريتها منه .

- أقول وأنا عمك ٠٠ بياع الأشمغ قبل أن يبيعك هذا الشماغ ٠٠ هل تحدث معك ٠٠ أخذ وأعطى معك بالكلام ٠٠ ولو لخمس دقائق؟؟
- لا

- حسبي الله عليهم ٠٠ يباعين الشمغ، المفروض أن يتكلموا مع المشتري قبل أن يبيعوه، ليعرفوا أهليته للبس الشماغ .

- لا يا عمة ٠٠ انا هلالى ولست أهلاوي .

- أمسكت جيب ثوبها وكأنها ستمزقه وقالت :

- أشق ثوبي يا ذيبان (عصبية من غبائه) ٠٠ خذ بس ٠٠ هذه الهدية .

ثم قدمت له كيساً فيه هديتان ، شكرها ثم أخرج الهدية الأولى وإذا بها ساعة رولكس ، عاد وقبل رأسها ثم أخرج الهدية الثانية إذا بها صابونه ، سألها باستغراب .

- ما هذا يا عمه ؟

- صابونة لتنظيف الجسم كي لا تستخدم الصابونة الخاصة بي .

ضحك الجميع إلا هو ٠٠ اكتفى بالقول :

- يا الله يا عمة يُمنى ٠٠ أما زلت تذكرين ذلك اليوم ، يبدو أن قلبك ما زال يحمل علي

طبببت على كتفه وهي تقول :

-كنت أمزح معك ، أبلغ والدك أن يأتي لأسلم عليه .

دخل يابس الدفش وهو يتحنح :

-يا ولد

يا للمأساة ٠٠الابن ينادي النساء بيا ولد ، وهاهو الأب يدخل على النسوة ، ويكل استحقار ينادي يا ولد ، ولا يقول يا بنت أو يا نساء أنا سوف أدخل ، من أرادت أن تتحجب فلتفعل .

دُهل يابس عندما رأى وجه يُمنى كالبدر وبلا برص ، أسنان كاللؤلؤ ، أناقته راقية ، رأى العز وقد رفرفت أعلامه ٠٠ مجوهرات ، ملابس غالية ، لو كان يابس دجاجة ٠٠لباض من فرط المفاجأة ، بعد السلام قال بكل ثقة :

-ما شاء الله يا يُمنى ٠٠صرت رعبوبة ٠٠الله يستر لا يدخل فيك جني إذا شاف هالزوين كله .

-إذا دخل فيني جني ، أرجوك ثم أرجوك لا تخرجه ٠٠لأنه وبلا شك لن يكون أسوأ من أزواجي الأربعة .

ضحك الجميع وقدمت له هديته ساعة رولكس ، ثم استدنت من خلف الباب باكورة مزخرفة وقدمتها له وهي تقول :

- وهذه هديتك الثانية مني ، نظر إلى العصا وقال :

-هل اشتريتها لأضرب الجن فيها؟

-قالت لا ٠٠أشتريتها لكي تضرب بها زوجتك شها.

-أضربها ٠٠وأطلقها بعد ٠٠إذا وافقت على العودة لعصمتي

-إذا استطعت أن تقبل الثريا فأهلا وسهلا (الثريا نجم في السماء يرى بشكل واضح

ويستحيل بطبيعة الحال تقبيله).

استدار غاضبا صوب المجلس .

لم يتبق سوى زعيط وابنه خنيفس ٠٠ اللذان لم يسلما على يُمنى حتى الآن ، ينتظران من يدعهما لذلك ، فليس هناك قرابة مع صاحب الدار دحمان ٠٠ كما هو الحال مع يابس وابنه ذيبان ، انتظار طال ، لن يحتمله خنيفس ، فالغيرة من ذيبان وشماغه المنشى ٠٠ زاد عليها دخوله عند النساء ، وقف وقال لدحمان :

-أود السلام على عمتي يُمنى .

وافقه دحمان قائلاً :

-قل يا ولد ٠٠ وادخل .

توجه إلى الصالة ببطء وهو يردد :

-يا ولد ٠٠ أنا خنيفس ٠٠ أبسلم على عمتي يُمنى .

باشرته عند الباب الفاصل بين قسم النساء وقسم الرجال ، رحبت به بعد أن قبل رأسها ، قدمت له هديته ، ساعة رولكس ، شكرها ثم سألته عن والده ولماذا لم يأت ليسلم ، فرح ٠٠ نادى والده:

- بيه تعال ٠٠ عمتي يُمنى تريد أن تسلم عليك .

فرح زعيط وقام بسرعة ، أقبل إلى الصالة فصاح به ابنه خنيفس :

- لحظة بيه .

يريد عمته أن تغطي وجهها ، ولكن هيهات على يُمنى أن ترضخ لكلام خنيفس ، نادى زعيط قائلة :

- ادخل يا أبو خنيفس ٠٠ ما عليك منه .

- هلالالالالالالا ٠٠ والله ، كيف حالك ٠٠ ثم نطقها بدون شعور: يا بعدهم كلهم

قبل أن ترد ٠٠ صاح خنيفس وهو يرمي الهدية جانبا:

- خايف ربك يا عمة ٠٠ ابي لم يعد محرم لك كي لا تتحجبين عنه.

- أنا محجبة ، وغطاء الوجه اختلف علماء أهل ألسنه والجماعة (حجة حفظتها من صقر يوم

كان يقنعها بكشف الوجه قبل السفر لكندا).

- هذه مصيبتنا . من ذهب لبلاد الكفر ٠٠أتانا وقد تلوثت أفكاره وضيع دينه .

غضبت لمزايدته على دينها ، ثم نظرت إليه واستحضرت يوم كان يرميها بالحجر في المقبرة وأبوه يجرها كالمعزة ، نطقت بصوت سمعه من كان بالمجلس من الرجال قائلة :

-أنا والحمد لله حافظة لديني وصلاتي ٠٠منذ كنت أنت تقضي وقتك في المقابر مع الدشير (الصعاليك الأحداث) ، ومنذ كنت تطمر على بيوت المسلمين مصلوخ بلا لباس ٠٠وتدهن جسمك بالزيت ، يا خريج السجون .

فقد أعصابه من العبارة الأخيرة ٠٠وصاح لأمه وأبيه :

ياالله يمه مشينا ٠٠وانت ييه ٠٠٠الحقني أنا انتظرك بالسيارة ٠٠٠ بسرعة ٠٠ والله ٠٠لا نجلس في بيت فيه مثل هذه الأشكال .

خرج وتبعاه الأم موزة والأب زعيط ٠٠الذي لم ينطق ببنت شفة ، ما بال زعيط ليس زعيط الأول ، أين القوة ، أين السيف الرمز المعلق بالمجلس ، لا لباس ٠٠إنها دورة الأيام يا زعيط بن فنو ٠٠ الزمن ليس زمنك ، أنشد قول جرير : **يأيها الرجل المرخي شماغته / هذا زمانك إني قد مضى زمني ، ونعتذر لجرير بتغيير كلمة عمامته واستبدالها بشماغته ، ليس أنت لوحدك في هذا الانكسار يا زعيط ، إنه شأن الأغلبية في هذا المجتمع والذين يهابون أمثال ستايل خنيفس ، ألم يقرأ خنيفس الآية الكريمة : " وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرهُمَا "**

ساد جو من التوتر أجواء المنزل .

دخلت يمنى غرفة رجوى وهي متوترة ، تتساءل في داخلها عن ما قالتها مع ضيوف أتوا احتراماً لها ، ما بال لغة الانتقام تعتربها ، كيف ستتعامل مع الإشكالية القادمة وهي الأهم ، نعم إبلاغ ذبيان بفسخ الخطوبة هي المعضلة الأهم ، أمر له ردة فعل لا يعلم بها إلا الله ، هي قلقه ولكنها ليست خائفة ، يا سبحان الله ، أين الخوف الذي كان يسري في دماغها ، هل زال مع الروح الكندية ، ربما .

استرخت على السرير لتسمع صوت صراخ ذبيان يزيد ويهدد ، ما الأمر ، يبدو أن دحمان أبلغه أن العروس رجوى لا ترغب في الزواج منه .

خرجت لتجد دحمان ويابس وذبيان في الصلاة ٠٠ وقد رمى ذبيان الشماع المنشى أرضا ، وهذا عنوان الاستعداد للعنف ، يصرخ ويقول :

- أنا أعرف من وراء هذا الرفض ، إنها البرصاء ، تريد أن تنتقم منى يوم جلدتها بالشبشة

سمعتة السببة يسرى ولم ترد ، كانت خائفة وتفرك بيديها ومن المؤكد فمها مفتوح ، رجوى بجانبها خلف باب الغرفة تردد يا رب استر ، الطفلة أمل تبكي دون صوت ، دحمان يردد : تعوذ من الشيطان يا ذبيان ، أم دحمان ويابس يرقبان ٠٠ يبدو أنه لم يحن دورهما في الإدلاء برأيهما ، لا بد ليمنى من درء التهمة عن نفسها ، قالت بصوت أهدأ من صوته :

- يا ذبيان ٠٠ إن هذا الرفض من صاحبة الشأن رجوى ، ومع ذلك لو كان أمر الموافقة لي ، أقولها بكل صراحة ، لرفضت تزويجك بلا تردد .
- الظاهر إنك لك رغبة تجلدين بالشبشة مرة ثانية .

- إذا أنت ولد أبوك مد يدك ، أنا الآن كندية ، ولو مديت يدك ، بتلفون منى على السفارة الكندية تكون خلف القضبان لأشهر وربما لسنوات ، الكنديون لن ينهون الحادث على قاعدة كل واحد ٠٠ يصلح سيارته (أول كلمة يتفوه بها رجال المرور عندما يحضرون لحادث اصطدام سيارتين ٠٠ بغض النظر عن المتسبب في الحادث).

خاف ذبيان ولم يرد ، اعتقد الجميع أن تهديد ليمنى سيقفل من غضبه ، لكن الذي حصل العكس ، أحال غضبه من الكندية باتجاه رجوى قائلاً :

- عندي كل الأخبار يا رجوى، تحبين سعد ولد الجيران ، والله ما تتزوجينه وأنا حي ، حتى وأن مت لن تتزوجيه ، هل تناسيت فارق النسب بينكم ، ولو تجراً وتزوجك ، سيحاربونه جماعته دب الدهر.

هنا جاء دور الحسم ٠٠ دحمان مس عرضه :

- عيب الكلام هذا عن بنت عمك يا ذبيان ، ولو أدري أنها تحب سعد ولد الجيران قصمت ظهرها ٠٠ وهاالحين يا يابس خذ ولدك وتوكلوا على الله لديرتكم ، ما عندنا بنات للزواج.

لم يجرؤ ذبيان أو والده للرد على دحمان ، فالتمادي في الكلام أوقع ذبيان في تجاوز الخطوط الحمراء ، والإساءة للعرض .

أخذ ذبيان شماغه المنشى وغادر مع أبيه ، لحق به إخوته القادمين معه .

حسم الأمر بعبارة لو أدري أنها تحب ابن الجيران لقصمت ظهرها ، عبارة على كل فتاة عربية ، أن تعيها جيداً ، فالحب جزاؤه قصم الظهر ٠٠ ثم إلى المقبرة ، هكذا يقول الرجال ٠٠ والرجال لا يُقتص منهم عند قصمهم لظهور بناتهم .

تنفست رجوى الصعداء ، وراحت تقبل خالتها دون شعور ، قاطعتها أم دحمان وهي تنشد :
اللي بيينا عيّت النفس تبغيه / واللي نبي عيا البخت لا يجيبه .

سكت دهرا ونطق كفرا ، هذا هو حال أم دحمان ، كانت طوال وقت التراسق تنتظر لهذا وتنتظر لذاك دونما تدخل .

بيت شعر أم دحمان الذي أنشدته آثار الشك لدي يُمنى ، ما ذكره ذبيان عن حب رجوى لسعد لم يأت من فراغ ٠٠ يزن في أذنيها ، نظرت إلى رجوى ثم أمسكت يدها وسحبته إلى الغرفة ، سألتها عن علاقتها بابن الجيران سعد ، أنكرت البنية ٠٠ خوفاً وخجلاً ، لم تصدقها يُمنى ، لم تضغط عليها كي تعترف ، تركتها تغادر .

عم جو من الصمت ، الجميع معكر المزاج ٠٠ مما جرى في ختام هذه الوليمة ، ذهب كل إلى فراشه .

قالوا تحبه / قلت هذي الحقيقة ٠٠

يُمنى منذ عودتها من كندا تنام في غرفة رجوى ، ورجوى تنام في غرفة أختها الصغيرة أمل ، وأمل تنام عند جدتها أم دحمان، أغلقت الباب وكأنها ستنام ، صارت تبحث في كل أرجاء الغرفة ٠٠ الكومدينو ٠٠ الدولاب ٠٠ ، تبحث عن أي دليل يؤشر لعلاقة رجوى بسعد .

آه ٠٠ ما هذا ٠٠ إنه أوتجراف ، قرأته صفحة صفحة ، لم تجد فيه أي اسم لسعد ، ولكن لفت انتباهها دعاء كل صديقات رجوى لها خلال ما كتبوه ، بأن يجمع الله قلبها مع قلب حبيبها ، زاد الشك لديها بأن هناك حبيباً .

واصلت البحث ، الأرفف ٠٠ تحت الفراش .

آه ٠٠ ما هذا الذي تحت الفراش ٠٠ شريط تسجيل وتحت رسالة ، قرأت الرسالة ، كانت رسالة غرامية من سعد إلى رجوى ، في معانيها حب كبير ٠٠ إن هو صدق ، تأكدت الآن .

في ذيل الرسالة ٠٠ يذكر العاشق الولهان سعد ، أن الشريط المهدي مع الرسالة ، يحتوي على أغنية واحدة ، أعيد تسجيلها في الشريط عدة مرات حتى امتلاء الشريط بهذه الأغنية فقط ، ويطلب أن تقبل رجوى كل معنى في كلماتها الشعرية هدية منه لها ، كونها تعبر عن ما بداخله نحوها.

لم تفاجأ ٠٠ ولم تغضب ٠٠ وكذلك لم تحزن ، وضعت الشريط في المسجل وأدارت التشغيل ، صدح الصوت الشجي ، صوت البلبل الصداح بأغنية :

قالوا نسيته ..قلت أنا ما اقدر أنساه / قالوا تحبه؟ قلت هذي الحقيقة
قالوا تزوره؟ قلت أنا وين أبلقاه / قالوا تحاول.. قلت كيف الطريقة
قالوا تشوفه.. قلت أنا واحلالالاه / أشوف زوله في حياتي دقيقة
قالوا لي اصبر.. قلت أنا الصبر ما أقواه / الصبر عن مضمون عيني ما اطيعه

أغلقت التسجيل وراحت تسبح في خيال من الأفكار والذكريات والأحاسيس ، بنت الأخت تعيد تاريخ خالتها ، تعلقته بهوى من يصعب الزواج منه ، ولكن هناك فرق ٠٠ فبنت الأخت تستطيع أن ترى الحبيب كل يوم ، ولا تستطيع الارتباط به ، أما الخالة فهي تستطيع الارتباط به ولكن أين هو ٠٠ الوصول إليه شبه مستحيل ، من يبحث عن إبرة في قش ، رفعت رأسها إلى السماء :

- يا رب ٠٠ انت رزقتني بالمال ، فارزقني بحبيب القلب بالحلال .

ذهبت وتوضأت ، صلت لربها ركعتين ، هدأت نفسها ، تذكرت أنها مليونيرة ، راحت تحدث نفسها :

- إذا لم تأت هذه الملايين التي أملكها ، بالحبيب الغائب عبده شايف ، على سنة الله ورسوله ، فلا لزوم لي بها ، وإذا لم تجعل سعد وجماعته ، يأتون حبوا على الأقدام ، لخطبة رجوى ، فلا عاش راسي ، فالتجربة لدي خير برهان ، ألم أطوع أنا ، وأنا ذات النسب الأعلى ، إلى زعيط صاحب النسب الأدنى بسبب الحاجة ، لم لا أطوع سعد صاحب النسب الأعلى لرجوى ذات النسب الأدنى بذات السلاح ، قرار اتخذته بتحدي ، وتنفيذه يحتاج عملاً مضاعفاً ، وهي على استعداد لذلك ، عزيمة ذكرتنا بعبارة مصطفى كامل: لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس .

خلدت إلى النوم بعد أن أعادت كل شيء في مكانه ، آثرت أن لا تخبر رجوى أنها علمت بعلاقتها مع ابن الجيران سعد ، أتى الصباح نهضت من سريرها ، صلت وأتت إلى أم دحمان وأختها السببة يُسرى ٠٠ كانتا جالستين في الصلاة تحتسيان القهوة .

- صباح الخير .

- صباح النور .

- أين البنات ؟

- ذهبن مع والدهم ، يشترن لك كبدة من حلة العبيد ، اقتراح من رجوى ، تقول أن عمتي

تحب الكبده .

أحست بالحب الصادق من شقيقتها يُسرى وابنتيها ، أما دحمان وأمه ٠٠ فلم تتأكد بعد ، يبدو أن ما فعلته ليلة البارحة ٠٠ من موقف ايجابي ٠٠ أبقى أثراً طيباً لدى الجميع ، وعلى رأسهم رجوى ٠٠ وما شراء الكبدة إلا دليل .

أحضر الإفطار، بعد تناوله سيبدأ العمل ، أبلغتهم أن لديها مشروعات ستغير من جلد هذه الأسرة بالكامل ، مسكنا ٠٠ ومركبا ٠٠ وملبسا ٠٠ وثقافة بروسـتـيـجـية .

ستبدأ بمعالجة دحمان من الزكام المزمّن ، تريد أن تمحو عيارة أبو نشقة عنه ، ثم تبدأ بتحديث المنزل ، وخاصة واجهته الأمامية ، لابد أن يكون مميّزاً عند مقارنته ببيوت الجيران ، وخاصة البيت الملاصق له من الجنوب ، بيت أهل ابن الجيران سعد ، لا بد أن يشعروا أن عائلة دحمان الدفـش أغنى منهم .

ستلبس واجهة المنزل حجراً فاخراً يظهره بمظهر جميل ، يتخلله إضاءة ملونة ، هنا وهناك ، سيتم تغيير الأبواب الخارجية ، ستبني ملحقاً صغيراً في المقدمة للسائق الذي ستحضره ، وستقف السيارة أمام الباب ٠٠ ينظفها السائق صبح مساء .

أبلغتهم أنها بصدد تغيير أثاث المنزل بالكامل ، طلبت منهم كذلك ، تحديد نوع السيارة العائلية التي يريدونها مع بيجر لكل من الأم السبـهـة يُسرى والبنتين ، وطلبت من دحمان تحديد نوع السيارة التي يرغب بشرائها من حسابها الخاص ، كهدية منها له مع جهاز بيجر ، أما الآن فعليها أن تذهب لتبحث مع المحامي عجاج إمكانية الاتفاق معه على انجاز معاملاتها الإدارية كما كان يعمل جيرالد في كندا ، فسمعة المحامي عجاج ممتدة إلى الكنديين في كندا ، اتفقا دون عناء ، فاللغة الإنجليزية تميزه .

مرت أيامها الأولى ممتعة بالرغم من أن حرب الكويت تطرق أبوابها ، يُمنى وأسرة دحمان ، مشغولون بالعمل على تغيير جلد الأسرة ، غير معنيين بالمتابعة والتعاطي مع الأخطار التي تحيط

بالوطن من نتائج هذه الحرب ، فالجهل في بعض الأحيان نعمة ، فالأسرة لا تعرف من السياسة سوى فلسطين وإسرائيل سابقاً ، وصدام والعراق حالياً ، دون دراية بالتفاصيل ، الوضع ولله الحمد آمن ، فبعد أن صخر الله لنا الأمريكان لا خوف علينا ٠٠ هكذا يرددون .

مضت أشهر تعد على أصابع اليد الواحدة ٠٠ أنجز فيها الكثير ، فالحساسية المزمنة التي يعاني منها دحمان قد اختفت وصار لا يتنشق الهواء دون مناسبة ، وعليه لن يكنى بأبو نشقة . المنزل أصبح مميزاً والسيارات المميزة تقف أمام المنزل ، المحامي عجاج قام بالإجراءات الإدارية خير قيام ، أحضر السائق ٠٠ واستخرج السجل التجاري لممارسة التجارة التي لم يحدد نوعها بعد ٠٠ رغم تعريفها بالسجل بمؤسسة يُمنى للتجارة العامة ، فالخاطر منشغل عن كل شيء ٠٠ بما في ذلك التجارة ، منشغل بالبحث عن الحبيب المفقود ٠٠ فعلى من يعرف عنه أي شي أن يبلغ من تفكر فيه ليل نهار .

لا بد من البحث ، بدلا من التفكير مع التوقف ، كل شيء ممكن ، حتى الوصول لعبده شايف ممكن ، ومن يدري ربما أن الرجل موجود في أحد الأحياء المجاورة ، ويُمنى لا تدري ، الخطوة الأولى في البحث يجب أن تبدأ من المكان الأول للقاء ، وهذه نظرية أفرزتها بنات أفكار يُمنى ، وتملك حقها الأدبي في حقوق نشرها .

أمرت سائقها الهندي كومار أن يتجه إلى حي ثليم .

سمعاً وطاعة يا سيدتي ٠٠ حسب ما تملي عليه ٠٠ يتجه ، يمين ٠٠ يسار ٠٠ على طول ، أوقفته عند جدار المقبرة الشرقي ، ما الخبر ٩٠٪ من حي ثليم أصبح عمائر مسلحة ، وألحقت بمركز البطحاء التجاري ، أوقفت السيارة ، نزلت ٠٠ عبرت الأزقة مشياً على الأقدام ، يتبعها حارسها السائق كومار ، توجهت إلى موقع المخبز ، وجدته وقد حُول إلى مسكن ، مأهول بعمال آسيويين ، يقف على الباب منهم ثلاثة ، خافت أن تتحدث معهم ، تجاوزتهم لتجد بالشارع المتفرع منه والملاصق للمقبرة من الجهة الأخرى رجلاً عجوزاً ، يجلس على عتبة الباب ، يفتش خيشة ، أمعنت النظر فيه ، عرفته ، إنه بزيع زوج الطبيبه هلة رحمها الله ، فهذا بيتها تعرفه جيداً ، وهذا بزيع ، رآته أكثر من مرة .

حالة العوز ظاهرة عليه ، كل سكان حي ثليم غادروها إلا الأفضل ٠٠ إلى أنت يا بزيع ، تفترش خيشة مقطعة ، وتنتظر من الميسورين أن يعطوك بعضا من زكاتهم ، لماذا انتهيت إلى هذا الحال ، هل هو الاعتماد على دخل الزوجة ، يوم كانت تعالج النساء بالأجر لتصرف عليك به ، وعندما توفاه الله لم تستطع مواجهة العيش بكذك أنت ٠٠ أم هو الكهل؟

وقفت بالقرب منه ثم سلمت عليه :

- السلام عليكم يا عم بزيع .

- وعليكم السلام ٠٠ من أنت ؟

خافت أن تعرفه باسمها فيسيء إليها ، فبزيع من المعاصرين لحادثة اتهام زوجها القهوجي زعيط لها بالخيانة الزوجية مع أحد صبيان المخبز ورميها بالشارع ، لا بد من التستر باسم آخر كي تستفسر عن أي معلومة تفيدها بالوصول للحبيب الغائب دون خوف .

- أنا بنت ٠٠٠

وراحت تبحث عن اسم غير معروف .

- أنا بنت ٠٠٠ بنت أبو خيشة ، كنا نسكن في طرف حي ثليم .

- أبو خيشة ٠٠ اسم أول مرة أسمع فيه ٠٠٠ وش عندك ٠ جاية للحارة ؟

هنا مربط الفرس ، تريد منه أن يدلها على أحد الخبازين عل وعسى أن يدلها على عبده شايف ، فكرت قليلاً وصاغت ما يلي :

- يا عم بزيع ٠٠ أنا وإخواني وجدنا في صندوق والدنا رحمه الله ورقة كتب فيها أن في ذمتي

لصاحب المخبز ألف ريال ، فإذا كنت تعرف عنوان صاحب المخبز أو عنوان أحد الصبيان ، دلنا عليه لنبرئ ذمة والدنا .

- ما دام أبوك اسمه أبو خيشة ، فليس غريب عليه أن يكون مديونا لخباز .

أخفت ضحكتها على طرافة بزيع غير المقصوده ثم أعادت السؤال عليه مرة أخرى :

- هاه ٠٠ يا عم بزيع ما جاوبتني ، ما تعرف عنوان ولو واحد منهم ؟

- يا بنتي ٠٠ سلم علي أحدهم قبل ستة أشهر ٠٠ نسيت اسمه ، لا أذكر إلا قوله لي : انه يعمل في صناعة الشيشة وبيع الجراك في حلة العبيد.

فرحت بهذه المعلومة المهمة فرحاً شديداً ، خيظ رفيع قد يوصلها لمبتغاهها ، أخرجت من حقيبتها خمسمائة ريالاً وقدمتها لبزيع الذي صار يدعو لها بالصحة والعافية ولوالديها بالغفران .

- بسرعة ٠٠ يا كومار ٠٠ الى حلة العبيد .

صارت تستعجل الخطى وكأنها يبياعات الفصفص في حي السبيل سابقا عندما ييعن الفصفص حار بناره قبل أن يبرد .

أوقف السائق السيارة جانبا مقابل محلات بيع الشيش ، نزلت من السيارة باتجاه المحل الأول ، صارت تسال كزبونة أجنبية ، لبنانية أو سورية تبحث عن نرجيلة ، دخلت إلى المحل الأول ، لم تعرفه ، الثاني رجل عجوز ، الثالث شبهت عليه ، هل هو ناجي ، يبدو أكبر من سنه ، لم تتأكد بعد ، تفحصت أحد ليات الشيش وهي تقول :

- لماذا هذا اللي غير مستقيم ٠٠ يبدو أن من صنعه خباز.

ما أن قالت خباز حتى رمى اليماني ما بيده وهو يقول .

- اقسام بالله العظيم ٠٠ إنك شاطرة ٠٠ نعم أنا من صنع هذا اللي وقد كنت في السابق أعمل خبازاً .

بعد أن تأكدت أنه ناجي عرفته على نفسها ، فرح بها وأراد أن يحضر لها كرسيها تجلس عليه ويطلب براد شاي ٠٠ لكنها ذكرته أن ذلك ممنوع ، وعليه إن كان يريد إكرامها أن يفيدها عن عبده شايف وكيف لها أن تصل إليه ، تردد في الإجابة عليها ما جعلها تقلق ، ألحت عليها أن يبلغها الحقيقة مهما كانت مرة ، أفاد بتردد :

- سمعت أنه مسجون في الوادي ، محكوم عليه ثلاث سنوات ، مضى منها سنة وثمانية أشهر .

- ما هي قضيته يا ناجي ؟

- يقولون أن المطعم الذي كان يعمل عبده فيه ، يبيع لحم الحمير على الزبائن المسافرين إلى الوادي ٠٠ على أنه لحم جمال .

اشمأزت من التهمة ٠٠ لم تعلق ولم تودع ناجي ، استدارت وهي تأمر كومار أن يتبعها .

صعدت إلى السيارة وهي حزينة ٠٠ محبطة ٠٠ صحيح أن التهمة ليست مرتبطة بأخلاقيات الغرائز ٠٠ إلا أن العمل مشين ومقزز ، طلبت من السائق الذهاب إلى المنزل ، وصلت وتوجهت إلى غرفة رجوى دون أن تكلم أحداً ، اكتفت بالسلام ٠٠ وطلبت من الجميع عدم إيقاظها لتناول الغداء .

أغداً ألقاك / يا خوف فؤادي من غدٍ ٠٠

قيلولتها لم تكن على ما يرام فالقلق بطبيعته طارد للنوم ، كيف لا تقلق والحبيب سجين ،
بتهمة تأكيه للمسافرين لحم حمير ٠٠ لا باس ربما كان لا يعلم ٠٠ أو ربما كان يمازح
المسافرين ٠٠ ربما دفعه لذلك الفقر ٠٠

وعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلَةٌ / ولكنَّ عينَ السخطِ تبدي المساويا.

بعد العصر أجرت اتصالاً مع المحامي عجاج ، تطلب فيه أن يطَّلَع على قضية السجين ، ابن خالة
عمت جدتها ٠٠ عبده شايف ، قرابة مع اليماني اختلقتها يُمنى لتبرر للمحامي عجاج سبب
اهتمامها به ، طلبت منه أن يتكفل هو والمختصون الشرعيون والقانونيون بدراسة كيفية
إخراجه من السجن بأسرع وقت .

زانت الدنيا ، أيها الوقت لم أنت بطيء ٠٠ اسرع لكي يأتي يوم أجمعه سريعاً ، يوم زيارة
المساجين ، يوم شوفة المحبوب .

أتت المعلومات الأولية عن وضع السجين وإمكانية الإفراج عنه في اليوم التالي مفاجئة ،
فالسجين محتجز لعجزه عن دفع الغرامة التي أقرها القاضي لبعض المدعين بالضرر ، فالحكم
كان سجنًا وغرامة ، انتهت نصف المدة له في السجن وهذا يخوله للإعفاء الرمضاني إن هو دفع
الغرامة ، ولكن الجديد في الموضوع ٠٠ هو أن من يحمل جنسيته وبعد انقضاء تنفيذه للعقوبة ،
يتم ترحيله ولا يعود إلى البلاد إلا بتأشيرة دخول ٠٠ وليس كما هو معمول به في السابق ٠٠ يعامل
كالمواطن ، هذا ما جناه عليّ حزب المؤتمر الشعبي العام ٠٠ ولم أجن على أحد .

فرحت لذلك وأعطت الضوء الأخضر للمحامي لدفع الغرامة وإخراجه من السجن ٠٠ أما ما يخص
إعادته إلى البلد ٠٠ فيمكن عمل تأشيرة دخول على كفالتها ، يعود بها بعد تسفيره إلى اليمن ،
فالحمد لله أن نظام البصمة الالكترونية ٠٠ لم يعتمد بعد ٠٠ ليمنع أرياب السوابق من العودة إلى
ارض الوطن ، بجواز آخر .

الخميس عدى وراح ، ننتظر يوم غد على أحر من الجمر ، من يبيع نوماً وأعطيه ما يريد ، تقلبت
على فراشها ساعات وساعات ، غفت قليلاً ، استيقظت نشيطة ، كأنها نامت الليل كله ،
أبلغت أختها السببة يُسرى ، أنها ستقضي هذا اليوم عند حسناء زوجة الزحزيح ، كذبت وكنت

أظنها لا تكذب ، سافرت إلى الوادي برا ولوحدِها ، مع رجل أجنبي ٠٠ جنسيته هندي ، قطعت
مئات الكيلومترات ، بخلوة كاملة ، مرت نقاط التفتيش ولم ينكروا عليها ، طلبوا إقامة
السائق واستمارة السيارة الفاخرة مع إثباتها .

الطريق صحراوي ، أرض جرداء ، ومع ذلك تراها أجمل من الطرق الكندية ، المليئة بالأشجار
، أشجار تسقى من الأنهار ، وليس من أمطار تأتي سنة وتغيب خمساً ، هل نصدق ذلك
٠٠ صحراء لا تجد فيها إلا شجر العوشز ٠٠ ولا يعيش فيها سوى الضبان والجرايع ، تكون
أجمل من أرض تربطها الشلالات ويسبح في أنهارها البط الطائر ، وتصادفك أحيانا كثيرة إن
أنت عبرت واحاتها ، غزلانها تتبختر ، هل نصدق ٠٠ لا لن نصدق فما يدفعك إلى تصور ذلك يا
يُمنى ٠٠ هو شعورك الجميل وأنت تذهبين للقاء الحبيب ، الحبيب الذي لطالما تمنيت لقاءه ،
شعور جميل جعل الوجود لديك جميلاً .

وصلت المدينة ، توجهت إلى السجن مباشرة ، كيف عرفت مكانه ٠٠ من يسأل لا يتوه ، طلبت
زيارة ابن خالة عمت جدتها السجن عبده شايف ، انتظرت مع المنتظرين في قسم زيارات العوائل
، ترقب الشباك رقم ثمانية ، حسب الرقم المعطى لها من إدارة السجن ، ترقب الشباك ويدها
ترتجفان ، قلبها زادت دقاته ، أطرافها كالثج ٠٠٠

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

أقبل أبو يمن ٠٠ كالحصان الفارع ، يمشي بحيوية الشباب إلى أن توقف عند الشباك رقم ثمانية
يلتفت يمينا وشمالاً وكأنه يقول : أين من طلب زيارتي ، مشت إليه بقدميها وعيناها لم تنزلا من
النظر إلى وجهه ، ما زلت وسيما يا عبده ، بل زادت وسامتك وسامة ، أصبحت أكثر بياضاً
بسبب السجن ، وبياض بشرة الزوج الأول والثاني والثالث عقدتي .

سلمت عليه وهي تغطي وجهها بغطاء خفيف يمكن مشاهدة الوجه من خلفه ، تغطت به تماشياً
مع حساسية المكان ونوعية الزوار ، لم يتعرف عليها .

- كيف حالك يا عبده ؟

- بخير ، من أنت ؟؟

-أنا يُمنى .

سكت لبرهة وهو يمعن النظر في وجهها خلف الشيلة ثم قال بكل صفاقة ،

-يُمنى البرصاء ؟؟

رفعت الشيلة عن وجهها وكأنها تقول انظر إلى وجهي ٠٠ فأنا لم أعد برصاء ، مع الإجابة عن سؤاله ، وبكل ثقة وود :

-يُمنى بدون البرصاء ٠٠ فقد عالجت منه وشفيت ولله الحمد .

ما أن رأى بياض بشرتها وتقاسيم وجهها المملوحة حتى تغيرت النغمة

-يا مرحبا بش ٠٠ وبأهلش ٠٠ وبالجمل الذي رحل بش ، كيف حالش ٠٠ يا حلوة .

آه ٠٠٠ عبارة لطالما حلمت بها ، ما هذا الجريء يتغزل وهو سجين ، فكيف به عندما يكون طليقا وزوجاً على سنة الله ورسوله ، احمر وجهها خجلاً ٠٠ ونظرت إلى السقف وهي تقول :

-حالي على ما يرام ، أخبرني عنك فقد قلقت عليك منذ ذلك اليوم المشؤوم ، سؤال حيرني

كثيراً ٠٠ كيف هربت من زعيط وأين ذهبت ؟؟

- هربتني من بين يديه موزة ٠٠ وخبأتني عنه جارتكم صباحا .

إجابة أحييت الغيرة المقبورة ، الغيرة التي كانت تتتابها عند رويته يقدم الخبز لصباحا قبلها ، كان لا يُعير يُمنى اهتماماً ٠٠ إذا كانت صباحا موجودة .

تذكرت للتو ٠٠ رفض صباحا لها للدخول يوم أتها متخمة بجراحها ٠٠ تريد شربة ماء ، ٠٠٠ آه ٠٠٠٠ كان عبده عندها .

-كم جلست مختبئاً عندها ؟؟

-يومين .

-وزوجها ٠٠ هل كان يعلم بوجودك ؟

- نعم وساعدني على الخروج الآمن ٠٠ فهو صديقي وإخوان صباحا ٠٠ كذلك أصدقائي

تعوذت من الشيطان، ما بال كل الحديث صار عن صباحا ، أن بعض الظن إثم ، يجب أن تغير الموضوع .

-هل تزوجت يا عبده ؟.

-أنا ليس لدي فلوس آكل ٠٠ كيف أتزوج .

أحست بارتياح لهذه الإجابة ، ارتياحاً مزدوجاً ، فالشاب لم يتزوج بعد ، إضافة إلى إعلانه أمامها أن مشكلته الأساسية لعدم الزواج هي المادة ، والمادة موجودة لديها بكثرة ٠٠ سألته بعد ذلك :

ولماذا سجت ؟

-البدو هؤلاء ٠٠ يقولون ٠٠ أنني أكلتهم لحم حمير .

-أليس عيباً عليك يا عبده ٠٠ تؤكلهم لحم حمير .

-الله اكبر ٠٠ تأكلون لحم الضبان وتكرهون لحم الحمير ، والله لو خيروني ٠٠ لأأكلت لحم الحمار مئة مرة ٠٠ ولا آكل لحم الضب مرة واحدة ، وبعدين ٠٠ ما الفرق بين لحم الحمار ولحم الحصان ، حاتم الطائي يوم جاءه الضيوف قدم لهم حصانه ٠٠ والحصان أخو الحمار ، والفرق في السرعة فقط ، يا يُمى ٠٠ أنا مظلوم ٠٠ جلدوني ٠٠ وسجونني ٠٠ ويريدون أربعين ألف ريال غرامة .

-من ناحية مظلوم فأنت مظلوم، ماذا عملت ، طبخت لحم حمير للمسافرين وأكلتهم إياه ، وخير يا طير ، لا تشيل هم ٠٠ أنا سوف أدفع عنك الغرامة .

قالتها ٠٠ ثم أخرجت مبلغ عشرة آلاف ريال، ومعها كرت المحامي ومدتها له وهي تقول:

-هذا المبلغ سيساعدك للسفر والعودة بعد خروجك بإذن الله ٠٠ وهذا اسم وعنوان المحامي الذي سيكُمل إجراءات إطلاق سراحك ، بعدها سيرحلونك إلى اليمن ، عندها سأرسل لك

تأشيرة لتعود بعد أن تغير جوازك ، الآن ما عليك هو ٠٠ أن تعمل وكالة لهذا المحامي ٠٠ بأسرع وقت .

خطف المبلغ منها خطفاً ، وصار يعده ، المبلغ إكرامية منها ومع ذلك يعده ، ماذا لو كان دين عليها له وردته ، ماذا عساه سيفعل ، لم يكثر لإبلاغها له بالخروج قدر اكرائه للمبلغ الذي بين يديه ، لا يلام ٠٠ يبدو أنه لم يملك عشرة آلاف دفعة واحدة في حياته .

كاد أن يطير من الفرحة وهو يضع المبلغ في جيبه خوفاً من أن يراه العسكري المتواجد في الصالة ، نظر إليها باستغراب ، وكأنه يقول من أين لك هذا؟ .

شكرها وقبل أن يسترسل بالحديث ويستفسر عن كيفية هذه التحولات لديها علا صوت العسكري ، يعلن نهاية الزيارة والمحددة بربع ساعة ، فالعوائل كُثر ٠٠ والبوابات المخصصة محدودة العدد ، تمت أن تبقى وقتاً أطول ، ودعته وهي تنظر إلى عينيه ، غادرت السجن وهي كارهة ، تود لو قضت فيه وقتاً أطول .

عادت إلى العاصمة من نفس الطريق ، مشاعرها قلقة ٠٠ فعبدو شايف لم يفرح بها كما فرح زوجها الأول زعيط بن فنو ٠٠ عندما رآها بعد عودتها من كندا ٠٠ حين قال يا بعدهم كلهم ، ولم يبد إعجاباً بها كما أبداه زوجها رقم ثلاثة يابس الدفش ، عندما رأى وجهها وقد زال البرص منه ٠٠ حيث وصفها بالرعبوبة.

هل ما زال متواصلاً مع صباحا ؟؟ ، انقضاضه على الفلوس وعدّها ٠٠ أمر يدعو إلى الريبة ٠٠ لا بأس ٠٠ إنه معذور ٠٠ سجين ٠٠ وقد عاش كل حياته في السابق ، مع خبازين في مخبز ، ثم مع طباخين في سكة سفر ، وأخيراً في سجن مع حبابين وأصحاب قضايا لا أخلاقية ٠٠ حياة العز التي ستعيشه إياها ٠٠ ستغير أسلوب حياته إلى الأفضل ٠٠ سيتعلم البرستيغ والحياة الرومانسية ، ستنسيه صباحاً وأم صباحاً ، هذا إذا كان ما زالت ، لها مكانة في فؤاده .

وصلت المنزل ، وجدت أمل البنت الصغيرة بانتظارها مكشرة الوجه ، أمل التي صبت جام حرمان حنان الأمومة عليها ، وجدت الطفلة غاضبة منها ٠٠ لا تريد أن تكلمها ، فقد عودتها

على مصاحبته لها لأي مشوار تذهب إليه ، وأخلفت هذه العادة هذه المرة ٠٠ ذهبت بدونها :
سلمت على الجميع ، أمل لم ترد ، أقبلت وضمته على صدرها وهي تقول :

-الأمورة أمل زعلانة على خالتها ليه ؟، بكرة يا قلبي ٠٠ آخذك إلى ٠٠ الملاهي ٠٠ والمطعم
٠٠ والسوق .

ابتسمت أمل وهي تصر على عدم فك العناق الحار مع خالتها ، حملتها وذهبت بها إلى الغرفة
وهناك قضت بقية مسائها

هلا بالطيب الغالي / عزيز وشوفتك منوه ٠٠

دقت طبول الحرب ، الناس خائفون ، يضعون الأشرطة اللاصقة على المنافذ والشبابيك ، خوفا من السلاح الكيماوي الذي يهددهم به صدام ، رجوى وخالتها يُمنى ٠٠ تقومان بهذه المهمة ، دحمان أكثرهم قلقا :

- يا جماعة ٠٠ أنا أقول لو نتصالح مع أخوي يابس ٠٠ ونذهب عندهم في مدينة الفطيان لنكون آمنين من الموت ، من كيماوي صدام .
- أنا أموت من كيماوي سلاح صدام ٠٠ ولا أتزوج ذبيان .

كلام صريح وجهته رجوى لوالدها ٠٠ لتقطع دابر النقاش في هذا الموضوع .

-الموت والحياة علمها يادحمان عند الله ، صدقني نحن في حي الدخل المحدود آمنين ، فصدام لن يقصدنا بسلاحه ٠٠ اطمئن .

يُمنى تهدي من روعه .

حصل المحذور ٠٠ وأطلق سيف العرب صواريخه على جزيرة العرب ٠٠ ودوت الانفجارات في جميع أنحاء المدينة ، دحمان لم يحتمل ، أصر على الذهاب إلى أخيه يابس الدفش في مدينة الفطيان ، أخذ معه أمه التي تتشبث بالحياة أكثر منه ، السببة يُسرى مع ما يقرر دحمان ، البنتان رجوى وأمل ٠٠ أصرتا على البقاء مع خالتهما .

مرت أيام حرب الخليج بتدرج نحو الاطمئنان ، ثم إلى الانتصار ، أعلن التحرير الكامل بعدها ، يومها اتصل المحامي عجاج بيُمنى يبلغها عن وصول مكفولها اليماني : عبده شايف إلى العاصمة ٠٠ وأنه موجود في مكتبه ينتظرها ، الفرحة فرحتان ، النصر وعودة الطيب الغالي ، لبست أحلى ما لديها ووضعت العطر الفواح وتوجهت إلى مكتب المحامي في حي الملز ، أمرت السائق أن ينادي عبده من داخل المكتب ، خرج عليها بثوب ازارير لياقة رقبتة ٠٠ مقطعة ، عاصبا رأسه بشماغ أخضر ، طلبت منه الركوب بعد السلام ، توجهت به إلى أحد المطاعم الفاخرة في العليا ، طلبت من العاملين بالمطعم أن يضعوا على الطاولة شمعتين ، لم تنس

الأساليب الرومانسية لأهل كندا ، اليماني لا يتفاعل ، أخرجت خمسة آلاف ريال وقدمتها له ،
خطفها وهو يقول :

- هذا راتبي الشهري ؟

- هذا هدية مني ٠٠ لتصرف على نفسك بها قبل أن تتسلم راتبك الأول ، الذي سيكون أعلى
من هذا ٠٠٠٠ ثم استرسلت في الحديث عن مالها الوفير ٠٠ وأنها تملك ملايين ، بدأت من التثمين
، وزادت من استثماراتها في كندا ، تشكرها وصار ينقل الفلوس من جيبه الأيمن إلى جيبه
الأيسر ، دون أي تعليق على ما ذكرته في سيرتها المادية .

صارت تنظر إليه ، تريده منه أن يطلب يدها ، ولكن لا أحد ٠٠ هل تراه خائف من أنها
سترفضه ، اعتقاد قادها إلى أن تأخذ زمام المبادرة هي ، لا تعرف من أين تبدأ ، كرامتها
ترفض عرض نفسها عليه ، وقلبا يقول الحبيب بين يديك لا تفرطين به ، الحل بالتلميح عسى
أن يفهم المراد :

- يا عبده ٠٠ تقدم لي لبناني يريد الزواج مني ٠٠ وأود معرفة رأيك .

- لبناني يا يُمنى ؟ أنا لا أنصحك بالموافقة ٠٠ اللباني مايع ٠٠ يتروش بالصابون أربع
وعشرين ساعة ٠٠ ويتعطر ٠٠ ويكوى ملابسه ٠٠ تزوجي يماني ٠٠ رجال ٠٠ فحل .

- هل تقدم لخطبتي يماني ٠٠ ورفضته !

- أنا مستعد أتزوجك ٠٠ اليوم قبل باكر .

وأخيرا قالها ٠٠ هل كان غيبا أم يستغبي ، لم تصدق نفسها وهي تسمعه يطلبها للزواج ، قالت
وبدون تحفظ :

- ترغب بالزواج مني حب فيني أو لأنني غنية ؟

- اقسم بربي أن الفلوس لا تهمني .

من قال لك احلف يمين ٠٠ ولماذا لم تقل بسبب حبي لك ، تساؤلان جعلها في غمامة من أمرها
، لا يهم ٠٠ المستقبل كفيل بتحقيق الأحلام وتأسيس المشاعر :

- ما دام أنك ٠٠ تريد الزواج حب فيني ٠٠ فأنا موافقة .

لم تنتظر إلى ما بعد تناول العشاء ، ذهبت واتصلت بالمحامي وأبلغته أنها تريد الحصول على موافقة زواج من أجنبي من الجهات المختصة (تصريح) ، وعليه كمحامي أن يبحث عن من يستطيع أن ينهي الإجراءات بأسرع وقت ، وهي على استعداد لدفع أي مبلغ للمعقب أو لأحد مكاتب الخدمات العامة ، التي تعمل في استخراج موافقات الزواج ، الأمر الآخر ٠٠ عليها أن تبحث من الآن ، عن فلة جديدة ، يكون موقعها في أحد الأحياء الشمالية الراقية ، ويتم التأكد من أنها ليست قريبة من مقبرة أم الحمام ، المقبرة القريبة من بعض أحياء الشمال الجديدة ، فالمقابر صارت عقدها ، أبدى المحامي عجاج استعداده لتنفيذ ما تريد ، بالسرعة القصوى .

عادت لتناول ألد وأطعم عشاء ذاقته في حياتها ٠٠ وجدت اليماني وقد أكل ثلاثة أرباع ما هو على الطاولة ، لا بأس ٠٠ الرجل قادماً من سفر ٠٠ ومن الطبيعي أن يكون جائعاً ، هكذا قرأت موضوع شراسته في الأكل ، أكلت مما تبقى حتى شبعت .

غادرا وهما مسروران ٠٠ سألته أين يسكن ، أجابها أنه يسكن عند قريب له في حي الشفا ، أوصلته المكان ، لم يجعلها تدخل بالسيارة إلى الشارع الفرعي والوقوف أمام باب الفلة ، وإنما اكتفى بالنزول عند محطة الوناسه للوقود ٠٠ على الشارع العام .

لن تبلغ أحداً بالأمر حتى تصدر الموافقة ، هذا ما قررته ، عادت إلى المنزل ، دخلت عليهم ، وجدتهم مجتمعين ، رددوا كلهم بصوت واحد :

- لماذا تأخرت علينا ٠٠ لم نتناول العشاء ٠٠ كنا ننتظرك ؟

- آسفة نسيت أن أبلغكم زرت حسناء هذا المساء وتناولت العشاء معها ، تصبحون على خير ، قالتها ثم توجهت إلى أمل الصغيرة وقبلتها ثم توجهت إلى غرفتها .

استغرب الجميع ٠٠ انشراحها الزائد ٠٠ نومها في وقت مبكر ، استغرباً لم يمنعهم من تناول العشاء بأسرع وقت مبكر ويسمرون من بعدها ومن ثم يهجعون .

لا تبحث الماضي اللي راح / / كل من الناس له ماضي :

مرت أيام عشرة ، جاء بعدها الخبر اليقين ٠٠ بصدور موافقة الزواج الرسمية ٠٠ لعبدته على يُمنى ، الآن دخلت في مرحلة جديدة ، يجب التعامل معها بحنكة ، مرحلة إقناع من لا بد من إقناعه بهذا الزواج ، وعددهما اثنان ، الأول صرّار ٠٠ كونه الولي الشرعي ، والثاني ٠٠ الحسناء الغالية ٠٠ بنت الغالية ٠٠ صاحبة الفضل الأول بعد الله في هذه الملايين التي تمتلكها ، الملايين التي نقلتها إلى كندا وعلمتها اللغة الانجليزية ووسعت مداركها وجعلتها ملمة بكثير من الأمور.

طلبت من أختها والبنتين ٠٠ أن يستعدا غدا صباحاً ، للذهاب إلى قريتهم حرمل ، التي ينتمن إليها ، لتريهم أطلالها والمزرعة التي ولدت هي وأختها بها ، كان الهدف الحقيقي من الزيارة مقابلة صرّار ٠٠ وأخذ موعداً منه لعقد قرانها من ناحية ، ومن ناحية أخرى الانفراد بشقيقتها والبنتين لإقناعهم بتقبل زواجها من خباز خارجا للتو من السجن .

وهم في الطريق أبلغتهم بالخبر ، وأكدت لهم أنها لن تتخلى عنهم ، وأن هذا الزواج لن يعزلها عنهم ، باعتبارهم أهم الناس في حياتها ، ذكرتهم أنها لا تتجرب وأن رجوى وأمل هما ابنتاها ، وعليهم أن يحرصوا على إسعادها كما تحرص على إسعادهم ، تفهمتا البنات وباركتا الزواج بفرح لم تكن تتوقعه ، أما السببة يُسرى ففتحت فمها للحظات ثم قالت :

- يا خوي في من أن دحمان لن يوافق .

- وهل دحمان أتلى عصابة أبوي (ابن عمي) ؟؟ ، يوافق أو لا يوافق ٠٠ لا يهم ، المهم عندي

موافقة صرّار .

وصلا بيت صرّار، رحب بهم ، قام ليعمل بنفسه شايًا مميزًا للمليونيرة يُمنى ، تحسبًا للشبهة ، تبعته يُمنى إلى المطبخ ، بأقل من دقيقتين خرجا وقد بانت سرائرهما ، جيب صرّار منتفخة ، العملة الورقية هي من نفختها ، عمدت يُمنى أن تكون العملة من فئة الخمسين ريال لتبدوا أكثر عددًا ، استأذنوا للذهاب ، وافقهم دون إلحاح ، أعقب ذلك بعبارة :

- على البركة إن شاء الله ٠٠ وانا عندكم يوم غد .

ثم وجه كلامه للسببة يُسرى :

- أريد نوع الغداء يوم غد ٠٠ مرقوق على لحم حاشي ٠٠ مطبوخ مع قرعه.

- ابشريا ولد عمي ٠٠ وهل السببة تعرف غيرها أو لنقل هل تستطيع النطق بغيرها .

خرجوا من دار صرّار وتوجهوا لزيارة الأطلال ، في الطريق سألت رجوى خالتها يُمنى : كيف تم إقناع صرّار ؟ بكل هذه السهولة ، وما الذي جرى في المطبخ ، أجابتها الخالة بأنها قدمت له خمسة آلاف ريال قبل الملكة وستقدم له عشرة آلاف ريال بعدها ، باختصار هذا ما تم الاتفاق عليه في المطبخ .

عادوا مساء اليوم نفسه ، بعد أن قضوا رحلة ريفية جميلة ، أثمرت عن موافقة صرّار على زواج بنت عمه ٠٠ يُمنى بنت آل مقصعة القمل إلى اليماني الخباز .

تبقى موافقة أم الجمائل حسناء زوجة الزحزيح ، ذهبت إليها في اليوم التالي مباشرة ، وجدت زوجها الزحزيح متواجداً عندها ، سلمت عليه بكل حماسة ، أجاب عليها بكل برود ، استغربت ذلك ، لإيضاح هذا اللبس أفادتها حسناء بأن الزحزيح صار ينسى كثيرا ، ويبدو انه لم يتذكرك ، علقّت يُمنى بعبارة : ما علينا ، ثم تطرقت إلى ما أتت من أجله ، رأسها إلى الأرض وبنبرة خجولة قالت :

- تقدم لخطبتي شاب وسيم ، كنت أحبه من قديم .

ما أن قالت شاب ووسيم حتى خرجت من أنفاس حسناء أنه سمعتها يُمنى بكل وضوح ، أعقبتها بقولها :

- على البركة يا يُمنى ٠٠ الله يوفقك ٠٠ من أي حمولة هو (ما اسم عائلته) ؟؟ ٠٠ وما هو

عمله ؟؟ .

- هو يمانى من حمولة آل شايف ٠٠ يرجع نسبهم إلى قبيلة همدان ابن يعرب ٠٠ كان يعمل خباز ٠٠ وبعد الزواج سيصبح مدير أعمالى .

- يمانى وخباز ٠٠ رأيت أن هذه الزيجة غير متكافئة ٠٠ ابحتى عن غيره من أبناء الديرة الراهين ٠٠ أصحاب الملايين ، أنت غنية وجميلة وصغيرة ، المجتمع لن يرحمك أن أنت تزوجته ٠٠ سينظر لك بدونية.

انفعلت يُمنى ٠٠ وارتفعت نبرة صوتها وهي تقول :

- أرجوك يا حسناء ٠٠ لا تكلميني عن المجتمع ٠٠ أين المجتمع عني يوم أجبرت على الأسمر القهوجي زعيط ابن فنو ٠٠ أين المجتمع عني يوم ٠٠٠ أين المجتمع يوم ٠٠٠٠ أين ٠٠ أين

وراحت تقص معاناتها مع أزواجها جميعا ، وكيف أن هوى هذا اليماني والاشتياق إليه ٠٠ كان البلمس التي تبرأ به جراحها الروحية ٠٠ لم يفارقها خياله لحظة واحدة .

ما أن تكلمت يُمنى عن الحب والاشتياق برومانسية شفافة ، حتى لانت حسناء ، وبدت أكثر تفهم ، حتى أنها صارت تسال عن معنى الشوق والحب والفرق بينهما ، تناست أنها الآن من منظومة أسرية ارسنقراطية ، على رأسها الزحزح ، تحترق أرياب المهن الخدمية.

أنهت يُمنى دفاعاتها ، دفاعات موثقة تجعل القاسي يلين ، تأثرت الحسناء وهي ترى دموع يُمنى تنهمر كموسيقى تصويرية لمشاهد حزينة ، قالت بكل تجرد ، توكلت على الله وتزوجيه بأسرع وقت وإلا طلبت الطلاق من هذا المخرف وتزوجته أنا ، ضحكنا وتعانقتا للحظات ثم طلبت يُمنى الإذن لتغادر وأذن لها .

مساكين هن بنات الصحراء ، أجواؤهن الرومانسية متطرفة ، أما حر شديد كما هي حالة يُمنى ، وإما برد قارس كما في حالة الحسناء ، الأجواء المعتدلة لا تشكل نسبة تذكر.

عُقد القران في المحكمة ، وتم تحديد موعد الدخلة بليلة الجمعة التالية ، حجزت جناحاً في فندق الانتركونتيننتال، تم توزيع الهدايا المادية على دحمان وأسرته ، فالهدايا العينية تم الاستغناء عنها خوفاً من الإشهار ، فالزواج يكاد أن يكون سرى ، لم يدع أحد إليه ، ذهب

سائق العروس بعد المغرب إلى حي الشفا ٠٠ بجانب محطة الوناسه ٠٠ ليحضر العريس من بيت قريبه .

يبدو العريس مرتبا ٠٠ هناك من اعتنى به ، رائحته تعج بالدخون التي لم تمنع رائحة الحلبة من أن تفوح من فمه ، على كل حال هو نفذ ما أمرته العروس ٠٠ بأن يرتدي في هذه الليلة ٠٠ غترة وعقال ومشلح ، ولا يرتدي لباسه التقليدي ٠٠ عمامة أو شماغاً أخضر معصوباً على رأسه . أخذ عروسه بسيارتها هي إلى الفندق ، وهي ترتدي الفستان الأبيض ، إستقبلا من العاملين بالفندق استقبالا مميذا .

دخلا الجناح ، هي تمشي في الأمام وهو يتبعها ٠٠ ينظر يميناً وشمالاً ٠٠ الأرض والسقف ٠٠ الورد منثور على السرير ، انزل الغترة والعقال وصار يلتقط الورد من فوق السرير ويردد :
- من قطع الورد هكذا ورماه فوق السرير ، أشتي ألعن والديه.

أحست بضحالة خلفيته وعنف عصبيته:

- يا عبده الورد هذا منثور بالقصد ، لكي يطيب رائحة السرير ويعطي منظراً جميلاً.

لم يتفهم ما تقول ، لمح سلة الفواكه على الطاولة ، حملها ووضعها على الأرض وصار يأكل منها بشراهة .

المنظر غير حضاري وهو يأكل الفاكهة دون تقشير ، حملت السلة وأعادتها فوق الطاولة ووضعت الكرسي بجانب الطاولة وهي تقول له :

- اخلع ملابسك أولاً ٠٠ ثم استحم واللبس ملابس النوم ، بعدها سنأكل الفواكه والمشوي وكل خير ، فوق الطاولة وليس على الأرض.

نفذ الأوامر بكل صعوبة مشروطاً أن يستعجل المشوي، يريد العشاء بعد الاستحمام مباشرة، استحم وتعشى وولع سيجارة مع كأس شاي ، وهذا وقت الحديث الفاضي :

- فلوسك يا يُمنى ٠٠ في البيت وإلا في البنك ؟

- يا عبده الله يهديك هذا وقت الحديث عن المال ٠٠ نحن نعيش ليلة العمر.

- طيب نغير الموضوع ٠٠ من أقوى رجالك الأربعة ؟

- يا عبده لا تبحث الماضي اللي راح ، دعنا نعيش لحضنتنا الحلوة .

-ليه أنت خائفة من الكلام عن ماضي ، أنا مستعد أتكلم عن الماضي الذي أنا عشته.

نقد صبرها وغضبت منه لأول مرة ، وردت باستهزاء غير مبطن :

-من زين ماضيك الله يرحم والديك ، أول عمرك خباز وتطورت وصرت تطبخ حمير

٠٠ وآخر ماضيك ٠٠ خايس بالسجن .

وضع السيجار في طفاية السجاير دون أن يطفئها ملتفتا إليها بغضب لم يبد عليه .

-ماهوّ ٠٠ ماهوّ ٠٠ بالله عيش ما تقولي لي يا يمني ٠٠ ما هو ماضي انت ٠٠ أزواج ثلاثة

كلهم ٠٠ لونهم كالفحمة ، الله رزقش بفلوس التثمين ، وإلا لكنت ما زلت تبيعين آيس كريم

وفشار ، لا تغلطين على يا يمني ٠٠ اغلط عليك ، إذا أنت من آل مقصعة القمل فأنا من همدان

بن يعرب .

ندمت أنها قصة عليها حياتها في المطعم ، ما هذا ٠٠٠ رجل لا يتوانى عن ذكر ما يجرها

٠٠ الله يحلل الحجاج عند ولده ، بحل يا أزواجي السمر ٠٠ هذا الزوج يرد الصاع صاعين . أهو

الجهل أم شعوره بحب يمني له ٠٠ جعله يتمادى بجلافته ، أم تراها العروبة عند اختلاطها

بالرجولة .

يا دافع البلا ٠٠ من أول ليلة تعامل بهذا الصلف ، ماذا سيعمل هذا بعد أن يحول الحول ، أين

تلك الرومانسية الصباحية التي كانت تفوح منه كرائحة الأزهار عند شروق الشمس وهي

تجلب الخبز من مخبزه ؟ ٠٠ أين تلك الهمسات ؟ ٠٠ أين تلك الحباة بالمنطق ؟ ٠٠ واللطافة في

التعامل ؟ .

أحببت العروس ٠٠ قررت أن تطرده في الحال ، لكن الحب أبى إلا أن يدمح الزلة ، خاصة أنها

جرحته أولاً ٠٠ أساءت لمهنته ٠٠ شمتت بسجنه ، ولنكن واقعيين ، أن رده عليها قول صحيح .

يجب إحالة الشجار إلى عتاب ، وهذا ما يجعل العودة قريبة بإذن الله :

-شكرا يا عبده .

قالتها وتغطت وكأنها تريد أن تنام .

ندم العريس على مقولته لولا فلوس التثمين لكنت مازلت تبيعين آيس كريم وفشار ، وما دون ذلك لم يندم عليه ، ولكن الندم لوحده لا يكفي ، لا بد من الاعتذار ، والاعتذار ثقافة لا يعرفها ، وأن عرفها فهو لن يقرها ، فهو من رجال همدان ابن يعرب ، قولهم حق وغيرهم باطل ، الشجاعة والنصر لهم والخذلان والهزيمة لمن جادلهم ، حتى وأن كان هذا المجادل ٠٠ زوجة ٠٠ عروس ، في ليلة عرسها.

أدار تشغيل التلفزيون ، المحطة تبث مسرحية اسمها (إلا خمسة) بطولة الفنانة الراحلة ماري منيب والفنان الراحل عادل خيرى ، تقوم بطلة المسرحية وهي العجوز البدينة ٠٠ بالفنجان على بطل المسرحية الشاب عبده ، وتناديه باسمه أبدو ٠٠ أبدو ، تفنجان آثار حفيظة عبده شايف ، تمنى في قرارات غرائزه أن تكون هذه العجوز البدينة ٠٠ بديلة لعروسه النحيلة النظيفة الطاهرة الصغيرة الجميلة يُمنى ، انتهت المسرحية ونام بجانبها دونما حراك .

ما الذي حدث في هذه الليلة المنتظرة ٠٠ الفتاة الجبارة ٠٠ من دخلت في عراق مع ذبيان ، من ركبت فوق صدر صقر ، لتضربه وجهه بالشبشب ٠٠ من وقفت بجلادة بوجه زعيط ومعيط ويابس ودحمان وخنيفس ، صارت مسكينة بأئسة ٠٠ تحت البطانية ٠٠ تنتظر من خباز جاهل ٠٠ أن يعطف عليها بالحب ، بدأت الخيبة تتسلل إلى روحها ٠٠ فالخوف كل الخوف إذا كان الحب الذي يجمع العريسين حباً من طرف واحد ، فقل على السعادة السلام .

- صباحية مباركة يا عروس .

جملة أيقظتها وهي تسمعها في تمام الساعة العاشرة صباحا من بنت أختها رجوى ، وضمنة فاجأتها بها الطفلة أمل .

-الله يبارك فيك ٠٠ متى جئتوا ؟ أين عبده ؟

- جئنا قبل نصف ساعة ، وعبده خرج .

جلسوا جميعا في صالة الجلوس التابعة للجناح ، إلى أن أتى العريس قبيل العصر ، سأل عن غداء الفندق ، الذي سمع عنه كثيرا ، والمسمى البوفيه المفتوح ، البنتان استأذنتا خالتهما للذهاب ، أذنت لهما .

لحظات صمت ٠٠ بدأ بعدها هو بالحديث ٠٠ وكان لم يحدث أي خصام ليلة البارحة :

- هاه ٠٠ يا يُمنى متى تشتري لي سيارة ؟

فرحت لطلب الحبيب ، يضرب الحب شو بيذل ، الإجابة تقول ذلك ٠٠ وليس الكاتب .

-أولا ٠٠ لا بد أن تتعلم قيادة السيارة ، وبعدها ابشريا عبده ٠٠ هاه ٠٠ يا عبده مبسوط ٠٠

-نعم مبسوط ٠٠ وانت يا يُمنى مبسوطه بعد ما أنا تزوجتك .

-نعم ٠٠ الله لا يفرقنا يا عبده .

لم يتفرقا وعاشا أياماً ٠٠ تجاوز عددها شهر العسل .

سرقني ما دريت انه سرقني / سلبني واحسب إني فاطن له ٠٠

أنا سعيدة إذاً أنا موجودة ، قاعدة اعتمدها يُمنى وليس ديكارت ٠٠ فاذا كان ديكارت لم يجد سوى الفكر ليثبت وجوده من خلاله ٠٠ فيمنى قد ترى السعادة هي وجودها ٠٠ محور حياتها مع عبده ، تقول ٠٠ السعادة مني ولي ، عبده عليه أن يظل بجانبني ، رضي أم لم يرض ، أحبه ٠٠ ويسعدني وجوده معي ، مثلي كصاحب الطير الذي يقتني طيره ، يوازي حبه له حبه لأبنائه ، يعتني به ، المهم عنده ٠٠ عدم نسيان السبوق (حبل لربط الصقر لكي لا يذهب عن صاحبه) ، إن جاع أعطي حمامة لتسد رمق جوعه ، وقبل أن يعطى الوجبة الثانية عليه أن يشعر بالجوع ، طير لا تريد منه ان يصطاد له حباري بل تريده على وكره صبح مساء .

تم شراء فلة في أحد الأحياء الراقية شمال حي أم الحمام ، اشترت سيارة ، وتم تسجيل ملكيتها باسمها ، مصروف الجيب يومي وأحياناً أسبوعي ، ولكنه لا يصل أن يكون شهرياً ، تحمّل الجلافة مستمر مع محاولة التعديل بأسلوب لين .

الخباز لديه طموح ، لن يسكت على هذه الحال :

-أنا أشتي أعمل وأكسب بيمينني ٠٠ وتكسبين معي ، الفلوس عندك يا يُمنى، ابن عمي قائد علي مقاول فلل وعمائر ، ما رأيك نُعمر فلل أو عمائر ثم نبيعه ، نكسب في كل مشروع مائتي ألف ريال ٠٠ على أقل تقدير في أقل من سنة .

مشروع بناء الفلل ومن ثم بيعها مشروع آمن والكسب معقول لاسيما أن رأس المال بدأ في التناقص ، وعبده سيكون عيني على هذا المشروع ، بهذا أضمن تواجد الزوج تحت إمرتي مع نمو في الأرباح .

خلاصة تفكير يُمنى قبل أن ترد على مقترح عبده :

-موافقة يا عبده ، لكن شراء الأرض، يتم عن طريق المحامي ، هو من سيبحث عن المكان المناسب ويكمل إجراءات إفراغ الأرض ، وهو من سيوقع عقد التنفيذ مع ابن عمك قائد علي .

- ما هوّ ٠٠ ما هوّ ٠٠ ماشي تعطيني وكالة وأشرف على العمل ٠٠ وأسلم المبالغ أنا بنفسني ،
- لو يطلع أبوي من قبره ٠٠ ما عطيته وكالة ، أما الإشراف وتسليم المبالغ فلأنك زوجي
وحبيبي ، أكتب الشيكات للمقاول ولمحلات بيع مواد البناء وأنت من يوصلها.
- وأنا ما هو مكسبي من جهدي هذا كله
- راتب شهري قدره سبعة آلاف ريال كمدير للعمل ، تذهب بعد الإفطار بنصف ساعة
وترى ماذا تم في المشروع وتعود .

وافق على مضمض ، الأمور تسير بشكل حسن ، الزوج سيعمل ، وهي ستستثمر ، والمال
محفوظ بألية : ما تخرش الميه ٠٠ على رأي الإخوة المصريين ، والسعادة تغمر البيت ، رغم عدم
وجود أطفال ، فالحيوانات التي تربيتها ملأت جزء من الفراغ العاطفي لديها ، خاصة الكلب
الألماني الذي أسمته : أبو الوفاء ، بعد أن أثبت وفاءه ، عندما عرض حياته للخطر يوم تعارك مع
ثعبان يريد الدخول مع النافذة إلى المنزل حتى قتله .

على بركة الله تم العزم ، والعزم توأمه العمل ، والعمل يجنى الأرباح ، أشتريت الأرض وعمرها
المقاول قائد علي ، وبيعت بمكسب مائة وثمانين ألف ريال ، والمدة كلها لم تتجاوز السنة
وشهرين .

تكررت العملية وتكرر الربح ، والزوج في أحضان المنزل يرى الشيكات صادرة واردة ،
ولكي تسلم من عينه وحسدها ٠٠ صارت تعطيه بين وقت وآخر ٠٠ شيك لا يحتوي على مبالغ
كبيرة ، هدية منها ٠٠ خاصة عند البيع .

اقترح المحامي ٠٠ أن تحصر جهدها وجهد عبده وجهد المقاول الرابع على الدوام قائد علي في
جهد واحد ، يتم الاستثمار في بناء عمارة كبيرة واحدة ، متعددة الأدوار ٠٠ تطل على شارع
تجاري ، سيكون الربح أكبر بلا شك عند البيع ، وإن رغبت أن تؤجر فالشقق فيها سيكون
عدها كبير ومردود أجارها مغري .

أعجبت بالفكرة وبدأ تنفيذها بالحال ، اشتريت أرض كبيرة على شارع عمومي بأكثر من
مليون ريال ٠٠ ووقع العقد مع المقاول قائد علي ، بدأ العمل ، بالشطارة اعتلى البنيان ، وأمنت

مواد البناء أولاً بأول بالدفع الفوري ، الرصيد شارف على الانتهاء ، لا بأس فقيمة هذه العمارة عند البيع ستكون بالملايين ، يعيد الرصيد إلى سابق عهده ويزيد ، وأن غلبت الروم وتعثرت عملية البيع سيتم تأجير الشقق ، فيصبح دخلاً سنوياً يجعلها تعيش في بحبوبة تحسد عليها ، أطلقت على العمارة ٠٠ اسم عمارة العز ، وطلبت من عبده أن يحضر اسم العمارة على بلاطة رخام كبيرة . تثبت فوق بابها الرئيسي .

بعد هذا كله ٠٠ لا بد من إجازة ، فلبدتك عليك حق ، وللبنتين حق في السفر إلى خارج البلاد لقضاء عطلة نهاية العام ، فرجوى أنهت المرحلة الثانوية وستلتحق في الجامعة هذا العام ، وأمل انتقلت إلى الرابعة ابتدائي ، وقبل هذا وذاك فهي ترى أن مرور خمس سنوات خلت دون سفر ٠٠ خطأ ارتكبه ، صحيح أنها مضت سعيدة ، وأثمرت عن عقار يقيم بالملايين وزوج جميل ٠٠ متيمة به ٠٠ يرى صبح مساء ، زوج ساهمت هذه السنوات بتأقلمه مع البيئة المحلية لبسا ولهجة ، وصار لباسه محلياً ولهجته كلهجة أهل حرمل ، فإذا جلست معه لا يمكن لك أن تقول أن هذا يمانى كان خبازاً في يوم من الأيام .

بدأ الاستعداد للسفر ، اشترط دحمان أن لا يذهب عبده معهم للسفر ٠٠ فمحارمه لن تأخذ راحتهم وهو ملازماً لهم ، عرضت يُمنى الأمر على عبده ٠٠ الذي وافق دون تردد فالرجل ليس لديه رغبة في السفر ، عزوف استغربه يُمنى ٠٠ ولكنها فرحت به ، فالرحلة للبنتين ولا مانع إن رافقتهم أمهم السببة يُسرى وزوجها دحمان ، أما عبده ٠٠ له رحلة خاصة أخرى ٠٠ تأتي لاحقاً ، حددت الوجهة لندن باريس سوريا لبنان ، والمدة ثلاثة أشهر ، ذلك يعني أن السفارة ستشمل الإجازة الصيفية بالكامل .

حان وقت السفر ، أوصت عبده على أن يكون على اتصال معها بشكل مستمر ٠٠ وأن يهتم بحيواناتها المنزلية ٠٠ الأسماك والبيغاء والكلب الألماني أبو الوفاء ، فهذه الحيوانات تقتل لديها الملل وتؤنس وحدتها ٠٠ لذلك تحرص على حياتها .

وصل القروب السياحي أولاً ٠٠ إلى لندن ٠٠ قضى أيام معدودة ثم توجه إلى باريس ، استمتعوا كثيراً فيها ، مضت الأيام بسرعة ، انقضى من المدة أكثر من نصفها ، لا بد من إكمال برنامج

ألرحله ٠٠ عادوا إلى سوريا لأيام ٠٠ ثم انتهى بهم المطاف في لبنان ، لأكثر من شهرين ويُمنى غائبة عن عبده ٠٠ اشتاقت إليه ، اتصالتها به بين وقت وآخر ٠٠ كان يخفف لوعة الشوق له ، إلا أنها في المرحلة الأخيرة ٠٠ تعيش قلقاً لا تظهره ، مر أكثر من أسبوع وهو لا يرد على اتصالاتها ، ما الأمر ، اتصلت على المحامي تسال عنه فأفادها انه لم يره منذ مدة ، زاد القلق ، بقي على الرحلة أسبوع حسب الجدول المقرر لها ، قررت أن تعود قبل انقضاء هذا الأسبوع ، أبلغت القروب فوافقوا دون تردد فالأيام التي قضوها كانت كافيته لإشباع متعتهم السياحية ، عملت ترتيبات العود ليوم غد السبت ، السابعة صباحا .

حطت الطائرة الساعة التاسعة ، استقلوا ليموزين للركاب وآخر للعفش ، توجهوا أول ما توجهوا إلى فلة يُمنى ، اختصارا للطريق استخدم سائق الليموزين طريقا يأتي من الجهة الشمالية لفلة يُمنى ، رأت سوراً كبيراً ، سألت دحمان عنه ، أفادها انه سور مقبرة أم الحمام ، صاحت به :

- لماذا لم تخبرني أن موقع الفلة قبل شراؤها قريب من المقبرة .

- يا يُمنى المقبرة ليست قريبة من الفلة ، صحيح أنها في الحارة المجاورة ، ولكنها لا تعتبر بنفس الحي.

- ولو ٠٠ أنت تعرفني ٠٠ كرهت السكنى بجوار المقابر.

- مقبرة أم الحمام تختلف عن مقبرتي ثليم والعجلية ، مدفونها سلالات راقية ٠٠ علما ومالاً ومكانة ، وفي نهاية الأمر ٠٠ هم أموات ولا خوف من الأموات ٠٠ ولا يجوز عليهم سوى الرحمة .

تشاءمت كما كان يتشاءم أجدادها العرب حينما يرون الغراب صباحاً ٠٠ فلا يخرجون ذلك اليوم ، ولتطرد هذا التشاؤم قالت : الله يستر .

وصلت الفلة ٠٠٠٠٠٠٠٠ بالغرابة هناك سيارة أثاث ٠٠ تنزل أثاث جديدا للمنزل ، دخلت بسرعة يتبعها الباكون إلا دحمان فقد اهتم بالحقائب وظل يحرسها ٠٠ خوفا من سائقي الليموزين . سيارتها الشبح ليست موجودة ، وجدت شاباً يافعاً يوجه العمال لتركيب العفش ، استغرب الشاب وقبل أن تسأله سألها :

- خير إنشاء الله من أنتم وماذا تريدون .

أجابته يُمنى بسرعة.

- أنت الذي من أنت ٠٠ وماذا تعمل في منزلي .

- المنزل ملك لنا ٠٠ اشتريناه قبل شهر ونصف من الآن .

- أنا صاحبة المنزل ٠٠ وكنت مسافرة ٠٠ ولم أبع بيتي على أحد.

ارتبك الشاب واتصل هاتفيا بوالده وأخبره بما قالت يُمنى ، وجه والد الغلام الجميع بانتظاره ، ما هي إلا دقائق حتى وصل الأب ومعه نسخة من الصك ونسخة من وكالة من باعه المنزل وقبض ثمنه .

يا لهول المفاجأه ٠٠٠ يا للمصيبة ، قرأت الوكالة والتي تتص على توكيل يُمنى آل مقصعة القمل لزوجها عبد شايف ابن همدان ابن يعرب ، وكالة عامة ٠٠ له حق البيع والشراء والاستلام والتسليم ، تحققت من الشهود الذين كذبوا معه عليها ، إذ بهما شاهدان تعرف اسم عائلتيهما فقط ، أنها عائلة خلوي ٠٠ وهي نفس عائلة صبحا جارتهم الجميلة ٠٠ التي آوت عبده عندما هرب من عقاب زعيط له ، الشاهد الأول اسمه دوني خلوي والشاهد الثاني يدعى دنفوس خلوي.

كاد يغمى عليها ، سألت عن صندوق التجوري الخاص بمحتوياتها من مجوهرات وصكوك وأوراق ، أجابها المشتري بعدم وجوده ضمن البيعة ويمكنها أن تتأكد بنفسها.

عادت أدراجها إلى سيارة الليموزين التي تنتظر في الخارج ٠٠ ودموع الكبرياء تتسابق ، لا تود أن يطلع عليها أحد ، غدر بها الحبيب ، ولكن لا بأس ربما هناك أشياء لا تعلمها ، صعدت إلى السيارة وهي تقول لدحمان :

- اذهبوا إلى البيت ، وأنا سأذهب إلى المحكمة ، لأقابل كاتب العدل ، الذي كتب الوكالة وأقرها ، عسى أن أتمكن من مقابلته قبل أن ينتهي وقت الدوام .

توجهت إلى المحكمة ، وهناك توجهت مباشرة إلى مكتب من حرر الوكالة واعتمدها ، بعد أن استفسرت عنه من مكتب استعلامات المحكمة ، أذن لها كاتب العدل بالدخول مباشرة بعد أن أبلغه السكرتير بوضعها المنفعل وأطرافها التي ترتجف .

- نعم يا بنتي .

مدت له صورة الوكالة التي زودها المشتري بنسخة منها وهي تقول:

- هل فضيلتك من حرر هذه الوكالة.

أجابها بعد أن تفحصها بنعم .

-ولكنني أنا يُمنى وكنت مسافرة منذ ثلاثة أشهر ولم أوكل زوجي .

-الوكالة عملت قبل ستة اشهر وليس ثلاثة أشهر.

-لو عملت قبل سنة ٠٠ انا لم أوكل زوجي ، هل تعرف يا كاتب العدل أنه باع فلتني وقبض

المبلغ ولا أعلم أين هو الآن.

-ولكن هناك شهود عدول ، مثبتين في الوكالة على أنك أتيت أنت .

-هل تؤكد وتحمل ذمتك أنني من أتاك واقرب بالوكالة .

-لا يمكن أن أتذكر كل من عملت له وكالة خلال ستة أشهر ٠٠ ولذلك سنطلب

الشهود للحضور والتأكد ٠٠ وسنعاقب الشهود إذا كانوا شهود زور .

وجه السكرتير بإعطائها بلاغ ٠٠ يطلب فيه من الشاهدين المثول أمامه يوم بعد غد .

- لماذا ليس يوم غد ؟

-يوم غد لدي مناسبة ولن آتي إلى العمل .

-ولكنني لا أعرف عنوانهم.

عاد كاتب العدل لدفتر الضبط وقرأ عليها عنوان الشهود ، حي الشفاء خلف محطة الوناسة

للقود .

آه ٠٠٠٠ هذا العنوان الذي أنزلت فيه عبده يوم أن أتى من اليمن على كفالتها ، كان الخائن يسكن عند أهل صباحا ، همت بالمغادرة بعد أن سلمها السكرتير الاستدعاء ، التفت إلى كاتب العدل تريد منه أن يطمئنها ، سألته :

- وأن لم يحضرا يوم غد ؟

- أبلغهم أننا سنحضرهم بالقوة .

خرجت تسابق الزمن ، وصلت حي الشفا ، طرقت باب أفادها صاحب محطة الوناسة للوقود ٠٠ أنه بيت عائلة خلاوي .

خرج شاب لون بشرته أبيض على أحمر ، فيه من تشابيه صباحا الشيء الكثير ، سألها :

- نعم ٠٠ من أنت ٠٠ وماذا تريدين ؟

أجابته بتساؤل :

- هل عبده شايف موجود في الداخل ؟

- لا ٠٠ عبده سافر إلى اليمن قبل أسبوع ٠ لم تجبيني ٠٠ من أنت وماذا تريدين ؟

تأكيد سفر عبده ٠٠ معلومة صادمة ، أكدت حقيقة الغدر ٠٠ لا بأس ٠٠ القاضي سيكشف الشهود وسيرد لي حقي بعد أن يجلبه مكبل اليدين .

- أريد دوني أو دنفوس .

- أنا دنفوس .

- خذا هذا استدعاء من المحكمة وأن لم تحضر أنت وأخوك يوم بعد غد ، فسوف تأتي

الشرطة لأخذكما بالقوة .

أخذ الشاب الاستدعاء وهو شبه خائف .

عادت إلى الدخل المحدود ، وهي في الطريق تذكرت راس مالها الوحيد ملايينها التي صرفتها كلها في عمارة العز ، يا للكارثة أن هو باع عمارة العز ٠٠ ماذا سيتبقى لي ، وسواس دفعتها إلى الطلب من صاحب الليموزين أن يذهب إلى العمارة فوراً.

وجدتها مقفلة ، زاد الخوف لديها ، لم تجد من يشفي غليل قلقها .

عادت إلى الدخل المحدود وهي تحمل بصيص أمل ، بأن تكون العمارة خارج عملية الغدر التي تعرضت له .

. وجدت البنيتين وأمهما ينتظرانها على أحر من الجمر ، أما دحمان فتصنع الاهتمام، بدا واضحاً ذلك عليه، لم تذهب إلى الغرفة ٠٠ تذكرت الآن المحامي عجاج، اتصلت عليه تستفسر عن خبر الوكالة والبيع ، تفاجأ بالخبر ٠٠ أفادها بأنه على غير علم بما حدث ، وأنه لم ير عبده سوى مرة واحدة ، تلاقيا صدفة عند العمارة ، أبلغته أنها قلقة على العمارة وعسى أن لا يكون مصيرها مصير الفلة ، وعليه أن يتحقق من سفر عبده فهي لم تعمل له تأشيرة خروج

الترقب لإعلان الانهيار ٠٠ أشد إيلاماً على الجهاز العصبي ٠٠ من وقوع الانهيار نفسه ، صارت تلف المنزل غرفة غرفة ، لا تجلس في مكان ، ترمس القهوة في يدها اليسرى والبنجال في اليد اليمنى ، تجلس بجانبها البنتان ، رجوى تعض على شفيتها من الحسرة ، والطفلة أمل تمسك بيدي خالتها بين وقت وآخر ، هنا تذكرت سائقها الهندي كومار ، طلبت من دحمان أن يوصلها إلى موقع فلتها لتسال عنه ، وصلت موقع الفلة ، سألت سائق الجيران ٠٠ فأفادها عن مكان إقامته مع جماعته الهنود في حي غبيرة ، توجهت إليه ، وجدته ٠٠ فرح بها :

- أهلاً ماما ٠٠ كيف حال ٠٠ متى يجي .

لم تجبه بل طلبت منه الصعود إلى السيارة وسألته ٠٠ كيف تم بيع المنزل وطلبت منه التفصيل الدقيق .

استغرب في البداية عدم علمها للبيع ، فعنده أبلغه أن البيع قرارها هي ٠٠ ثم بدأ بسرد ما حدث .

أهم ما جاء في إفادته ، أن البيت عرض بعد مغادرتها فوراً ٠٠ ولمدة شهر ونصف ، ولدى أكثر من مكتب عقار ، عبده كان متواجداً طوال الوقت في الفلة ، يستقبل الزبائن الراغبين في مشاهدة المنزل قبل البت في شرائه ، بعد شهر ونصف تمت البيعة وسلم المنزل للمشتري ، بعدها طلب منه عبده تسليم مفتاح السيارة وأعطاه الضوء الأخضر للذهاب أنى يشاء ، فذهب إلى حي غبيرة ، هذا كل ما يعرفه الهندي كومار ، معلومات عادية ، يهمنى الآن معرفة مصير راس المال ٠٠ عمارة العز ٠٠ هل تم بيعها بالوكالة أم لا ، وهل أصبحنا على الحديدية ، أيد وراء أيد قدام . عادت إلى بيت أختها في الدخل المحدود ، ومعها سائقها كومار ، أعطته مفتاح السيارة العائلية التي تعود ملكيتها لدحمان اسما ، بينما المالك الحقيقي الذي دفع مبلغ شرائها فهي يُمنى ، بعد غد صباحاً ستفرج ، القاضي سيحضر عيال خلاوي دونى ودفوس ٠٠ ويسجنهم حتى يحضروا من كذبت أمام كاتب العدل وتقمصت دورها وأقرت بتوكيل عبده ، والأقرب أنها صباحاً بنت خلاوي ، عندما تُحضر سيسجنها القاضي حتى تدله على مكان عبده ، وإذا عرف مكانه هنا أو في اليمن سيُجلب إلى سجن المحتالين العامر ، وبكل سهولة ، وعندها سيرد كل ما استولى عليه ، أحلام راودتها ، نامت وهي تكررهما .

الساعة الثامنة من صباح الأحد تنتظر تطمينات المحامي عجاج عن وضع العمارة . لم تتناول الإفطار كما في السابق ٠٠ فالمعدة صامتة عن الزاد ، واكتفت بشرب القهوة العربية الأصيلة ، لم تتأخر الإفادة ، عند الحادية عشرة جاء جهينة بالخبر اليقين ، العمارة تم بيعها ، وقبض ثمنها عبده البالغ ثلاثة ملايين ونصف وسافر دون تأشيرة خروج (تهريب) ، باعها الحرامي بسعر رخيص جداً ليضمن زبون بأسرع وقت ، فقيمتها السوقية تتجاوز الأربعة ملايين ونصف .

خرت شبه مغشي عليها ، أسرعت أختها السببة يُسرى ترشها بماء العزيمة (ماء تف فيه شيخ وهو يقرأ) ، استعادت وعيها ٠٠ صارت تتمتم بكلمات غير مفهومة ٠٠ الوضع أشبه بحالها يوم رأت صقر بملابس امرأة ، الصدمة هذه المرة أكبر ٠٠ فالزوج يبدل ولكن الملايين إذا ذهبت فأنها لا تعود ، خاصة بجهد امرأة .

-أهم شيء صحتك ياخاله .

رجوى ترجيها .

- إذا سلم العود الحال تعود .

أختها السببه يُسرى تتصحها .

صحت لنفسها وتذكرت انه لا يزال هناك بصيص أمل ٠٠ فكاتب العدل ألمح لها أنه سيعيد
حقها إذا ثبت كذب الشاهدين ، الحل غدا ويا خوي في فوائدي من غد.

حكم الكاتب ٠٠

اليوم الاثني يوم مواجهة الشهود ، ذهب معها دحمان ورجوى ، أقبل الشاهدان الساعة العاشرة بالتمام والكمال ، الصدق في المواعيد لدى الشهود أهم من الصدق في الإدلاء بالمعلومات ، تواجدوا جميعاً أمام القاضي .

- هل أنتما دوني ودفنوس الموقعان أمامي على هذه الوكالة وشهدتما على أن هذه الجالسة أمامي يُمنى آل مقصعة القمل قد وكلت زوجها عبده شايف ابن همدان ابن يعرب وكالة عامة للبيع والشراء والاستلام والتسليم .

- نعم يا كاتب العدل ٠٠ نحن من وقعنا ٠٠ وهذه المرأة هي من كانت حاضرة أمامك وأقرت بالوكالة ونحن نعرفها منذ كانت تسكن مجاورة لنا بجوار مقبرة ثليم .
- كذابين يا كاتب العدل ٠٠ أقسم بالله أنهما كذابين .

قام الكبير دوني من كرسيه وصاح بها :

- نحن لسنا كذابين نحن أبناء خلوي المسمى على راشد الخلاوي المعروف لدى أهل الصحراء بأنه لا يكذب أبد ، حتى حينما حاولوا أن يوقعوا فيه ليكذب ورحل قوماً أمام ناظريه في الصباح الباكر ٠٠ يهدمون بيوت الشعّر ويحملونها على النوق وإذا ابتعد بينون البيوت مرة أخرى ، ليقابله رجل بعد أن يغادر المكان ويسأله عن العرب الذين صادفهم في طريقه ، هل هم رحلوا أم هم نازلون ٠٠ فيجيب ببيت شعر فيه كل الحرص على الصدق : **البدو شدوا ولا مدوا / ورحيل البدو مراوات** ، إن والدي ونحن من بعده لا نكذب ولذلك سمي والدي على هذا الصادق ، وتقولين بعد ذلك أننا نكذب ٠٠ ثم التفت إلى منصة كاتب العدل وهو يتساءل :

- ألم تسمع يا كاتب العدل عن راشد الخلاوي وصدقه؟

-أجاب الكاتب :

- ما شاء الله ، نعم لقد سمعت عنه وقرأت عنه كثيراً ، ومن لا يعرف الخلاوي .

-نحن مثله لا نكذب ٠٠ وعندما نقول أن يُمنى وكَلَّت زوجها فذلك يعني أنها وكَلَّت زوجها.

لم تتمالك يُمنى أعصابها ، وقفت وقربت من منصة كاتب العدل و بصوت جهوري قالت:

- ما هذا الكلام ؟ ٠٠ شدوا ولا مدوا ٠٠ وأبونا مسمى على راشد الخلاوي ، حنا هنا في

مضارب البادية ٠٠ أنا حلالي كله انسرق ٠٠ بمشاركة هاذين الواقفين وأختهما صباحا التي

قامت بتقمص شخصيتي أمامك ٠٠ وأنت تتحدث عن صدقهم ٠٠ أقنعاك بدليلهم القولي ٠٠ أن

أباهم سمي على راشد الخلاوي ٠٠ ما هذه الخرابيط ؟

-تأدبي يا بنت ٠٠ الشهود عدول ، أكدا أنك من وكَلَّت زوجك ، وأن كان قد خدعك بعد

ذلك فأقيمي عليه دعوى لاسترداد حَقك .

-أين أقيم عليه دعوى وهو في اليمن ، هل ستحضرينه إلى هنا إن أنا أقمت دعوى عليه ؟

-لا لا لن نحضره ٠٠٠٠٠ تقام الدعوى على المدعى عليه في أرض المدعى عليه ، فاذهبي

إلى اليمن وارفعي قضيتك هناك .

-أنا امرأة كيف لي أن أذهب وأنا لا اعرف أين مكانه في اليمن .

-هذا ليس شاني - انتهت الجلسة .

لم تستطع مواصلة الوقوف جلست وهي تتمتم بكلمات انجليزية:

You are thinking a superficial / لم نفهم منها إلا عبارة تفكيرك سطحي ،

انطلقت لها رجوى ، تريد إسكاتها خوفا من ردة الفعل ، استغل دنفوس الموقف وتداخل

للتحريض :

- يا كاتب العدل أظن أنها تشتمنا باللغة الانجليزية ، كأنها تقول أننا لا نفهم .

-لا أظن ذلك ٠٠ فانا أفهم اللغة الانجليزية ٠٠ فهي لم تقل stupid (غبي).

عضدت لها رجوى لتخرجها قبل أن تسوء حالة الانفعال لديها ٠٠ ويحدث تراشق تُعاقب عليه ،

خرجت من المحكمة بخفي خنين .

استمرت في التمتمة والحديث الانفعالي غير الموزون كقولها وهي تحدث نفسها :

-لماذا لم يختبر صدق الشهود ٠٠ بعرض نساء معي ٠٠ يتحدثن أمام الشاهد ٠٠ ويقال لهما

أيهن يُمنى ٠٠ لماذا لم يأت أي طاري للأنتربول ٠٠ لإحضار السارق الهارب ٠٠ لماذا أموالني مودعة

في أحد بنوك اليمن الآن ٠٠ ولا يحجز عليها ٠٠٠ ضحكت بعدها ، ما أخاف رجوى ٠٠ صارت تسمى عليها ، تحول الضحك بعدها إلى بكاء ، بكاء الخائبات .

لماذا أنت خائبة يا يُمنى ، هذا ما جنته يداك ٠٠ ألم نحذرك من الغدر الجنائي للرجال ، ما بالك لا تتعطين ، ولكن لا بأس ٠٠ أوقفي البكاء ٠٠ مركبك لم تغرق بعد ، إنها الآن في قاع المحيط ، تقف بجانب قوارب أخواتك من النساء ، ستبدؤون حياة جديدة ، حياة سنطلق عليها مجازا مقبرة الماء .

يمكنك استنشاق الحرية فيه وأنت في القاع ، عبر قناع حديدي ، مثبت فيه ماسورة ، تمتد إلى الأعلى ٠٠ حتى تصل إلى سطح البحر ، ليدخل منها الأكسجين ، يصنع هذا القناع في الصناعية .

ما يخص رصيدين المالي وتجارتهن ، لا تخفن عليه ، فهو في أمان ، فما عليك سوى أن تضعنه في صندوق مزركش به قفل كبير .

أما معضلة ممارسة الرياضة فقد انحلت وانتن تحت الماء ، من حولكن الأسماك كثر ، يمكنك اللعب معها .

بقيت معضلة اختلاطكن بالآخرين ، بهذا الخصوص نبشركن أن الوفود ستتوافد عليكم تباعا وأنتن بجانب قواربكن تحت الماء ، وفود مهمتها زيارة الآثار القديمة ، انتظروهم ، حال انتهائهم من حفريات مقابر الفراعنة ٠٠ سيأتون إليكن ويختلطون معكن .

إبقن تحت الماء ولا تحاولن الطفح فوق السطح فالقناصة هناك يخطفون السفن ومن عليها من النساء .

توقفت عن البكاء ، كأنها قررت شيئاً ، طلبت من دحمان التوجه إلى البيت ثم إلى البنك ، سألتها رجوى عن السبب ، أبلغتهم عن نيتها السفر إلى اليمن بأسرع وقت ، وإقامة الدعوى عليه هناك لاسترداد ثروتها ، سحبت عشرين ألف ريال ، الرصيد المتبقي يتناقص وهي لا تشعر ، فمجمل ما تملكه الآن ٠٠ هو مائة ألف ريال فقط ، كانت ١٥٠ الف قبل السفر صرفت في سفرتها ثلاثين ألف ريال والآن عشرين .

وصلوا إلى البيت ٠٠ تم استبدال دحمان بالسائق كومار وإحضار جواز السفر، تريد أن تذهب إلى مكتب الطيران وتشتري تذكرة ، وتحجز مقعداً لها ٠٠ على أقرب طائرة .

صار موظف المكتب السياحي يقلب أوراق الجواز، سألها:

- أين كرت الإذن بالسفر ٠٠ فالكمبيوتر لا يقبل حجز المرأة بمفردها دون أن يدخل رقم

الإذن

- ما الهدف ٠٠ والإذن ممن ؟

- الهدف هو منع المرأة من السفر دون محرم ، أما الإذن ٠٠ فيعطى من زوجك إذا كنت

متزوجة ، أو من وليك إذا كنت مطلقة ٠٠ والدك أو أخوك الكبير إن كان والدك متوفى .

- بما يخص منع السفر دون محرم فأنا سافرت إلى الوادي براً لوحدي ومع سائق أجنبي ولم

يعترضني أحد ، أما ما يخص إعطاء الإذن من زوجي ، فزوجي هرب منى ، ووالدي متوفى

وليس لي أخوان ، لي ابن عم كان ولياً لي ٠٠ قبل الزواج .

- سفرك لوحدي مع أجنبي لبلدة داخلية في السيارة لا يترتب عليه مخاطر وشبهات ٠٠ أما

سفرك لبلدان خارج الحدود ففيه مخاطر وشبهات ٠٠ ربما ينالك منها خطر عظيم بعد عودتك ،

أما ابن عمك وولايته السابقة عليك ٠٠ فقد انتهت بعد أن تزوجت ، وعلى العموم اذهبي إلى المطار

واعلمي حجزك من هناك ٠٠ فالمختصون يمكنهم مساعدتك .

غادرت بالحال إلى المطار دون أن تعلق ، قصدت المسؤول الأول ، صاحب الصلاحية والخبرة في

هذه الأمور ، سلمت عليه ، أخبرته بسبب ذهابها إلى اليمن وأنه لا يمكن أن تستخرج إذن سفر

والزوج غائب ، بكل جراءة وعدم تعاطف مع مشكلتها ، أفادها باختصار ، أنه لا يمكنها

السفر دون إذن ، وإن أرادت إعادة الولاية لابن عمها صرّار ليأذن لها بالسفر ٠٠ عليها أن تخلع

زوجها ٠٠ عبر رفع دعوى ضده في المحكمة ، بحجة غياب الزوج ٠٠ وبعد أربع سنوات تخلع منه ،

وعندها يصبح صرّار ولياً عليها .

توقف تفكيرها عن العمل لثواني ٠٠ صممت بعدها لثواني أخرى ، لعت بصوت الهجيني لبيت

كانت أمها دوماً تردده ٠٠ عندما كان زوجها يسيء معاملتها ، غنت دون خجل ، حتى أن من

كان خارج المكتب سمعها ، أنشدت بتلحين :

يا عيني هاتي وأنا بجيب / ما يجتمع صبر وإسكاتي

وقف المسئول من كرسيه وصاح موجه كلامه لرجوى :

- اسكتي قريبتك هذه ٠٠ يبدو أنها مجنونة ، أسكتيها وإلا ٠٠ سوف أتصل على الدفاع المدني .

ردت يُمنى بسرعة :

-ليه الدفاع المدني ٠٠ قالوا لك أنا حريقة تطفئني .

قالتها وضحكت بعدها ضحكة هستيرية.

غضب المسئول من الاستهزاء به وقال .

- يبدو أنك غير طبيعية ، متعاطية ممنوع ، إذا لم تغادري مكثبي الآن سأتصل بالهيئة .
ما أن سمعت طاري الهيئة حتى غادرت المكتب ركضا ورجوى تلحق بها لحقا .
ابتسم المسئول وهو يردد عبارة ليست من البيئة : **ناس تخاف ما تختشيش** .

عادت إلى قواعدها بالدخل المحدود غير سالمة ، فالتفكير بدا مشوشاً ، يعطي موجات متداخلة مع بعضها البعض ، اليأس المطلق دب فيها ، قصدت غرفة رجوى ، أقفلت الباب عليها ، نهارها كله ، وجزء من الليل ، الطفلة أمل تجلس بجوار الباب ترجيها أن تفتح الباب ، الكل خائف عليها ، ترضخ أحيانا لمناشدة أختها السببه يُسرى لتناول القليل من الطعام ، تكثر من شرب القهوة ، أين المحامي جيرالد يحضر لها الطبيب الذي عالجه من صدمة سلوك صقر الأنثوي ، العلاج في الدخل المحدود لمثل هذه الحالات مختلف ، يتمثل في ترك المريض طالما أنه لا يشتكي من آلام جسدية ، فالآلام النفسية رجس من عمل الشيطان ، ترك جعل الاكتئاب يتمكن منها ، بدا ذلك واضحاً بعد مرور أسبوع من خلال محادثتها لنفسها دون مناسبة ٠٠ أو النوم على الأرض في أوضاع غير طبيعية .

رجوى وأمل ٠٠ أكثر القلقين عليها ، تبحثان عن تسليتها بأي طريقة ، اقترحت الطفلة أمل على أختها رجوى ٠٠ أن تشتريان لها حيوانات أليفة علها تسليها ، فهي تحب العناية بالحيوانات ، عرضوا عليها الفكرة ، استحسنتها في الحال وتذكرت حيواناتها ٠٠ الببغاء والأسماك والكلب أبو الوفاء ، لم لا تذهب إلى المشتري الذي اشترى الفلة وتطلب منه استثناء حيواناتها من البيعة ، وأن رغب دفعت له نقوداً .

توجهن الثلاث ٠٠ الخالة والبنتان إلى الفلة ، خرج لهن نفس الشاب الذي أبلغها عن شراء الفلة أول مرة ، حدثته عن موضوع الحيوانات فأفادها أن الأسماك قد ماتت ٠٠ أما البيغاء فلم يعد يتكلم مما اضطرهم لبيعه ٠٠ أما الكلب أبو الوفاء فقد استحرموا وجوده في البيت ٠٠ واستحرموا كذلك بيعه ٠٠ فقاموا بتسريحة في الشارع ٠٠ وقد وجدونه في مقبرة أم الحمام ٠٠ مع الكلاب الضالة .

توجهت إلى المقبرة وهي كارهة . وجدت العمال الهنود يحفرون القبور استعدادا لاستقبال الأموات بعد صلاة الظهر ، سألتهم عن الكلاب الضالة ، أفادوها بأن الكلاب لا تأتي إلا ليلا ٠٠ أما في النهار ٠٠ فهي تذهب إلى مكان ترمى فيه مخلفات البناء ٠٠ شمال شرقي المقبرة ، توجهت إليه فورا ، ما أن رأت الكلاب الضالة السيارة مقبلة عليهم حتى أتوا ينبحون ، كلهم ألوانهم حليب على شاي (لون محلي) إلا أبو الوفاء ٠٠ لونه بني غامق (لون أوروبي)، ترجلت من السيارة ليعرفها ٠٠ وصارت تناديه:

-أبو الوفاء ٠٠ أبو الوفاء ٠٠ أنا يُمنى .

أبو الوفاء استمر في النباح لم يعرها أي اهتمام ، فجأة نظر إليها نظرة عتب وكأنه يريد قول شيئا ثم غادر المكان قبل أن تغادر بقية الكلاب ، تبع كلبة يبدو أن له علاقة بها غادرت باتجاه المقبرة .

نزلت منها دمه، قالت ٠٠ بصوت مبجوح:

- حتى أنت يا أبو الوفاء ، تنكرت لي ، ينتهي بك المطاف وأنت الألماني الأصيل ٠٠ بهذا المكان المنبوذ ٠٠ ومع هذه الكلبة القذرة .

ردت رجوى :

-نذهب الآن ٠٠ ونشتري أوفى منه ٠٠ ونشتري ببغاء يتكلم ٠٠ واسماك وأرانب ، لا تهتمي ياخالة.

عادوا أدراجهم ، دون نتيجة ، عادت حالة الاكتئاب تتفاقم ، مر أسبوع آخر والوضع على ما هو عليه ، تذكرت جوازها الكندي ، اتصلت بالمحامي عجاج تستفسر منه ٠٠ عن إمكانية السفر إلى اليمن بالجواز الكندي ، حذرهما بالحال ، قائلاً :

-الجواز الكندي ليس فيه ختم دخول ، وإذا عُرف أن لديك جوازاً آخر ، خيروك بين جنسيتك الأصلية والجنسية الكندية ٠٠ وأن اخترت الجنسية الكندية فستسافرين ولن تستطيعي العودة إلا بتأشيرة دخول ، خافت في الحال وقالت له :
-أعوذ بالله أن أتخلى عن جنسيتي .

صُرف النظر عن هذا القرار ، يا للمسكينة ٠٠ كل ما فتحت باباً وجدت خلفه جداراً من حجر ، عودي إلى اكتئابك مجبرة يا يُمْنى لا بطلة ، فهو ما تبقى لك في هذه الحياة ٠٠ وليعلم الجميع من بيئتكم السمرء ٠٠ أنك لم تعودى يُمْنى المليونيرة ، لديك رصيد يعيشك بكرامة لمدة ليست طويلة ، وستتغير المعاملة معك جذريا إن عاجلاً أم آجلاً ، أما امتلاك منزل يحفظ لك كرامتك عن دحمان ٠٠ فاعتبريه حلماً لن يتحقق .

مر شهر بالكامل والتطور في القضية متوقف إلا من محاولات من المحامي عجاج للبحث عن محامي يذهب إلى اليمن وقيم دعوى هناك ٠٠ أما هو فقد اعتذر لظروفه التي ادعى أنها لا تسمح له ، محاولات تصطدم بالمبالغ الكبيرة المطلوبة مقابل المرافعة ، فمنهم من يطلب ٢٥٪ عند كسب القضية ومنهم من ذهب أبعد من ذلك وطلب ٤٠٪ ، ليست المشكلة لديها في النسبة المطلوب عند كسب القضية ، المشكلة لديها هي من الدفعة الأولى المطلوبة ، فبعضهم طلب مائة وخمسين ألف مقدم ٠٠ وبعضهم طلب مائتي ألف ريال ، بحجة أن كسب القضية أمر غير مضمون ، يبدو أن الأمر يزداد تعقيداً .

استسلمت لليأس ٠٠٠ ، صارت تعيش أيامها بين صُح وسُقم ، والسقم أمضى .

مالي غنى عنك ٠٠٠

اليوم يوم السبت الساعة العاشرة صباحاً ، طُرق الباب ٠٠ ردت رجوى :

-من عند الباب

-أنا مشتري عمارة يُمنى سابقاً ٠٠ والمسماة عمارة العز ، ومعى استدعاء لها للحضور لدى الحقوق الرجالية ٠٠ عفوا ٠٠ عفوا ٠٠ الحقوق المدنية ، يوم غد.

مد الورقة ٠٠ من خلف الباب ، أخذتها وأعطتها خالتها وهي قلقة ، استغربت يُمنى ، استبشرت خيراً ، هل من المعقول أن المبيعة لم تكتمل بعد ، أفل السقم ذلك اليوم ٠٠ وانتظرت يوم غد على أحر من الجمر.

استيقظت يوم غد من نوم لم يكن طويلاً ، توجهت مع سائقها إلى الحقوق المدنية ، وقفت أمام الموظف المختص .

-المدعي هذا الذي واقف بجانبك ، هو من اشترى عمارتك ، يطالبك بمبلغ مائتي ألف ريال ٠٠ بقية أعمال تشطيب العمارة ٠٠ تدفعينها له ٠٠ إذا أنت لم تُكلمي تشطيب العمارة ٠٠ حسب الاتفاق أثناء الإفراغ لدى المحكمة ٠٠ عندما اشترى عمارتك ، ولديه مستند بتوقيع وكيلك عبده شايف نيابة عنك مصدق ، فيه إقرار منك بإكمال تشطيبات العمارة على حسابك ٠٠ أو تدفعين مائتي ألف ريال ٠٠ إذا انتهت المدة المحددة بشهرين ٠٠ من تاريخ انتقال الملكية للمشتري ولم تُنجز التشطيبات .

-لن أدفع ريالاً واحداً ، وأنا أصلاً لم أبعه العمارة ٠٠ فالمحتال هو من باعها له وهرب بقيمتها ، ليذهب ويطالبه بالمائتي ألف في اليمن ، وإذا وجدته فليخبرني ، لأطالبه بمالي الذي سرقه .

-يا أختي ٠٠ البيعة تمت في المحكمة ٠٠ وهذا سند مصدق من المحكمة بضرورة الدفع بعد مضي شهرين ، فادفعي الآن ولك أن ترفعي دعوى بنقض البيعة أو استرداد فلوسك فيما بعد ، وإذا لم تدفعي المائتي ألف ريال سنضطر لسجنك .

ما أن سمعت مفردة السجن حتى صارت أطرافها ترتجف ، ودمعتها تطرق باب العين للنزول :

- لكن المبلغ كبير ٠٠ وليس متوفراً لدي لأسدد .

فرح المشتري لخوفها ، قرأ استعدادها للدفع ، رغب أن يبدي شهامة تضمن حقه ولو بعد حين

- أعطيتها مهلة أسبوع .

- وأنا من عندي أسبوع آخر ، قالها الموظف وهو يغمز بعينه للمشتري ، ومن قال الرجال

يظلمون ولا يستغلون خوف المرأة وقلة خبرتها بالأنظمة .

- أنا على استعداد ٠٠ بأن أتيكم بالمبلغ ٠٠ بعد أسبوعين.

- الآن عليك أن تحضري لنا كفيل غرم وأداء ، إذا لم تحضري المبلغ بعد أسبوعين ٠٠

يكون بديلا عنك ٠٠ أمام صاحب الحق ، وإذا لم تحضري كفيل سنضطر لسجنك من الآن ٠٠

حتى يستلم خصمك المائتي ريال

مرة أخرى تهديد بالسجن ، زاد خوفها ، طلبت التلفون لإحضار من يكفلها ، اتصلت بالمحامي

عجاج وأخبرته عن تفاصيل الدعوى ، وطلبت منه أن يسرع في الحضور لكفالتها ، تردد عجاج

في الرد ، وكأنه يفكر ، ثم خلاص إلى القول :

- يا أخت يُمنى ٠٠ كفالة الغرم والأداء صعبة ، ولو قمنا نحن المحامين بكفالة عملائنا

لعشنا حياتنا بالسجن ، والمبلغ المطلوب كبير ولا أستطيع مساعدتك به ، وما أستطيع مساعدتك

به ٠٠ هو تنازلي عن أي حقوق مالية مستحقة عليك من مكتبتنا ٠٠ والوجه من الوجه أبيض ٠٠ مع

السلامة ، ثم أغلق السماعة .

- صارت تردد الو ٠٠ الو ٠٠ عجاج ٠٠ عجاج ٠٠ عساك واللّه للعجاج اللي يخفس عيونك

٠٠ يقودونك قود ٠٠ يا قليل المروءة ، ثم وضعت السماعة .

- هاه ٠٠ لقيت كفيل ؟ ، قالها موظف الحقوق المدنية يستعجلها.

لم تجبه ٠٠٠ رفعت السماعة مرة أخرى لتتصل بأختها السببه يُسرى ، طلبت منها إبلاغ دحمان

للحضور فوراً ليكفلها بالمبلغ المقرر ، ثم أقفلت السماعة ، ليبتها لم تبلغ السببه بقيمة المبلغ

٠٠ وأن الكفالة ٠٠ كفالة غرم وأدا .

ربع ساعة ٠٠ نصف ساعة ٠٠ لم يأت أحد ، أعادت الاتصال ، وجدت السببه يُسرى تنتظرها ، سألتها عن سبب تأخر دحمان عن المجيء ، تلعثمت أختها قليلاً ثم أخبرتها بالموقف ، دحمان رفض أن يكفلها ، فالمبلغ كبير ٠٠ والكفالة غرم وأداء ٠٠ وليس كفالة حضورية فقط ، وأخبرتها كذلك أنها اتصلت بزوجها السابق يابس الدفش وابنه ذيبان ٠٠ وبزوجها زعيط وابنه خنيفس ، كلهم رفضوا كفالتها ، أما الحسناء ٠٠ فاعتذرت بأن زوجها فاقد للذاكرة وعلاقتها مع أبنائه الكبار ساءت ، بعدما ساءت حالة أبيهم الذهنية ، صرّار في قريته وليس لديه تلفون ، أخبرتها أنه لم يتبقى إلا زوجها الطبال معيط أبوخنز ، الذي لا تعرف له رقم تلفون ، والذي من المؤكد انه لن يكفلها ، فالعلاقة انتهت بقطيعة ، بعد مشاكل عويصة ، قبل سنين .

ما أن جاءت على ذكر زوجها السابق معيط حتى خطر على بالها صليح الأطفس ٠٠ الشاعر العربي ، انزوت بابنة أختها رجوى ٠٠ بعيد عن مسامع الخصم والحكم ٠٠ وقالت بصوت خافت :

- اذهبي إلى محلات بيع الأعواد والاسطوانات في حلة العبيد ٠٠ المكان قريب جدا من هنا ، ستجدين محل اسمه أفلّة في الحلة ، اسألي صاحبه أو من تجدينه يعمل فيه عن رقم هاتف الشاعر صليح ، دون أن تعرفيه بنفسك ، قولي له بتفنج ٠٠ إنك شاعرة وترغبين التعاون مع الشاعر ، أسرع قبل أن يغلق المحل لصلاة الظهر.

أسرعت رجوى وأدت المهمة على أكمل وجه ، عادت الساعة الثانية عشر والنصف ومعها رقم هاتف صليح ، اتصلت عليه ، رحب بها كترحيبه بجميع الأصوات الناعمة ، عرفته بنفسها ، لم يصدق ٠٠ كاد أن يخرج عليها من سماعه الهاتف ، لم تعطه فرصة ليعبر عن أشواقه ، باغتته وطلبت منه الكفالة ، أجابها بكل شهامة : كلي فدوة ٠٠ ياعيون الشقاوي.

نصف ساعة بالضبط ٠٠ إلا وصليح يدخل عليهم مكتب الحقوق ، وقع الكفالة دون تردد ، كادت أن تقبله أمام الملا ، ردت بعبارة واحدة : المعدن الأصيل لا يصدء يا صليح ، ثم ختمت بعبارة : مالي غنى عنك يا صليح ٠٠ طال الزمن أو قصر ، رد بعبارة رسمية : ما عملنا إلا الواجب يا الغالية . بعدها أنهت الجلسة الحقوقية وغادرا الجميع المكتب .

تبعها صليح إلى السيارة ، يسأل عن حالها ويبيد استعداده للتواصل المثمر القائم على الفزعة عند الضرورة ، أراحها ذلك كثيراً وأعاد جزء من الثقة لنفسها ٠٠ ودعته ممتنة له ٠٠٠ ولكن بتحفظ تُجبر نفسها عليه ، فهي ما زالت على ذمة رجل آخر.

عادت إلى الدخل المحدود بعد أن حذرت رجوى من الإفصاح عن اسم من قام بكفالتها ، دخلت المنزل لتجد دحمان يأكل مرقوق باللحمة ، لحمة اشترتها يُمنى بنفسها بداية الأسبوع ، آه ٠٠ كم تتمنى أن تأخذ هذه اللحمة من فمه ، فلو كان كلباً تطعمه لأثمر فيه المعروف ، فرحت السببه يُسرى بانتهاء المشكلة ولكنها لم تسأل ، فالأغبياء عادة ٠٠ يفرحون بالنتائج الايجابية دون أن يسألونا كيف جاءت ، دحمان مستمر بالأكل ، رد عليها السلام ثم قال :

- الحمد لله على أسلامه ٠٠ من كفلك ؟

ردت وهي متوجهة إلى غرفة رجوى :

- كفلني من تعجز البيض أن تتجب مثله ٠٠ فما بالك بالسمر.

- احترمي نفسك يا يُمنى ، السمر ٠٠ هم من فتحوا لك بيتهم ٠٠ عندما سرق بيتك اليماني الأبيض .

- محترمة نفسي يا بو نشقة قبل أشوفك ، وبيتك الذي تمن علي فيه ، وانك فتحته لي ، فأنت تعرف قبل غيرك ٠٠ أنني المساهم الأكبر في بنائه.

أغلقت الباب دون أن تنتظر أو تسمع تعليقاً منه على تذكيره بعبارة أبو نشقه ، فموقفها ، ضعيف ولا تريد الاحتكاك مع من ليس فيه نخوة ، لا يتردد في الرد الوقح قولاً وعملاً ، خاصة أنها الآن مدينة بمائتي ألف ريال ، لا تملك منها سوى مائة ألف ريال فقط ، كيف عساها أن تتدبر لتأمينها .

ألا يا الله يا عالم بحالي / تزيل الهم عن قلبي تزيله ٠٠

هموم تتزايد والعقل والبدن يئنان ، فالغدر الخارجي واكبه غدر داخلي ، الطالب صار مطلوباً ، والسجن في الانتظار ، الخوف زاد من دقات القلب ، خوفاً يصل إلى مرحلة الخوف الجنوني ، نادى البنيتين لتبقياً بجانبها ، تريد أن تزيل هذه الهموم من قلبها لتفكر ، تود استعادة توازنها لتجد حلاً .

حل وجدته بعد ولادة متعسرة ، فالحرج كبير ، والمعروف السابق يغطيها من هامتها إلى أخمص قدميها ، ولكن لا مفر ، وهل هناك غيرها ٠٠ إنها الحسنة زوجة الزحزيح ، فالنفس كريمة ٠٠ والإمكانات متوفرة ، الوقت يمر ببطء ، تريد أن يأتي العصر بسرعة لتذهب إليها وتزيل كاهل هذا الهم من عليها .

زارتها في قصرها بشارع التخصصي ، فرحت بها ، هنأتها على انتهاء موضوع الكفالة ، سألتها عن من كفّلها ، لم تتردد في إخبارها عن اسمه ٠٠ وأسرفت في الحديث عن تاريخه معها ، وكيف أنه يعيشها منذ كان عربجياً يحمل مفك في جيبه ، إلى أن أصبح شاعراً شعبياً يشار له بالبنان ، يومي بسبحته الزرقاء بعد أن تطور واستبدل المفك بالسبحة . بعد ذلك تحدثت عن ما دعاها لزيارتها ٠٠ وطلبت منها تأمين المبلغ المتبقي كقرض حسن ٠٠ ترده عند توفره ،

وافقت الحسنة بطيب خاطر ، ذهبت إلى غرفتها وأحضرت دفتر الشيكات ، حررت لها شيكاً بالمبلغ المطلوب ، وقفت يميني تريد تقبيل رأسها ، رفضت الحسنة ذلك بشدة وهي تقول : - وفائي لك وفاء لامي رحمها الله ..

ما المقابل أيها الحسنة ، من دفعك مبلغ كبير مثل هذا ٠٠ لامرأة لا ترتبطين بها بصلة نسب أو قرابة ، لماذا لا تعملين كالرجال ، لا يعطون المرأة مبالغ كبيرة إلا بمقابل .

نختصر الكلام ، أنهت موضوع المائتي ألف ريال في اليوم التالي ، صارت لا تملك ريالاً واحداً ، من سيدفع راتب السائق الآن ، الإجابة لا أحد ، وعليه تم التخلص منه ، السيارة العائلية لم يعد

لها لزوم فالمرأة ممنوعة من القيادة ، تم التخلص منها أيضا ، وذلك ببيعها والاستفادة من قيمتها لتصرف منها على نفسها في هذه المرحلة الحرجة .

نفذ ثمن السيارة خلال شهرين ، فمن تعود أن يصرف وهو مليونير ٠٠ لسنوات طوال ٠٠ لن يستطيع التعود على التروي بالصرف خلال شهرين ، اضطرت لبيع حليها بعد ذلك، نفذت خلال ثلاثة أشهر ، لم تعد هناك حلول ، الحاجة واضحة للعيان ، يقرؤها كل من يعيش معها في البيت ، تفهم أعضاء الأسرة توقف يُمنى عن الصرف على البيت باستثناء دحمان وأمه ، فالعين بدأت تضيق ٠٠ والتلميح تلاه تصريح ، لسنا مسئولين عنك أيتها الشقيقة لزوجتنا السببة يُسرى ، فلك ابن عم يدعى صرّار ٠٠ قادر على تحمل مسؤوليتك ، صارت تتهرب عن هذه المنة في الانعزال في غرفة رجوى ، انعزال فاقم من حالة الاكتئاب ، الاكتئاب الذي يبدو أنه يتحول تدريجيا إلى اضطراب نفسي ، اضطراب ينبئ عن إصابة بالازدواج الشخصي ، المرأة تحدث نفسها ليلا ، دون اكتراث بمن يسمعها ، يجدونها في الصباح نائمة في أماكن مختلفة ، أماكن لا تصلح للنوم ٠٠ مطبخ ٠٠ مدخال ٠٠ عند الأبواب ، رجوى تتألم لحال خالتها ٠٠ أمل تتابع خالتها وتسترها بثيابها إن هي تكشفت وهي نائمة ٠٠ السببة يُسرى تكثر من إعطائها العزائم ، العجوز أم دحمان تسخر منها بعبارات تقليدية قديمة ٠٠ وأمثال شعبية متداولة في زمنها الغابر ، فإذا حاولت إحدى البنات إعطاء خالتهن المحبطة جرعة من التفاؤل ٠٠ بعودة الأمور إلى ما كانت عليه ٠٠ وأن الأمور ستتحسن ، علقت بقولها : مت يا حمار / حتى يأتيك الربيع (أي لن تعود المياه إلى مجاريها) وإذا طلبت السببة يُسرى من أختها النوم في مكان النوم والاهتمام بالتستر أثناء النوم ٠٠ تتداخل العجوز بقولها : لا تتصحين ٠٠ ما بالحمض أحد (بمعنى أن المرأة ميئوس منها ٠٠ فاقدة للعقل).

أما دحمان ٠٠ فقد أثبت بالتجربة والبرهان أن ذيل الكلب عمره ما ينعدل ، عاد لتحرشاته ، يرمق بغريزة ٠٠ أن هو رآها نائمة هنا أو هناك ، يجادل بخصوصها الجميع ، وعن أي سبب ، مهما كان هذا السبب تافه ، رجوى من يقف في وجهه بكل الأحوال ، مهتمة لخالتها كثيرا ، تدافع عنها بضراوة ، التوتر والحزن خيم على البيت ، المريض زاد مرضه ، والحزين زاد حزنه ٠٠ والبريء جرحت براءته ، والغبي زاد غباؤه ، والخبيث زاد خبثه ، والغرائزي زادت غرائزته .

آه يا خويفي / من آخر المشوار / آه يا خويفي ٠٠

الأخبار السيئة مفرحة لدى الخصوم ، ذبيان على تواصل مع عمه دحمان منذ أن أقام عندهم هرباً من صواريخ صدام ، صار يكثر من الزيارات ، يتعمد الحديث عن الغدر الذي تعرضت له يُمنى ، يبطن الشماتة من وضعها النفسي دون أن يظهرها ، والسببه يُسرى تتفاعل معه بغباء ، تشكي له الحال أولاً بأول ، تقدم له معلومات مجانية ، وبالأخص عندما يناديها بلقب عمتي يُسرى .

الوضع الراهن يسمح ببحث موضوع الزواج من رجوى ، فبعد أن ضعف مركز قوى الممانعة يُمنى ، صار الطريق ممهداً لتحقيق المطالب ، تقدم يابس يخطب لابنه ذبيان مرة ثانية ، وافق دحمان ، وإن وافق دحمان فالسببه يُسرى موافقة ، تبقى موافقة رجوى ، ولكن من قال أن موافقتها ضرورية ، تبكين يوماً أو يومين ثم تتوقفين في اليوم الثالث ٠٠ فهي بكر والسكوت الحزين علامة الرضا ، استتجدت رجوى بجدهتها أم دحمان ، تريد منها أن تقف معها ويصبح هناك توازن بين المعارضة والموالاتة ، اثنان موافقان واثنان معارضان ، لا تعلم المسكينة أن الأمور رتبت أول ما رتبت مع العجوز أم دحمان ، دهن سيرها لعدة مرات ورجوى لا تعلم ، إشي دراهم ٠٠ وإشي حنا ٠٠ وإشي أشرطة ٠٠ وإشي دراربع ، اخخخ ٠٠ صدق من قال : من حب على لقمة كره على فقدانها .

يُمنى ليست مؤهلة للمشاركة برأيها في هذه الزيجة ، فهي مستبعدة لعدم الأهلية .

الموج عالي ضد العروس رجوى ، أن هي واجهته فلن تأمن الغرق ، ومن تراه يقدم على الغرق . حسم الأمر وعقد القران ٠٠ بعد أن سُلم المهر ، عملت الترتيبات ، وتم تحديد الزمان والمكان ، لإقامة حفل زفاف ذبيان الدفش على ابنة عمه رجوى الدفش ، الزمان ليلة نصف الشهر ، ليكون القمر بدرا ٠٠ والمكان قصر البرابيس للاحتفالات ٠٠ تم التعاقد مع ابن العمدة ليقدم وصلة غنائية شعبية للرجال ، وتم تكليف العجوز أم دحمان للبحث عن طقاقة مميزة ، تغني للنساء .

صار الهلال بدرا وبدأ التوافد على قصر البرابيس للاحتفالات ، أُجبرت يُمنى على الحضور للزواج ، استحمت بضغوط ، طلب منها ارتداء فستان سهرة ٠٠ اشترته لها السببة يُسرى ٠٠ على ذوقها ، مليء بالفصوص الناعمة ، أبدت الطفلة أمل استعدادها لتكحيل خالتها بنفسها ، تحركات يُمنى اللاشعورية ٠٠ لم تساعد البنية على تكحيلها بشكل جيد ، فالتحركات العشوائية ٠٠ تُخلف الطفلة في رسم الكحل على العين ، اصطحبت إلى موقع الاحتفال بالقوة الناعمة .

العروس لم يعمل لها كوشة ، اكتفي بجلوسها في غرفة العرسان ، والنساء يقبلن عليها تباعاً للسلام ٠٠ وتقييم مستوى جمالها ، تقييم لن تصدر نتائجه في الحال بل ستعرض على الأزواج والأقارب والمعارف عند العودة في نهاية الحفل ، العروس على قد حالها ٠٠ العروس مزيونة ٠٠ العروس ما عليها ٠٠ العريس أزين منها .

دقت ساعة الصفر ، وعلا صوت الطقاقة من فوق المنصة ، تتشد الأغاني الراقصة ، احتفاء بالعريس الذي يذف الآن بين حشود النساء ، الصبايا يتحسرن من هذا المجتمع ولسان حالهن يقول : **رأين الخطوبة خبط عشوا من تصب ❖❖❖ تتزوج ومن تخطيء تعنس فتهرم .**

صعد ذبيان لغرفة رجوى والطيب يحوم حوله ، اقفل الباب من الداخل ، عاد الجميع إلى الصالة وقد حنت ورنت ، أم العروسة ٠٠ السببة يُسرى تنتقل هنا وهناك ، تهلي بهذه وترحب بهذه ، أمل ٠٠ الطفلة البريئة فرحة بزواج أختها وتلعب مع الأطفال كالفراشة ، يُمنى تجلس يمين المنصة حزينة كئيبة ، تتفحص المدعويين بنظرات مخيفة ، التركيز شبه معدوم ، في المقابل لها ٠٠ تجلس موزة ، امرأة زوجها الأول زعيط القهوجي ، عن يمينها امرأة طويلة بدينة ، تتكلم اللهجة المصرية تمتلئ ذراعاها بغوايش ذهب ، يبدو أنها زوجة زوجها الثاني معيط الطبال ، والتي تزوجها بعد خروجه من السجن وخلفت منه ثلاثة من الأطفال في أربع سنوات ، دعته موزة لحضور الحفل نكاية في يُمنى ، عن يسار موزة تجلس شها ٠٠ زوجة زوجها الثالث يابس الدفش التي تزوجها بعد طلاقه ليُمنى ، امرأة بوجهها آثار كدمات برئت منها منذ زمن ، وفي يديها جروح التحمت منذ مدة وما زالت آثارها باقية .

آه ٠٠ منك أيتها الموزة الفاسدة ، أنت من جمع زوجات أزواج يُمنى ليجلسن أمامها ، كلجنة مسابقة شاعر المليون ، ليروها بهذه الحالة النفسية السيئة وقيمونها على بعض الحركات ألالا

إرادية التي تصدر منها بين وقت وآخر ، كنت تستبشرين خيرا كلما زرت السبحة يُسرى
وأعطتك وصفاً كاملاً لتخبطات يُمنى النفسية ، تفصح المسكينة عن حال أختها لك ، كي
تساعدتها بوصفة شعبية تشفيها من آثار الصدمات التي تعرضت لها ، أين أنت أيتها الشامته ،
يوم كانت راياتها ترفف بالعز ، يوم كانت تدعى لحفلات الطبقة الارستقراطية في السفارات
الخليجية في كندا ، يوم كان دفتر الشيكات دوماً في حقيبتها اليدوية الثمينة ، آه ٠٠٠ حسبي
اللَّهُ عليك يا ابن يعرب ، كيف دمرتها .

-هي دي ٠٠مرات جوزي معيط بن خنز قبل ما أتجوزه ، هي ما لها بيضاء بالشكل ده ، هم
مش بيئولوا ٠٠انها برصاء ، وإيه ألي لبسها دا ، واخده بالك يا موزة ، فستانها بيولع لمبات ،
موديله قديم من أيام الفراغنة ٠٠جته مصيبة معيط ٠٠ذوقه وحش ٠٠ما عرفش يختار .
المصرية ٠٠زوجة معيط الطبال ، تهزاً من يُمنى وبصوت عالي .
ضحكت موزة بهمجية ٠٠وظهر سنها الوحيد يلمع مع إضاءة الصالة ، أما زوجة يابس شهباً
٠٠فابتسمت فقط ، يبدو أنها ٠٠مرهقة من عمل أجهدت فيه ٠٠هذا النهار وليلة البارحة ، تود
النوم في مكانها ، ابتسمت وحملت راية التعليق من المصرية :
-إلا ما لاحظت كحلتها مايلة ، الظاهر أن اللي مكحلتها حولاً .
قالتها وعادت لابتسامتها ، أما موزة والمصرية فضحكتا على طرفة زوجة يابس وهما تنظران
ليُمنى بتصنع ، عضت يُمنى شفرتها وكتمت غيظها .

أنهت الطفاقة الأغنية الأولى وبدأت في الأغنية الثانية ، أغنية حماسية ، تشتمل بعض أبياتها
على ذكر اسم العائلة وبعض رجالها ، تجدها تغنى في كل حفلات الزواج ، الأغنية التي تجنى
منها الطفاقات مردوداً جيداً من التتقيطات المادية على الراقصات ، فمن أراد أن يغنى باسم
عائلته ٠٠فما عليه إلا أن يطلب ذلك من الطفاقة ، ويستعد للرش النقدي على الراقصة التي
تتنسب لاسم العائلة المغنى بها ، والذي يكون من حق الطفاقة أخذه من على أرض المنصة ،
لذلك تجدها تعيد الأغنية مرات ومرات ٠٠مع تغير أسماء العوائل .
كل آل دفش كلهم / لا فرق الله شملهم / يازين ذيبان بينهم .
كل آل دفش خياله / عليهم رزة الرايه .

عج آل دفش بالزعيق ٠٠ ياهوه ٠٠٠ ياهوه ، وتوجهن نساء العائلة إلى المنصة للرقص وبينهم الطفلة
أمل دحمان آل دفش ، وبما أن أهل العريس هم نفس أهل العروس ، أتت على ذكر أهل أم
العروسة مباشرة ، بعد أن صاحت بها السببة يُسرى لها من بعيد لتذكيرها بالأسماء بقولها ٠٠
آل مقصعة القمل ٠٠ صرّار آل مقصعة القمل

كل آل مقصعة كلهم / لا فرق الله شملهم / يا زين صرّار بينهم
كل آل مقصعة خياله / عليهم رزة الراية

جاء ذكر اسم صرّار ٠٠ كونه اقرب الرجال لها ولأختها من آل مقصعة القمل (عزوتهن من
عُصبة آل مقصعة القمل).

تحركت الحمية لدى السببة يُسرى ٠٠ حين سمعت شطر كل آل مقصعة خياله ، صعدت إلى
المنصة للرقص ، الوزن الزائد لا يساعدها على الميلان مع صوت الطار ، صارت تقفز قفزا ،
أرضية الصالة تهتز ، المنظر أخرج الطفلة أمل ، ركضت إلى خالتها يُمنى ، ترجوها أن ترقص
مع أمها في وصلة آل مقصعة ، لمعرفتها برقص يُمنى المميز ، وافقت يُمنى على الرقص نزولا عند
رغبة أمل ، قبل أن تهم بالصعود إلى المنصة ٠٠ سمعت موزة تقول بصوت عالي:

- حامت كبدي من كذب ذا الطفاقة ٠٠ تقول كل آل مقصعة خيالة ٠٠ وين خيالة معه
٠٠ الا قولي كل آل مقصعة حمارة .

ما أن أتمت موزة كلام استهزائها بآل مقصعة ٠٠ حتى انطلقت نحوها يُمنى بلا شعور ،
انتابها حالة الانفعال اللاشعوري الذي أصابتها يوم رأت زوجها صقر بلباس امرأة ، بدل من أن
تصعد إلى المنصة صعدت فوق صدر موزة ، صارت تضربها مع فمها و تقول :

-آل مقصعة خيالة غصب عنك يا أم ضرس ٠٠

وراحت تركز بضرباتها على السن الوحيد لموزة ، حتى كسرتة وسالت الدماء منه بغزارة ،
انتقلت بعد ذلك بسرعة إلى المصرية زوجة معيط الطبال ، أمسكتها من شعرها تريد أن تطرحها
أرضاً ، لكن لم تستطع ، المصرية صامدة وتردد :

- الحوقني ٠٠ المجنونه دي حتأطعني .

وترد عليها يُمنى وهي تمسك بشعرها :

- حأطعك وآخذ عمرك يا بقرة بن غيثار (ابن غيثار تاجر حمير يملك بقرة واحده فقط لا يعطيها مهلة لتلتقط أنفاسها من الإنجاب حرصا منه على الحليب).

استجابت شهبأ زوجة يابس إلى استغاثة المصرية ، دخلت بينها وبين يُمنى ٠٠ تريد أن توقف يُمنى وهي تردد :

- اعقلي يا لبرصاء ٠٠ انتي فيك سكاني .

ما أن نعتت يُمنى بالبرصاء حتى استشاطت غضبا فوق غضبها ، حركت المياه الراكدة في حقدھا على كل من غيرها في السابق بالبرصاء ، أمسكتھا مع حلقھا ، وهي تردد ، حتى أنت يا حمارة التويم (حمارة اشتهرت بأن بها تسعة عيوب ومع ذلك تمسك بها صاحبھا إلى أن ماتت) صارت تخنقھا ، عم الهرج والمرج المكان ، زوجة يابس تكاد تختنق ، انقضضن النساء على يُمنى ٠٠ وخلصن شهبأ من بين يديھا قبل أن تختنق ، توقف الغناء ، صاحت الطقاقة والمتمعضة من يُمنى لأنها ستفسد الحفل وتحرمھا من محصول الليلة قائلة :

- هذي سكرانة ، اتصلوا على أهل الجسمس يجون يأخذونها .

هنا تذكرت موزة وهي مضرجة بدماء ضرسها عمل ابنها خنيفس كمتعاون مع المحتسبين ، راحت إلى البواب وطلبت منه مناداة خنيفس من صالة الرجال بأسرع ما يمكن .

حضر ٠٠٠ أبلغته بهيجان يُمنى و أنها سكرانة حسب إفادة الطقاقة.

أقل من نصف ساعة فقط إلا والجمس عند باب النساء ، طُلب من خنيفس أن يحضر السكرانة يُمنى من الداخل ، بعد أن يغطي وجهها فهو محرم لها وابن زوجها في يوم من الأيام ، أقبل يشق صفوف النساء مستأسداً ، حتى وقف فوق رأسها وهي في حالة من الهيجان ، أمسكها من يدها وصار يسحبها ويردد :

- امشي معي أيتها المخمورة لنظهرك من معصيتك.

ما بال خنيفس يتهم قبل أن يتأكد ، فدليله الوحيد نبأ ٠٠ قالت أمه له ، ألم يحفظ قول الله عز وجل : **أَنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ .** بالتأكيد إنه لا يحفظ هذه الآية ، فهي في سورة الحجرات ، وهو لا يحفظ من القرآن سوى سورة الحمد وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الناس ، حاله حال كثير من العامة المحتسبين ، حتى وأن سمع هذه الآية تقرأ من أحد الأئمة ٠٠ في يوم من الأيام ، فهو لن يفهمها ، لأنه لا يعي أن الأصل بالمسلم حسن الظن ، والأصل في المتهم البراءة حتى تثبت إدانته . لا يعي أن اتهام الناس يحتاج لبينة وشهود ثقات ، وإذا لم يأت بذلك فيجب أن يجلد .
رأته فوق رأسها ٠٠ استحضرت في هذه اللحظة سحب والده لها في مقبرة تليم ، يوم عقد عليها قرانه ويريد الدخلة بها بأسرع وقت ، الأب في السابق والابن الآن والحفيد في اللاحق ، ومن أراد قطع هذا التسلسل ، في التسيد على القوارير بعناوين المحافظة والصلاح ، فهو يريد جزماً فتنة لعفتنا الاجتماعية الراسخة كرسوخ جبال طويق ، من أراد ذلك فهو غربي وقح .
زاد هيجانها عليه ، صارت تضربه على وجهه بيدها اليسرى تريد أن تخلص منه يدها اليمنى ، النساء التي تعج بهم الصالة بين مؤيد ومتحفظ ، باستثناء السببة يسرى وابنتها الطفلة أمل ، أمل التي تضرب خنيفس بيديها الصغيرتين مع مؤخرته وتقول :

- اتركها ٠٠٠ اترك خالتي ٠٠ كذا بين عليها ٠٠ والله العظيم أنها تعبانة ٠٠ ما هي سكرانة.

دفع الطفلة بعيداً عنه ٠٠ استطاع سحب يمنى إلى الباب الخارجي بسهولة ، وضعت السببة العباءة على أختها وهي تسحب ، تبعها لترافقها بعد أن يئست من محاولاتها ترجي خنيفس بأن لا يأخذها إلى الجسم ، رفض أصحاب الجسم أن ترافقهم شقيقتها البريئة يسرى ، فالتعليمات تقول : أن لا يؤخذ في الجسم إلا السكرانة ، استتجدت بأحد الشباب النشاما لإيصالها ، ممن حضر لمشاهدة حدث القبض على السكرانة في زواج ، استتجدت بالغريب بعد أن رفض زوجها دحمان ، الذهاب معها والوقوف مع شقيقة زوجته ، فهو يرى الحادثة من زاوية أخرى .

علا صوت شكمان الجسم على كل صوت ، يشق صفوف الجماهير التي أتت للمشاهدة المجانية .

وهم في الطريق إلى مكان التحقيق مع المتهمه بشرب المسكر يُمنى آل مقصعة القمل ، صار يخرج من فمها زبد ، تدخل في غيبوبة للحظات ثم تفيق ، خاف أصحاب الجسم من أن تتوفي وهي في الجسم ، أقترح احدهم أن يأخذوها إلى المستشفى للعلاج ، قبل أن يتم التحقيق معها في مركزهم ، منها علاج ٠٠ ومنها عمل فحص الكحول لتثبت التهمة عليها ويكونوا على ما فعلوا غير نادمين .

أدخلت قسم الطوارئ في مستشفى الشميسي ، المستشفى الذي يعتد في تقريره لدى الجهات المختصة ، عمل لها الفحص الأولي ، لا بد من تهدئتها ، اجري لها اللازم في الحال ٠٠ عبر إعطائها حقنة مهدئة ، أخذ عينة من دمها ٠٠ لفحص نسبة الكحول في الدم ٠٠ حسب طلب من أحضرها .

هدئت بعد الحقنة ، هدوء أقرب ما يقال عنه : نصف حالة نوم ، الجميع في انتظار نتيجة الفحص ، لإكمال الإجراءات المتبعة ٠٠ لتؤخذ بعد ذلك إلى السجن ويقام عليها حد شرب المسكر ، وصلت السببه يُسرى ومعها الطفلة أمل إلى قسم الطوارئ ، وجدوا يُمنى مسجاة على إحدى عربات قسم الطوارئ ، بعد ربع ساعة أتى الطبيب ، سلمهم نتيجة الفحص وهو كاظم غيظه ٠٠ ثم قال :

-المرأة تعاني من انهيار عصبي وعليكم نقلها إلى مستشفى الأمراض العصبية الآن ، أما نتيجة فحص الكحول فهي سلبية ، المرأة لم تشرب كحول قط.

فرحت السببه يُسرى لذلك وكذلك الطفلة أمل ، بينما أسقط في يد أصحاب الجسم وخنيفسهم ، نظروا إلى خنيفس بعتب ، كيف تقول أنها سكرانة والحقيقة أنها تعاني من انهيار عصبي ، أجابهم خنيفس بكل ثقة ، وهل كل من نقبض عليهم ويجرى له فحص ، يثبت شربهم للمسكر ، أخرجوا وغادروا جميعا ومعهم خنيفس .

يُسرى بين ناريين ، تريد أن تبقى بجانب أختها في المستشفى حتى تنقلها إلى مستشفى الأمراض العصبية ، وبنفس الوقت تريد أن تكون بجانب ابنتها العروس ، حارت بين حزن وفرح ، لا بد أن تتخذ قراراً ، تذهب لتتمة حفل الزواج أم تبقى لتنفذ تعليمات الدكتور بنقلها فوراً إلى مستشفى الأمراض العصبية ، مرت ربع ساعة فنصف ساعة والقرار لم يتخذ ، وهل بفتاة مثل السببه يُسرى ٠٠ أن تتخذ قراراً ، الإجابة رآها الطبيب ، حين أيقن أنها لن تقرر ، سألها لماذا لم يأت أحد لأخذ المريضة إلى مستشفى الأمراض العصبية ، تلعثت للحظات ٠٠٠ الطفلة أمل قرأت تلك والدتها فأجابت بالنيابة عنها دون تردد ، بأن زواج أختها الليلة ٠٠ والجميع مشغول به وأن الواقفة أمامه أم العروس ، أعجب الطبيب بجراءة الطفلة ، تفهم الوضع ، بارك للأم زواج ابنتها ثم أبلغها بأنه لا مانع لديه أن تذهب لتكتمل حضور حفل زواج ابنتها ٠٠ وتأتي صباح غد لنقل المريضة ، بعد ذلك أعطها رقم تلفون مستشفى الأعصاب لتتصل بهم وتتسق معهم بخصوص نقلها ، فرحت بذلك ، وضعت رقم التلفون المكتوب على ورقة خارجية في حقيبتها ٠٠ وأمل ترقبها ، قبل أن تغادر سألت الطبيب عن آثار العزائم ودهن الفكس المعطى لها من قبل بعض الأطباء الشعبيين ، أثره على حالتها وهل تكثر من استخدام هذه العلاجات أم لا ، وبخها الطبيب قائلاً : يا أختي شقيقتك تعاني من اضطراب نفسي شديد ، نتيجة صدمات عصبية متلاحقة ، في فترات زمنية متباعدة ، وكلما استعجلت بنقلها إلى المستشفى المتخصص كلما كان ذلك أفضل ، فالتأخير سيؤدي إلى أن تصاب بازدواجية في الشخصية ، يعني ذلك أن تحدث نفسها وتحدث بشخصية أخرى في أحيان أخرى ، شكرته وعادت لمقر الحفل مع الشاب النشمي الذي أقلها إلى المستشفى وكان ينتظرها عند بوابة الطوارئ .

أكملت مراسيم الحفل على شر ما يرام .

ذيان سرى فرحان في ليلته إلى مدينة الفطيان ، يريد الانفراد بالعروس قبل أن يعود والده يابس وامراته شهباً وإخوته التسعة من العاصمة ، فالمعلومات التي لديه ، إنهم سيقضون يوماً أو يومين عند عمه دحمان .

موزة تهدد بتقديم شكوى إلى المحكمة ٠٠ على من كسر سنها .

المصرية تدعي أن يُمنى أخذت غويشتين من الغوايش الذهب التي تملا يديها الاثنتين ، أخذتها في غفلة منها أثناء المضاربة ٠٠ وعليه ستتقدم يوم غد بشكوى ضدها .

الطفاقة تشتكى ضعف الإيرادات من هذه الحفلة بسبب حادثت المضاربة التي تسببت في أحداثها
يُمنى ، وعليه ٠٠ يجب على من عقد اتفاق معها لإحياء الحفل ، سد النقص المادي في المدخول
وتعويضها ولو ببعض الشيء ، والمعني هنا جدة العروس أم دحمان ، يا الله حط حيلهم بينهم .
أسدل الستار على الحفل بخيره وشره ٠٠ وتفرق الجميع وعاد كل إلى بيته.

في صباح اليوم التالي ، استيقظت السببة يُسرى قبل غيرها ، أعدت طعام الإفطار والقهوة
والشاي لدحمان وأخيه يابس وخمسة من أبناء يابس ، استيقظوا باكربين ، بَكَرت المسكينة
في هذا الاستيقاظ كي تتمكن من الذهاب إلى المستشفى وتطمئن على حالة أختها ، فمن يعلم
٠٠ ربما شفيت ولم تعد هناك حاجة لنقلها إلى مستشفى الأمراض العصبية ، بحثت الموضوع مع
دحمان ٠٠ الذي كان يرشف القهوة ، مد رجله صوب السببة يُسرى ، وكأنه يقول : أن لدحمان
أن يمد رجله ، ألحت عليه أن يستعجل في شرب القهوة ليذهبا إلى المستشفى ، تأفف منها وهو
يقول :

- لقد أزعجتنا بهذه المجنونة، هل نسيت أنها قلبت زواج ابنتنا ليلة البارحة فوق تحت، اتركها
في المستشفى وهم سيتدبرون أمرها، يعالجونها أو ينقلونها لأي مستشفى آخر.

تداخل أخوه يابس معاتباً له بقوله:

- أن يُمنى يادحمان منا وفينا ، شقيقة زوجتك ، ولا تنس أنها كانت في يوم من الأيام
زوجة لأخيك (يقصد نفسه) ، علينا واجب نحوها ، ولا يجب أن ترمى في المستشفى هكذا .
أثمرت وأثرت هذه العبارتين في دحمان، وافق على طلب يُسرى ، ذهبوا الثلاثة إلى المستشفى ،
وجدوها على السرير مستلقية ، يبدو أنها مستيقظة ، نظراتها ناعسة ، ليست لأنها ناعسة
الطرف ولكنه أثر الحقن المهدئة ، التي تعطى لها في المستشفى بين وقت وآخر ، حمدت الله
السببة يُسرى ٠٠ على هذا الهدوء الذي رأت أختها عليه ، بعد هيجان ليلة البارحة ، ثم التفتت
إلى زوجها دحمان وهي تقول :

- ما شاء الله أختي طابت يادحمان .

أجابها دحمان بكلمتين : **طابت ظل** (ما زالت مريضة) ، ثم توجه ليوقع أوراق خروجها على مسؤوليته الخاصة ، مع تعهد بنقلها إلى مستشفى الأمراض العصبية في الحال ، أخبروه أن الأمر خطير جدا ، وما هدوؤها هذا إلى نتيجة الحقن المهدئة التي تعطى لها في المستشفى كل أربع ساعات .

حملوها على قدميها وليس على الأكتاف ، مشت ببطء ، حتى صعدت إلى السيارة ، دحمان يفضل الاتجاه مباشرة إلى مستشفى الأمراض العصبية ، لترتاح المريضة وتريحهم منها ، يُسرى ويابس لهم رأي آخر ، يرون إعطاءها فرصة لحياة طبيعية ، دون علاجات طبية ، وعدم أخذها إلى المستشفى ، فربما ما حدث ليلة البارحة حالة غضب نتيجة شجار ولن تعود إليها .

أخذ برأي السببة يُسرى ورأي يابس ، ولم يؤخذ برأي دحمان ، توجهوا إلى بيتهم في الدخل المحدود ، بمجرد دخولها مع الباب عانقتها الطفلة أمل بفرح ، بادلتها العناق ، توجهت إلى الصالة ، وجدت العجوز أم دحمان تجلس على الجانب الأيمن ٠٠ بجانبها شهباً زوجة يابس التي كادت يُمنى أن تقتلها خنقا ٠٠ ليلة البارحة ، والتي ما أن رأت يُمنى حتى بدا عليها الخوف ، تتمتع بعبارة واحدة : **يا الله تسكنهم مساكنهم** ، ولكن لماذا تخافين كل هذا الخوف يا زوجة يابس ، أليس حولك وحواليك أبناء يابس الخمسة ، وكأنهم حراس وقد ٠٠ يحرسون رئيس وفدهم ، هذا غير الأبناء الأربعة المتبقين من نسل يابس ، والذين ما زالوا نائمين في المقلط (صالة الطعام) ينتظرون الإشارة ، أنسيت أنك زوجة قاهر الجن المظفر ٠٠ يابس الدفش ٠٠ اطمئني فلمثلك أوجد الاطمئنان .

لم تسلّم على أحد من الحاضرين ، أخذتها يُسرى إلى غرفة رجوى ، أضجعتها على السرير ، طلبت من الجميع المغادرة ، فالروح تريد الخلود إلى النوم المجلوب ، نوم جلب بحقنة بدأت آثارها تزول تدريجيا ، نلحظ ذلك من خلال تقلصات تبرز في وجه يُمنى بين وقت وآخر .

جهز طعام الغداء ، دخلت به الشقيقة ٠٠ تريد إطعام شقيقتها ٠٠ حياً وحناناً وشفقة ، وجدتتها على السرير منكمشة على نفسها ، ركبتها مجتمعتان عند بطنها ، ترتجف ، قدمت الطعام لها وهي تقول :

- يُمنى ٠٠ يُمنى ٠٠ قومي لتتغذي يا أختي ، من يوم أمس ٠٠ وأنت لم تأكلي أي شيء.

لم تجبها برفض أو استجابة ، حز في خاطر يسرى عدم الاكتراث بها من قبل أختها ، وضعت البطانية فوقها اعتقاداً منها بأن هذه الرجفة التي تهز جسمها النحيل إنما هي من البرد ، فمثل السببة يسرى لا يميز بين حالة البرد وحالة الخوف ، تركت الأكل أمامها وخرجت ، عليها تطلب الزاد في وقت لاحق فتجده أمامها .

أقبل المساء ، حل وقت الغروب ، نحن الآن في صفرة المغرب وهذا التعريف الأخير هو الاسم الصحيح لهذه المرحلة الزمنية لدى دحمان ويابس ومن على شاكلتهما ، وقت يروونه خطيراً ، والدليل لديهم ما نسمعه من يُمنى الآن عندما حل هذا الوقت ، تنن وبشكل مسموع ، أعقبته بصراخ مدوي ٠٠ تزامن مع صوت المؤذن وهو يؤذن لصلاة المغرب ، والقول الراجح أن ما يحدث لها الآن ليس بسبب ما يعتقدون ، وإنما بسبب ما حذرهم الطبيب عنه ، سبق وأكد للسببة يسرى أن مفعول حقن المهدئات سينتهي مفعولها بعد أربع ساعات وستعود للعصبية وازدواج الشخصية ، دخلت عليها أختها لتهدئتها ، تبعها دحمان ، ما أن رأت دحمان حتى زاد صراخها ، استدار بغضب ، توجه إلى مقدمة الفلة واحضر حبل كان يربط فيه الخرفان في عيد الأضحى المبارك ، ربط يدها اليمنى برجلها اليسرى (هوجره ٠٠ كما يفعل أبناء البادية بالإبل) وأطفأ الإضاءة بالعمد ٠٠ بعد أن أغلق الشباييك وأرخی الستائر ثم أقفل الباب ، زاد هيجانها وهي تقول :

-أضيئوا النور ٠٠٠ الخنافس والصراصير تحوم حولي ٠٠ أنا خائفة .

قبّلت أمل ٠٠ يد والدها ٠٠ بعد أن أنهى ٠٠ إقفال الباب بالمفتاح وهي ترجوه :

-الله يرحم والديك ييه ٠٠ فك رباطها وأضيء النور لها ٠٠ فالخننافس والصراصير سوف تأكلها .

دفعها بيدها دون أن يلقي لها بالاً وغادر إلى حيث يجلس أخوه يابس ، أمل صارت تهدي من روع خالتها يُمنى من خلف الباب وتقول :

- خالتي لا تخافين من الخنافس أنا وأمي عند الباب .

- لم تجب ، صارت تحدث نفسها حديثاً ذا مسار آخر ، صار يتخلله كلام فيه جمل مفيدة
٠٠ وصراحة مفرطة عن أسرار حياتها التي عاشتها مع أزواجها السابقين ، لا نستطيع الإفصاح
عنها احتراماً للذوق العام ٠٠ ومن منطلق الستر ، ونستثني هنا ٠٠ الإفصاح عن ما هو مقبول فقط
، فقد قالت وهي توجه نداءاتها للحبيب :

-وينك يا ابن همدان ابن يعرب ، إني مشتاقة إليك ٠٠ شوق العطاش للورد ٠٠ ، خذ مالي
كله ، حلال بلال لك ٠٠ بس ارجع لي ٠٠ آه ٠٠ يا قلبي ٠٠ ثم أنشدت وهي تضرب الباب بيديها
الاثنتين بعد أن زحفت إليه زحفاً :

وين أنت يا لا يوم أقول إيه ٠٠ أمس حبيبي بيدي واليوم أتاليه ٠٠ آه يا عبده ، ليتني قلت لا
٠٠ لتلك السفرة المشئومة .

ما أن سمع يابس هذا الكلام والذي لم يكن بعيداً عن هذه الأجواء ، حتى ثارت ثائرتة ، أن
إعلان حبها لزوج من خارج الحدود ، إهانة لن يرضاها ، إنها إهانة لجميع الأزواج المحليين ،
أخذ مفتاح الغرفة وتوجه إلى باب الغرفة وهو يردد :

- الآن تأكدت أن من يتحدث جنى وليست يُمنى ، من يصرخ بأعلى صوته ويفني وقت صفرة
المغرب ، غناء يسمعه القاصي قبل الداني ، لا يمكن إلا أن يكون جنياً ، الطبيب تأكد من
العلة وسيبدأ العلاج ، الرجل مستعجل ٠٠ يريد الدخول وعمل الكشف الطبي اللازم بسرعة وعن
قرب.

سمحت له السببة يُسرى بالدخول بعد أن وضعت الغطاء على ساقي يُمنى ، رغم أنها تصنف
كمريضة وليس عليها حرج .

أمسك يديها الناعمتين بيديه المرزبتين (المرزبة مطرقة حديدية كبيرة تكسر بها الأحجار) ،
وصاح بها :

- من أنت ٠٠٠

لم تجبه يُمنى بل صرخت به :

- أقول اترك يدي بس .

أعاد السؤال مع صفة على وجهها المملوح ٠٠ كادت أن تكسر رقبتها :

- أجبني من أنت ٠٠ انت جنى ٠٠ اخبرني عن اسمك .

- أسمى زميصع .

ما هذا ٠٠٠ الجني الذي بداخل يُمنى تكلم بعد الصفعة ، أعلن اسمه على الملا ، يالفرابه ، ألا يُلاحظ أن الاسم ، يتكون من مجموع الأحرف الأولى من أسماء أزواجها الخمسة ، هل هناك تحالف رجالي بينهم ، تحالف حمل هذا الجني صفته الاعتبارية ، تحالف نرى أنه لن يقل شأننا عن تحالف الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ، فإن كان الحلفاء قد قضوا على الحزب النازي وهزموا الإمبراطورية اليابانية واسقطوا الخلافة العثمانية ، فحلف زميصع يسعى بكل ما أوتي من قوة لتحقيق النصر على الجنس الآخر، فتحطيم يُمنى هو البداية ٠٠ واستعباد يُسرى هو الهدف واغتصاب رجوى هو الأمنية ٠٠ وإراعة براءة أمل إجراء لا بد منه للتأسيس للمستقبل ، ولن ينظر إلى صلة القرابة في هذا الأمر ، فكونها أم أو ابنة أو أخت أو طفلة ، لا يعني أن نتعاطف معها ، فالحروب لا تعرف العواطف ، لأن التعامل بعاطفة ، نتیجته الهزيمة من نصف المجتمع ، والهزيمة تعني ، فقدان السيطرة والنفوذ .

منظر الجني وهو يتكلم مثير ، تجمع كل من في البيت للمشاهدة والاستماع .

- ماذا كنت تغني يا زميصع.

- نسيت .

- أعطيني العصا يا دحمان .

- لا داعي للعصا تذكرت ٠٠ سأغني :

الأوله ليت ما شفته ٠٠ والثانية ليت ماجاني

والثالثه يوم عاشرته ٠٠ جز المعاليق وأبكاني

زاد غضب يابس مما يحتويه عجز البيت الثاني من معاني حب وهيام في الزوج الجميل جدا

عبده شايف ، لم يستطيع تمرير تلك الغيرة ، أحالها إلى سؤال مع موعظة ٠٠ تنتهي بتكفير

- كيف تغني والناس في المساجد تصلي ٠٠ هل أنت كافر؟.

- أنا لا أجيبك على هذا السؤال، فأنت لست ندا لمثلي، ولست خصماً لي.

- سأجعلك تجيبني .

ثم هوش بالعصا وكأنه سيضرب يُمنى ٠٠ التي تتكلم بلسان جنى ٠٠ اسماء دحمان ومن على

شاكلته ٠٠ سيكني ، بينما يطلق عليه الأطباء النفسانيين ، مرض ازدواج الشخصية ، فلدى
يمنى وحسب رأي الأطباء ، شخصيتان مختلفتان تخاطب بهما المجتمع .

ما أن رأت يُمنى بياض إبطيه وهو يرفع العصا ليضربها حتى صاحت وهي تقول :

- لا تضربني سأجيبك ، أنا مسلم أصلي وأصوم ، مؤمن بالله وكافر بتخلف شلة العقد والحل
، الذين همهم الوحيد محاصرة المرأة كحصار العرب للقسطنطينية ، وكأن هذه المرأة من ملة
أخرى .

- هل تقصد أهل الحل والعقد وأخطأت بتقديم العقد على الحل .

- لا ٠٠ كنت أعني تقديم العقد على الحل وهنا مريبط الجحش ٠٠ عفواً ٠٠ مريبط الفرس ،
هؤلاء الذين انتشروا بالأرض انتشار النار في الهشيم ، أما أهل الحل والعقد الذين تحدث عنهم
ديننا الحنيف ، فقد تقاعسوا عن المساعدة في فك الحصار عن حقوق الصبايا الغواني فما بالك
بالنساء القعد ، هؤلاء يختفون خلف دنياهم .

- ما دعاك لأن تدخل في جسدها ؟

- الغريزة لدي ٠٠ والضعف العام لديها ، فالمجتمع لي وهي أداة من أدواته .

- أنا لا أفهم هذا الكلام ٠٠ أريدك أن تخرج منها بسلام وتتوب عن العودة إليها مرة
أخرى وإلا فهذه العصا ستشيع من جلدك.

- أخرج وأتوب بشرط واحد ٠٠ وسأغني هذا الشرط سامري

- سَمَعْنَا.

- قالوا تتوب من يُمنى / قلت لا لا

إلا أن تتوب الشمس / عن مطلع الشرق

فهم يابس ما بين السطور في سامرية الجنى ، التي غنتها يُمنى بالنيابة عنه ، وأن الشمس لا
يمكن أن تخرج من الغرب ، الجنى مصر على عدم الخروج منها ، يبدو أنه لا بد من استخدام
العصا لإخراجه ، صار يضربه بالعصا ٠٠٠٠٠ .

- اخرج يا زميصع ٠٠ اخرج يا زميصع .

الضرب بالاسم للجنى ، ولكنه في حقيقة الأمر ، يقع على جسد يُمنى النحيل ، هذي والله
سالفة المثل الذي يقول : يعرس سعيد ويسبح مبارك .

لم تستطع الطفلة أمل ٠٠ أن تتحمل وترى كل هذا الضرب يقع على خالتها وتسكت ، تذكرت كلام الطبيب ليلة البارحة من أنها ستحدث نفسها وستحدث بلسان شخصية أخرى ، وانه إذا حدث ذلك ٠٠ فلا بد من الاتصال بالمستشفى المتخصص ليأخذوها ، لا بد من أخذها من بين مرزيتي هذا اليابس وعصاه ، تذكرت أن رقم هاتف مستشفى الأمراض العصبية في حقيبة أمها السببة يسرى ، بحثت عنه في الحقيبة حتى وجدته ، اتصلت بمستشفى الأعصاب وأخبرتهم عن حالة خالتها السيئة ، تعاطفوا مع دموعها وطفولتها ، طلبوا معلومات كاملة ٠٠ ووصفا لموقع المنزل ، أبلغتهم عن ما تعرف ، إلا أنها لا تعرف أن تصف لهم المنزل ، وكل ما تعرفه هو أن مقابل باب بيتهم ٠٠ تقع بوابة النادي ألعاصي الشهرير ، وعدوها خيرا وطمأنوها بأنهم سينقذون خالتها من هذا الذي يضربها .

عادت لمشاهدة عمها يابس وهو يضرب الجنى ، أو لنقل وهو يضرب يمنى ، يمنى التي وصلت مرحلة التشنج من شدة الأم الضرب ، بصقت في وجه يابس ودحمان في وقت واحد ، ما أن وصل البصق عين دحمان حتى قفز فوقها كالجرذي ٠٠ كانت مربوطة ، أمسك بحنجرتها وهو يقول :

- أنا ولد أبوي ولده ، ما بقى إلا الجن ٠٠ يبصقون علينا ، أنت ما تدري أني دحمان الدفش ، من آل الدفش المشهورين بتخويف الأنس قبل الجن .
ردت وهي تكاد تختنق :

-والله والتبن(تقول له أن آل الدفش يساوون التبن ، والتبن هو مخلفات حصاد القمح) ، ثم استرسلت : ما بقى إلا أبو نشقه ، بعدها أنشدت : لا تخش كثرتهم فهم همجُ الورى / وذبابه
أتخافُ من دُبان ؟

الآن أخذت الأمور منحنى آخر ، العصبية العائلية هي سبب الضرب المبرح الذي ينصب على يمنى من الأخوين الأسمرين ، أسرفا الأخوان في الضرب دون مراعاة لمشاعر من يستجديهم بالكف عن ذلك وهما السببة يسرى وابنتها الطفلة أمل ، يد وعصا ، هذي تنزل وهذه تصعد ، يمنى لم تعد تتحرك ، تنفس الأخوان الصعاء ، انتصرا على من قالت لآل الدفش والتبن ، صارت يسرى وابنتها أمل ترفعان يمنى من الأرض ، ناحت السببة يسرى بعبارة : ياويلي ويلاه أختي لا تشعر

بشيء ٠٠ عسى أن لا يكون قد أصابها مكروه ، بسرعة يادحمان دعنا نقلها للمستشفى ،
الجنى ذبحها .

أجابها دحمان بالرفض ، وأن الحالة ميئوس منها ، وعليها أن تتصل بإسعاف مغتسل مقبرة أم
الحمام ، وختم بعبارة : الظاهر أن أختك ماتت .

- قال الله ولا فالك ٠٠ ثم ركضت إلى التلفون ٠٠ اتصلت بإسعاف الهلال الأحمر ليتمكن من
إسعاف أختها التي يبدو أنها دخلت في حالة حرجة أن لم تكن قد ماتت بالفعل .
دقائق عصبية مرت بها السببة يُسرى جعلتها تغلق فمها بإحكام هذه المرة ، فالحزن بدأ يتسلل
إليها .

بعد خمس وعشرون دقيقة ٠٠ سمعوا صوت ونان إسعاف ، طلبت السببة من الكبار من أبناء
يابس والذين استمتعوا بمشاهدة والدهم يضرب الجنى ، طلبت منهم استجلاب هذا الإسعاف
بسرعة ، خرجت أمل معهم تستكشف الأمر ، وصلت سيارة الإسعاف أمام بوابة النادي سُئل عن
بيت دحمان حسب ما أفادتهم فيه المبلغة أمل .

نزل من السيارة ثلاثة رجال ، طبيب واثنان من المساعدين الأشداء ، جميعهم يلبسون الروب
الأبيض، ما أن دخلوا الغرفة للكشف على يُمنى حتى سمعوا ونانا آخر لسيارة إسعاف أخرى تقف
أمام المنزل ، كتب عليها الهلال الأحمر ، بينما سيارة الإسعاف السابقة كتب عليها مستشفى
الأمراض العصبية ، من الواضح أن مركز إسعاف الهلال الأحمر قريب جدا من المنزل وتجاوب
مع البلاغ بسرعة ولم يتجاوز سبع دقائق ، نزل من سيارة الهلال الأحمر مسعفان ، التحقا بفريق
مستشفى الأعصاب داخل غرفة يُمنى ، للمساهمة والكشف على حالتها ، أغلقوا الباب ،
عقدوا اجتماعاً طارئاً ، تداولوا الأمر فيه من الناحية الطبية ، هل هي فاقدة للوعي ؟ أم هل
هي ميتة ؟ هل حالتها تستدعى نقلها إلى مستشفى الأمراض العصبية أم هي توفيت ويجب نقلها
لمغسلة مقبرة أم الحمام لدفنها ، طالت مدة الاجتماع والتشخيص ، السببة يُسرى ترقب ، أمل
خائفة ، دحمان غير مبال ، يابس يرتشف القهوة .

فُتح باب الغرفة بسرعة ، كانت يُمنى مسجاة على النقالة الطبية ، هل هي حية أم ميتة ، يبدو
أنها للخيار الثاني اقرب ، بادر دحمان الشجاع للسؤال الشجاع

- هل ماتت يا دكتور ؟

عليها، لحقوا على جلسة التشهد الأخير لصلاة العشاء ٠٠ لا بأس المهم أننا لحقنا الجماعة قبل أن يتفرقوا ، تمت الصلاة على الميت ، أخذت بعد ذلك إلى مقبرة أم الحمام ، كونها الأقرب ، ما بالهم يستعجلون الخطى للدفن ويعتذرون عن كل من رغب مرافقتهم إلى المقبرة من جماعة الجامع ٠٠ وكانهم يوارون سؤتهم ، لا أحد منهما مَحْرَم لها وليس منهما وليا شرعيا عليها ، اكتفوا بوجود أختها السببه يسرى معها لينتفي الاختلاء .

وصلوا المقبرة ، لم يجدوا أحد يقبر ميتا في هذا الوقت ، الظلام حالك إلا من ضوء لمبة صفراء فوق سكن عمال المقبرة ساطعة للعيان ، البوابة مقفلة ، خرج إليهم العامل الوافد يتبعه زميله الآخر بعد أن سمع منبه السيارة المتكرر ، وافد لا تعلم هل هو من بنغلاديش أم من سيرلانكا ام من الهند ٠٠ المسئول الأول والأخير عن المقبرة ، خلفهم من بعيد ٠٠ وبكل هدوء ٠٠ يمشي الهوينا كلبان لا يتضح لونهما أو نوعهما لشدة الظلام ، يصنفان من الكلاب نصف الضالة ٠٠ لا يصدر منهما نباح ، يبدو أنهما صديقين للوافد وزميله ويسكنان المقبرة ليلا بموافقتهم لذا لم يتجرأ أحد على نهرهما ٠٠ فمن أراد حاجة لدى شخص فعليه إرضاء كلابه ، تم الطلب من الوافد المدير بفتح الباب بعد إعطاءه الورقة وبدخلها مبلغ لم يتسنى لنا معرفة مقدارها فالظلام دامس ، بعد أن عد المبلغ وضعه في جيب البنطلون دون أن يدقق في ورقة بلاغ الوفاة ثم قال :

- هرمة موت يدخل مقبرة هرمة ثاني ممنوع (الميتة تدخل المقبرة أما السببه فالتعليمات تمنع دخول النساء الأحياء) .

أنزلت السببه مرغمه ، فتح الباب ، دخل الجميع بعدد ثنائي ٠٠ عاملين يمشيان أمام السيارة ليدلهم الطريق المؤدي إلى القبور الجاهزة للدفن ٠٠ أثنان من الدفادشه يركبان السيارة ومعهم يُمْنى جثة هامدة مكفنه ٠٠ كلبين هادئين كل يداعب الآخر يتبعان السيارة .

انزلا الجثة إلى الأرض ، انشغلا الأربعة الرجال بالتجهيز للدفن ٠٠ من يحضر الماء ومن يخلط الطين ومن يحضر اللبن والرابع دحمان نزل إلى القبر ليتأكد من سعته ونظافته ، فجأة ودون سابق إنذار صار أحد الكلبين يشم الجثة وينبح نباح غير حادي ٠٠ نباح حزين ، يتبعه إنزال اليدين إلى الأرض دون الرّجلين كأنحاء يُظهر فيه الاحترام لهذه المسجاة أمامه ، صاح الخبير يابس الدفش لأخيه دحمان قائلاً :

- أضيء أنوار السيارة على الجثة يادحمان ٠٠ فنباح الكلب يوحي بأنه رأى شي يمشي على

الأرض ٠٠ حية أو عقرب .

ما أن سطع النور على الجثة والكلب حتى تجلى لنا الموقف ، موقف لم نكن نتصوره ، الكلب الذي ينبح هو أبو الوفاء ٠٠ كلب نعرفه بين ألف كلب ٠٠ لونه البني ٠٠ حجمه الكبير ٠٠ أدبه المميز ، عرف يُمنى من خلاله حاسة الشم القوية لدية ٠٠ خاصة وهو من الكلاب الألمانية التي تتميز بهذه الميزة ، إنزاله ليديه أمامها مفهوم سائد لدى الكلاب الغربية ٠٠ عندما يرون عزيز لديهم قد فارق الحياة ، النباح الحزين هي قصيدة نبطية بلغة الكلاب الألمانية يتوجد بها على الفراق الأبدي ، يتبعها بأناات كأنها أناات كسير أو صويب بين الأضلاع مطعون .

غضب دحمان على الكلب ، كيف يزعجهم بهذا النباح المتواصل وهو لم يرى شي ، وبخه وهو يرميه بحجر ٠٠ وكأنه يقول ٠٠ أبعدها عنها أيها الكلب ٠٠ كي نقوم بدفن ميتتنا بأسرع ما يمكن ونذهب لنشرب القهوة مع والدتنا .

لم يأبه الكلب الألماني أبو الوفاء بالحجر وهو يرمى عليه ويصيبه في رأسه وأنحاء جسمه ٠٠ بل ضل ينظر بعينيه الحزنتين إلى يُمنى مع انقطاع عن النباح لا نعلم لماذا .

خاف دحمان الشجاع من الكلب حينما رآه لا يهرب والحصا يتساقط عليه ، عاد لإكمال المهمة الموكلة إليه .

خلال دقائق أنزلت يمنى داخل القبر ، انزلها يابس ، طلب مد اللبن بسرعة ، لم يفك أربطة الكفن ولم يضعها على جنبها الأيمن ويتوجه بوجهها إلى لقبه ، إنا لله وإنا إليه راجعون ٠٠ ما هذا ٠٠ أليسوا أهل خبرات متراكمة في دفن الموتى لما كل هذه التجاوزات للأسلوب الصحيح للدفن أم تراها العجلة عند الخوف ، صاروا عليه من الترايب يهلون ، آه يا للحزن ٠٠ صافية الجبين يمنى صارت تحت الأرض ، كل ذلك والسببه تنظر من بعيد ، واقفة عند أبوابه الرئيسية للمقبرة ٠٠ تشبح الرجال ولا تراهم ، تود لو أنها تستطيع أن ترى أختها وهي توارى الثرى ، تمت عملية الدفن على انقص وجه وليس أكمل وجه ، بهمة الرجال الشجعان آل دفش وجه العمال المأجورين ولا نقول المرتشين ، أودعت يُمنى القبر دون أن تودع رجوى ٠٠ دون أن تتشكر من الحسنة التشكر الأخير ٠٠ دون أن يعلم صليح بموتها فيكتب قصيدة الأخيرة فيها .

غادر الجميع موقع القبر ٠٠ العمال إلى مسكنهم بجوار أبوابه ٠٠ ويابس ودحمان والسببه إلى

منزل دحمان ، نسوا أن يأخذوا عباءة يُمنى التي غطيت بها الجثمان ، رموها جانبا عندما أرادوا
إنزالها القبر ، ، قصدها الكلب أبو الوفاء ٠٠ صار يشمها ٠٠ ينبح بعدها بصوت حزين ، يتبع
ذلك بالجلوس بجانب القبر ٠٠ هل تراه سيطيل الجلوس عنده ٠٠ قبر تمنينا على دحمان ويابس أن
يجعلاه ميداناً ٠٠ كي لا يضيق على من بداخله ٠٠ قبر عسى النفل والخزamy تثبت حواليه
..... انتهى